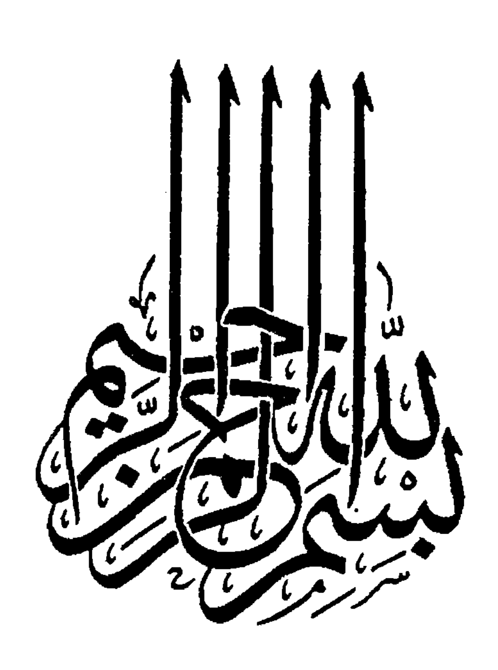
التسهيل لتأويل التنزيل



تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر


بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الكَهْف

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا

إنك أنت السميع العليم

الطبعة الثالثة

(١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)

رقم الإيداع

١٦٩٠١ / ٢٠٠٤

الناشر

مكتبة مكة

طنطا: ١٠ ش طه الحكيم أمام استوديو فينوس

ت : ٠٤٠٣٢٩٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

طبعت بمطابع دار الصحيفة ت: ٠١٠٦٦٩٥٧٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

---

(١) زيادة: «كل ضلالة في النار» فيها نظر من ناحية الإسناد، فأكثر الروايات بدون ذكرها.

وبعــد: فهذا تفسير سورة الكهف في سؤال وجواب ضمن سلسلة «التسهيل لتأويل التنزيل»، ذلكم العمل العلمي الذي بدأته من زمن وصدرت فيه بفضل الله وتوفيقه جملة أجزاء ومجلدات، فها هي سورة الكهف أسأل الله أن ينفعني والمسلمين بها، وبكتابه كله وبسنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم.

هذا، وقد قدمت خطة عملي في هذا الكتاب في أجزاء سبقت من هذا المشروع العلمي، أما عن سورة الكهف فأقول مستعينًا بالله مقدمًا قولاً مجملاً عن هذه السورة الكريمة المباركة بين يدي طرح الأسئلة والأجوبة عليها، أقول، وبالله التوفيق:

لقد افتتحت هذه السورة الكريمة المباركة بحمد الله عزَّ وجل وحسن الثناء عليه؛ لنعمةٍ من أعظم نعمه علينا بعد الهداية للإسلام ألا وهي نعمته علينا بإنزال هذا القرآن علىٰ نبينا محمد ﷺ.

وحقًّا فهي أعظم نعمة علينا بعد إذ هدانا الله.

* فبه يهدينا الله سبل السلام، ويخرجنا به من الظلمات إلىٰ النور!!!

* إذ هو ربيعُ القلوب، ونورُ الأبصار، وجلاءُ الأحزان، وذهابُ الهموم والغموم!!!

* به تطمئنُ القلوب، وتُشفىٰ الأبدان، ويزول السقم!!!

* قوله الفصل، وحكمُه العدل، وقضاؤه الخير!!

* هدًىٰ ورحمةٌ، بشيرٌ ونذيرٌ!!

* نبصر به بعد العمىٰ، ونسمع به بعد الصمم!!

* به يجلو البصر، ويصفو الفؤاد، وتُرطب الألسن!!

* فحقًّا إنه نورٌ وكتابٌ مبينٌ، لم يجعل الله له عوجًا.

بل هو قيمٌ، ومهيمنٌ، قصصه أحسن القصص، وأخبارُه أصدقُ الأخبارِ

* لقد أثنى الله على كتابه الكريم في غيرِ موطنٍ من هذه السورة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤].

ثم إن الله تبارك وتعالى قد بين أن كلماته أكثر بكثير مما يظن الظان، فقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

تضمنت آيات هذه السورة الكريمة المباركة تذكيراً بأصلٍ عظيمٍ، بل وبأصل الأصول على الإطلاق، ألا وهو توحيد الله عزَّ وجل، ونفي الشريك والولد.

وذلك في موطن، يتلوه موطن، تتلوه مواطن!

* ففيها قول الفتية أصحاب الكهف: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

وفيها قول قائلهم: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦].

وفيها قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

* وكذا قول الفتية أصحاب الكهف منكرين على أقوامهم: ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى

عَلَى اللَّه كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

* وقول الله تبارك وتعالى في بيان الغايات التي من أجلها أُنزل القرآن: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ④ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٤، ٥].

* وكذا قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

* وكذا قول المؤمن لصاحبه وهو يحاوره: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨].

* وكذا ندم هذا الذي كان متكبراً متعاليًا: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢].

* وكذا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢].

فهكذا تذكيرٌ بالتوحيد الذي هو أصل الأصول، وتحذيرٌ من الشرك الذي هو أعظم الأخطار وأضر الأضرار، فنسأل الله أن يُميتنا على التوحيد والإيمان، وأن يجنبنا الشرك والكفران.

* وسيقت في هذه السورة المباركة الدلائل على قدرة الله عزَّ وجل ووحدانيته سبحانه وتعالى:

* فمن ذلك: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٧].

* ومن ذلك: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨].

* ومن ذلك قوله تعالى في شأن الحوت: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ

﴿عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣].

* ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

كما أن هذه السورة الكريمة المباركة يظهر فيها، في عدة من المواطن أن الأمر كله لله:

* فمن ذلك قول الفتية: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

فالذي يؤتي الرحمة هو الله والذي يهيئ الرشد من الأمور.

* وكذلك فيها: ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤].

فالمهتدي من هداه الله: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧].

* وكذا: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

* وكذلك المُعلَّم من علمه الله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ١٤] فالذي يربط على القلوب هو الله.

* وكذلك الممكَّن له في الأرض من مكَّن الله له، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤].

* وأيضًا قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

والرزاق هو الله، قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢].

* وكذا قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣].

وهكذا فالذي ينشر رحمته هو الله، والذي يهيئ الأمر هو الله.

* وكذلك: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

وكذلك حملت السورةُ المباركة الكريمة تذكيراً بالبعث تلو تذكير:

قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾ [الكهف: ٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

كذلك فقد حوَتْ هذه السورة الكريمة المباركة عدداً من القصص القرآني الكريم:

يثبِّت الله به الفؤاد، ويحصل به بإذن الله التذكرُ والاعتبار، ويحمل علىٰ التأسي والاقتداء، من هذه القصص:

قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، والإشارة إلىٰ قصة آدم عليه السلام مع إبليس، وقصة موسىٰ عليه السلام مع الخضر، وكذا قصة ذي القرنين مع الإشارة إلىٰ يأجوج ومأجوج.

وظهرت في هذه السورة الكريمة حقارةُ الدُّنيا وتفاهتها، وسرعة انقضائها وزوالها، ومن ثمَّ التحذير من الاغترار بها والافتتان بها، والحث علىٰ العمل للآخرة، والحث علىٰ الباقيات الصالحات التي لا ينقطع أجرها ولا يزول ثوابها.

وأظهرت السورة الكريمة بعض أشراط الساعة العظمى كخروج يأجوج ومأجوج، وبعض مشاهد القيامة، والحساب:

وكذلك بيان ما أُعدَّ للطائعين المتقين، وكذلك ما أُعدَّ للغواة الكفرة الشاردين عن طاعة الله وطاعة رسله.

فثم مشاهد من مشاهد القيامة، وبيان ما فيها من فسيح الجنان، وما أُعدَّ فيها من صنوف النعيم، وكذا ما أُعدَّ للظالمين من نارٍ أحاط بهم سرادقها وماءٍ كالمهل يشوي الوجوه وغير ذات من صنوف العذاب، أعاذنا الله منها.

وفي خضم الآيات الكريمات البينات الداعية إلى التوحيد، والناهية عن الشرك، والمقررة للبعث والقضاء والقدر، والمحذرة من الجنة والنار يلفت النظر إلى حسن الخلق، وتطييب المطعم والمشرب وبيان سعة علم الله عزَّ وجل وبيان آداب العالم والمتعلم، وما ينبغي أن يتحلى به الساسة والحكام والأمراء.

وغير ذلك من جميل الآداب ومحاسن الأخلاق ألا ترىٰ إلىٰ الفتية أصحاب الكهف وهم في كهفهم وفيما هم فيه من كربٍ وبلاء، يقول قائلهم:

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٩].

فسبحان الله، لم يحملهم ما هم فيه من الكرب والبلاء علىٰ تناسي طيب الطعام والحلال من الطعام.

* كذلك ألا ترىٰ إلىٰ هذا الأدب المبثوث في ثنايا السورة المباركة من

النهي عن الجدل بغير علم، إذ الله قال: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢].

وطلب الحجج والبينات: ﴿لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥].

وبيان سعة علم الله عزَّ وجل من قوله: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١].

وقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾[الكهف: ٢٦].

واختيار أخف الأضرار عند تزاحمها، وذلك من خرق السفينة دفعًا لمصادرتها واغتصابها.

وكذلك الأدب في النقل عن الله عزَّ وجل، فانظر إلىٰ قول الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

إلىٰ غير ذلك من الأدب المبثوث في ثنايا السورة المباركة الكريمة.

فحقًّا إنها سورة مباركة.

وحقًّا إنه لكتابٌ عزيزٌ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد.

آمنا به، وأقررنا بأنه من عند الله، ونحمد الله علىٰ ذلك حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه دائمًا، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شاء الله من شيء بعد.

فإلىٰ موضوعنا مع آيات هذا الكتاب العزيز، وطرح الأسئلة، وبيان الأجوبة للاستفادة من هديه، والاستضاءة بنوره، والسير علىٰ نهجه،

وترسم خطاه .

نسأل الله أن يهدينا به سبل السلام ، وأن يخرجنا من الظلمات إلىٰ النور ، وأن يورثنا به أعالي الجنان .

فإلىٰ الأسئلة ، وأجوبتها ، وما كان في ذلك من صواب فمن الله سبحانه وتعالىٰ ، فله النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، وما كان من زلل ومن خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان ، ونتوب إلىٰ الله ونستغفره من كل ما لا يرضيه .

وصلِّ اللهم علىٰ نبينا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

والحمد لله رب العالمين .

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

سُورَةُ الكَهۡفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾
قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾
مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ
أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمۡ حَسِبۡتَ
أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ
وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي
ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ
أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾



س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ عوَجًا - قَيِّمًا - بَأْسًا - مِّن لَّدُنْهُ - أَجْرًا حَسَنًا - مَاكِثِينَ فِيهِ - أَبَدًا - كَبُرَتْ - إِن يَقُولُونَ - بَاخِعٌ - عَلَىٰ آثَارِهِمْ - بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا - لِنَبْلُوَهُمْ - صَعِيدًا جُرُزًا - أَمْ حَسِبْتَ - الْكَهْفِ - الرَّقِيمِ - كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا - آتِنَا - هَيِّئْ لَنَا - رَشَدًا - فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ - بَعَثْنَاهُمْ - أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿عوَجًا﴾	اعوجاجًا - زيغًا - ميلاً.
﴿قَيِّمًا﴾	مستقيمًا - معتدلاً - لا اختلاف فيه ولا تعارض بين آياته - ولا تفاوت بينها لا التباس فيه ولا غموض، قيِّمًا على سائر الكتب يُصدقها ويحفظها.
﴿بَأْسًا﴾	عقوبةً عاجلة في الدنيا وآجلةً في الآخرة.
﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾	من عنده.
﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾	ثوابًا جزيلاً.
﴿مَاكِثِينَ فِيهِ﴾	مقيمين فيه على الدوام لا ينتقلون عنه ولا يُنقلون.
﴿أَبَدًا﴾	دائمًا.
﴿كَبُرَتْ﴾	عَظُمَتْ (في فُحشها ونكارتها وقبحها).
﴿إِن يَقُولُونَ﴾	ما يقولون.

الكلمة	معناها
﴿بَاخِعٌ﴾	مُهلك - قاتلٌ .
﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾	على إثر إعراضهم وتوليهم .
﴿بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾	بهذا القرآن .
﴿أَسَفًا﴾	حزنًا - جزعًا - غضبًا .
﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾	لنختبرهم .
﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾	أرضًا مستوية لا نبات فيها ولا شجر .
﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾	أفحسبت - أفظننت .
﴿الْكَهْفِ﴾	الغار في الجبل (الذي لجأ إليه الفتية المذكورون) .
﴿الرَّقِيمِ﴾	الكتاب (الذي كتبت فيه أسماؤهم - وأسماء آبائهم وقبائلهم وأحوالهم) . وقيل : الرقيم اسم الوادي - وقيل : اسم القرية ، وقيل : البنيان .
﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾	كانوا أعجب آياتنا .
﴿آتِنَا﴾	أعطنا - مُنَّ علينا .
﴿هَيِّئْ لَنَا﴾	اجعل لنا .
﴿رَشَدًا﴾	اهتداءً - ما نسترشد به لدنيانا وأُخرانا .
﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾	ألقينا النوم عليهم فناموا ، غطينا على آذانهم حتى لا يصل السمع إليها ومن ثمَّ لا يستيقظوا .

معناها	الكلمة
أقمناهم من نومهم ـ أحييناهم .	﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾
أعلم بمدة لُبثهم ومكثهم في الغار .	﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾
عدداً .	﴿أَمَدًا﴾

س: سورة الكهف هل هي مكية أم مدنية؟

ج: سورة الكهف سورة مكية بالإجماع، وقد نقل غير واحدٍ من المفسرين الإجماع على ذلك، منهم ابن عطية، والقرطبي - رحمهما الله تعالى.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في فضل سورة الكهف؟

ج: من ذلك ما يلي:

* ما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه»[1] من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال»**.

وفي رواية عند مسلم: **«من آخر سورة الكهف»**.

وكان الرواية: **«من أول»** هي الأولى.

* ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: قرأ رجل الكهف، وفي الدار دابة فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابةٌ أو سحابةٌ قد غشيته، قال فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: **«اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن، أو تنزلت للقرآن»**.

وقد أخرج الدارمي وغيره بسندٍ صحيح[3] عن أبي سعيد الخدري قال: **«من قرأ سورة الكهف ليلة[4] الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين**

(١) مسلم (حديث ٨٠٩).

(٢) البخاري (حديث ٣٦١٤) وفي غير موطنٍ من «صحيحه»، ومسلم (ص٥٤٨) حديث (٧٩٥).

(٣) الدارمي (٢/ ٤٥٤).

(٤) وفي رواية أشار إليها الحافظ ابن كثير وعزاها السعيد بن منصور (يوم الجمعة)، وثمَّ رواية مُطلقة (بدون يوم ولا ليلة)، وانظر «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٤٧٤) وقد رجح الموقوف هناك.

البيت العتيق».

وقد روي مرفوعًا، لكن الموقوف أصح، ثم إن له حكم المرفوع.

* * *

س: هل صح لهذه السورة الكريمة المباركة سبب نزول؟

ج: لم يصح لها سبب نزول:

أما ما ذكره الطبري[1] من سبب نزول لها فهو ضعيف الإسناد، ألا وهو ما ذكره ابن عباس - رضي الله عنهما - فيما يروي أبو جعفر الطبري قال:

بعثت قريش النضر بن الحارث، وعُقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصِفُوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجا حتى قَدِمَا المدينة، فسألوا أحبار يهودَ عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره، وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم؛ لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنَّ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّل، فرَوْا فيه رأيكم!

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوَّل، ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتَّبعوه، وإنه هو لم يخبركم، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

---

(١) الطبري (٢٢٨٦١) وإسناده ضعيف، ففيه شيخ لم يُسم.

فأقبل النضر وعقبة حتىٰ قدما مكة علىٰ قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهودَ أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أُخْبِرُكُمْ غداً بما سألتُمْ عَنْهُ، ولم يستثن، فانصرفوا عنه.

فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحْدث اللهُ إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبرائيل ـ عليه السلام ـ حتىٰ أرجف أهل مكة وقالوا: وَعَدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة، قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتىٰ أحزن رسولَ الله ﷺ مُكْثُ الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه علىٰ حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطوَّاف، وقول الله عزَّ وجل: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ [الكهف: ١] يعني: محمداً، إنك رسولي في تحقيق ما سألوا عنه من نبوته ﴿**وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝ قَيِّمًا**﴾ [الكهف: ١، ٢] أي: معتدلاً لا اختلاف فيه.

❊ ❊ ❊

س: ما الشيء الذي يحمد ربُّنا ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عليه نفسه في هذا المقام؟

ج: ابتداءً فربنا ـ سبحانه وتعالىٰ ـ المحمود علىٰ كل حال، وفي كل وقت وحين، وإنما يحمد ربنا نفسه في هذا المقام علىٰ إنزاله هذا الكتاب علىٰ نبيه

ﷺ سويًّا مستقيمًا لا اختلاف بين آياته، ولا تعارض بينها، مرشدًا إلى كل خير، ناهيًا عن كل شرٍّ، قائمًا بأمر الناس، دالاً على كل ما يحتاجون إليه.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

قد تقدم في أول التفسير أنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتيمها، فإنه المحمود على كل حال وله الحمد في الأولى والآخرة؛ ولهذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ؛ فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور، حيث جعله كتابًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا زيغ، بل يهدي إلى صراط مستقيم، واضحًا بيِّنًا جليًّا، نذيرًا للكافرين، وبشيرًا للمؤمنين، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١] أي: لم يجعل فيه اعوجاجًا ولا زيغًا ولا ميلاً، بل جعله معتدلاً مستقيمًا؛ ولهذا قال: ﴿قَيِّمًا﴾ [الكهف: ٢] أي: مستقيمًا.

هذا، وثمَّ معنى آخر يورده العلماء في مثل هذا المقام، ألا وهو أن قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الكهف: ١]، مسبوق بمقدرٍ محذوف، والمعنى قولوا الحمد لله، أي: احمدوا ربكم على إنزاله الكتاب هاديًا لكم، قائمًا بأموركم، دالاً على كل ما تحتاجون إليه، لا اختلاف بين آياته ولا تعارض بينها.

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي يمتن الله عزَّ وجل فيها على عباده بإنزال هذا القرآن منذرًا ومحذرًا من ترك العمل به ومبشرًا العاملين المؤمنين؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

* وقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

* وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[التوبة: ١٢٤، ١٢٥]

* وكذا آيات سورة الكهف التي نحن بصددها:

* وكذا قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

* وقوله تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ﴾ [الأعراف: ٢] استدل بها بعض العلماء على مسألة من مسائل المعتقد، ما المسألة؟ وما وجه الاستدلال؟

ج: أما المسألة فهي مسألة علو الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ واستوائه علىٰ عرشه، أما وجه الاستدلال فمن ناحية أن الإنزال يكون من أعلىٰ.

* * *

س: من المراد بالعبد في هذا المقام؟

ج: المراد بالعبد في الآية الكريمة رسول الله محمد ﷺ.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

أي صدقًا في الإخبار، وعدلاً في الأحكام، وفي كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]، أي: لم يجعل فيه اختلافًا، قاله ابن الجوزي في «زاد المسير».

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿قَيِّمًا﴾ [الكهف: ٢]؟

ج: قال الشنقيطي -رحمه الله تعالى في تفسيرها: وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿قَيِّمًا﴾ أي: مستقيمًا، لا ميل فيه ولا زيغ، وما ذكره هنا من كونه «قيمًا» لا ميل فيه ولا زيغ -بيَّنه أيضًا في مواضع أخر، كقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ١، ٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ الآية [الإسراء: ٩].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وقوله: ﴿الم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].

وقوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقوله: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

وهذا الذي فسرنا به قوله تعالى: ﴿قَيِّمًا﴾ [الكهف: ٢] وهو قول الجمهور وهو الظاهر.

وعليه فهو تأكيد في المعنى لقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]؛ لأنه قد يكون الشيء مستقيمًا في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر.

ولذا جمع تعالى بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي قوله: ﴿قَيِّمًا﴾ وجهان آخران من التفسير:

الوجه الأول: أن معنى كونه: ﴿قَيِّمًا﴾ أنه قيم على ما قبله من الكتب السماوية أي مهيمن عليه، وعلى هذا التفسير فالآية كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾ الآية [المائدة: ٤٨].

ولأجل هيمنته على ما قبله من الكتب قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ الآية [النمل: ٧٦]، قال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، وقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ١٥].

الوجه الثاني ـ أن معنى كونه ﴿قَيِّمًا﴾ أنه قيم بمصالح الخلق الدينية والدنيوية، وهذا الوجه في الحقيقة يستلزمه الوجه الأول.

* * *

س: يذكر بعض أهل العلم أن في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا﴾ [الكهف: ٢] تقديمًا وتأخيرًا، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن المراد ـ والله أعلم ـ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيمًا، ولم يجعل له عوجًا، فقوله: قيمًا وصف ملاصق للكتاب.

* * *

س: اذكر بعض ما يدل على قيام هذا القرآن على الكتب قبله يصدق ما ورد فيها، ويبين الدخيل الذي أدخله أهل الكفر عليها، ويبين ما أخفاه أهل الكتاب مما ورد فيها؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

* * *

س: اذكر ما يدل على أن نعيم الجنة لا يفنى ولا يبيد ولا ينقطع؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢، ٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧].

أخرج مسلم [(١)] في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «يُنادي مناد: إنَّ لكُم أنْ تصحُّوا فلاَ تسقَموا أبدًا، وإنَّ لكُم أنْ تحيوا فلاَ تموتُوا أبَدًا، وإنَّ لكُم أنْ تَشبُّوا فلاَ تهرَمُوا أبدًا، وإنَّ لكُم أنْ تنعمُوا فلاَ تبأسُوا أبدًا» فذلك قولُهُ عزَّ وجل: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

* * *

س: ما معنى الإنذار؟

ج: قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

والإنذار: الإعلام المقترن بتخويف وتهديد، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذار، والإنذار يتعدىٰ إلىٰ مفعولين، كما في قوله تعالىٰ:

---

(١) مسلم (حديث ٢٨٣٧).

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤].

وقوله: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ الآية [النبأ: ٤٠].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ [الكهف: ٢] ينذر من؟

ج: ينذر من خالفه وكذَّبه ولم يؤمن به، بل وينذر العالمين جميعًا - إنسهم وجنهم - كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

* * *

س: من قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ [الكهف: ٢] يُستفاد منهج في الدعوة إلى الله، وضح هذا المنهج؟

ج: إيضاحه، والله تعالى أعلم، أن الداعي إلى الله عليه أن يسلك السبيلين في دعوته إلى الله، ألا وهما سبيلا الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير.

فكما أنه يتحدث عن العذاب فينبغي أن يتحدث عن النعيم، وكما أنه يتحدث عن غضب الله فينبغي أن يتحدث عن سعة رحمته، وكما أنه يتحدث عن مؤاخذة الله العباد بذنوبهم، يتحدث أيضًا عن عفوه عنهم حتى لا ييأس شخص من روح الله، ولا يقنط قانطٌ من رحمة الله، وأيضًا حتى لا يستهتر مستهترٌ، ويستهزأ مستهزئٌ.

وينبغي أن ينزل الأمور منازلها، يُرغِّب إذا رأى الأمر يحتاج إلى ترغيب، ويذكِّر بآيات الترهيب إذا استدعى المقام ذلك، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

* * *

س: ما فائدة التقييد بقوله: ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢]؟

ج: ذلك لبيان عظيم قدر هذا العذاب.

ففي دنيانا ـ علىٰ سبيل الإيضاح ـ لو قلت جاءتني هدية من عند الملك لأشعرت بقولك هذا أنها هدية عظيمة.

فقوله: ﴿بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢] أي: عذابًا عظيمًا من عنده.

* * *

س: من الطوائف الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا؟

ج: هم جملة طوائف؛ فمنهم مشركو العرب الذين قالوا إن الملائكة إناث، وإنهم بنات الله قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

ومن اليهود الذين قالوا عزيرٌ ابن الله، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

ومنهم النصارىٰ القائلون بأن المسيح ابن الله قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

قال الشنقيطي ـ رحمه الله:

وقد قدمنا أن القرآن بيَّن أن الذين نسبوا الولد لله ـ سبحانه وتعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً ـ ثلاثة أصناف من الناس:

اليهود، والنصارىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾ الآية [التوبة: ٣٠].

والصنف الثالث مشركو العرب، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] والآيات بنحوها كثيرة معلومة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الكهف: ٥]؟

ج: قوله ﴿بِهِ﴾ يحتمل وجهين:

أولهما: (به)، أي بالله، أي ما لهم بالله من علم.

ثانيهما: (به): أي بهذا القول المفترىٰ، أي: أنهم قالوا ما قالوه عن جهلٍ، وقلة علم، وسوء أدب.

* * *

س: مَن المعنيون بالآباء في قوله تعالى: ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]؟

ج: المعنيُّون هم الأسلاف عمومًا.

* * *

س: ما المراد بالكلمة في قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ [الكهف: ٥]؟

ج: المراد بالكلمة الكلام، وكثيراً ما تطلق الكلمة علىٰ الكلام جملةً كان، أو مجموعةً من الجُمل.

قال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا . . . ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فأطلق على قوله : رب ارجعون كلمة .

❊ ❊ ❊

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [الكهف: ٥]؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، عظمت هذه الكلمة في شناعتها، وفحشت في نكارتها، واشتدت عقوبتها تلك الكلمة القبيحة، فأي شناعة أشنع من قول من قال اتخذ الله ولداً، وأي قبحٍ أعظم من هذا القبح .

إن السموات تكاد أن تتفطر لشناعتها وبشاعتها، إن الأرض تكاد أن تنشق منه، وكذلك فالجبال توشك أن تخر هدًّا من هذا القول البشع الذي يقتضي وصف الرب باتخاذ الولد، ذلكم الوصف الذي يقتضي النقص والعيب، ثم هو شرك بالله، وكذبٌ على الله .

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، أي إنها قول بالفم لا صحة لها، ولا دليل عليها .

❊ ❊ ❊

س: دعوى الولد لله عزَّ وجل دعوى قبيحة في غاية القبح، وفريةٌ في غاية من الافتراء، وكذبةٌ من أقبح الكذب دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي :

❊ قوله تعالى : ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٤، ٥] .

* وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

* وقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠].

* وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

* وقوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي تنفي الولد عن الله سبحانه وتعالى؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٨٨-٩٠].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

* وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

والآيات كثيرة جدًا، قدمناها في جملة من المواطن.

* * *

س: ما وجه هذه الآية الكريمة: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] اذكر شيئًا من تفسيرها؟

ج: هذه الآية الكريمة تحمل عتابًا لرسول الله ﷺ على شدة حزنه على كفر هؤلاء الكافرين، وتحمل نهيًا عن ذلك.

قال الطبري - رحمه الله تعالى: وهذه معاتبة من الله - عزَّ ذكره - على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيمًا.

قال الطبري - رحمه الله - في تفسيرها:

يعني - تعالى ذكره - بذلك: فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، تمرُّدًا منهم على ربهم، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك فيصدِّقوا بأنه من عند الله حزنًا وتلهفًا ووجدًا، بإدبارهم عنك، وإعراضهم عما أتيتهم به، وتركهم الإيمان بك.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]؟

ج: في معناها ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

* قوله تعالى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨].

* وقوله تعالى: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧].

* وقوله تعالى: ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

س: كيف لا يحزن الشخص على كفر الكافرين وردَّة المرتدين وقد جُبلت الأنفس المؤمنة على الفرح بإسلام الكفار، والحزن على المرتدين؟

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ بالحزن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧]، والآيات التي في معناها الحزن المُفرط الذي يتسبب في تلف الشخص وإهلاكه، وهوالمشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨]، والمشار إليه بقوله تعالى: ﴿بَاخِعٌ﴾ [الكهف: ٦] أي: مهلك.

هذا، وقد استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة على تحريم الانتحار وإهلاك النفس، والله تعالى أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾؟

ج: قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الرجال، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: العلماء، رواه مجاهد عن ابن عباس، فعلى هذين القولين تكون «ما» في موضع «مَنْ» لأنها في موضع إبهام، قاله ابن الأنباري.

والثالث: أنَّه ما عليها من شيء. قاله مجاهد.

والرابع: النبات والشجر. قاله مقاتل، وقول مجاهد أعمُّ، يدخل فيه النبات، والماء والمعادن، وغير ذلك.

فإن قيل: قد نرى بعض ما على الأرض سمجًا وليس بزينة.

فالجواب: أنا إن قلنا: إن المراد به شيء مخصوص، فالمعنى: إنا جعلنا

بعض ما على الأرض زينة لها، فخرج مخرج العموم، ومعناه الخصوص.

فإن قلنا: هم الرجال أو العلماء، فلعبادتهم أو لدلالتهم على خالقهم.

وإن قلنا: النبات والشجر؛ فلأنه زينة لها تجري مجرى الكسوة والحلية.

وإن قلنا: إنه عام في كل ما عليها، فلكونه دالاً على خالقه، فكأنَّه زينة الأرض من هذه الجهة.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧] فائدة نرجو إيضاحها؟

ج: هذه الفائدة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧] أي: أصوب عملاً وأخلص عملاً، فقوله أحسن يستلزم أمرين:

أن يكون العمل في نفسه صحيحًا صوابًا، وذلك بموافقته للكتاب والسُّنة، وأن يكون عاملُه مُخلصًا فيه لله يبتغي به وجهه.

وهذا المعنى هو الموجود في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وأيضًا ثمَّ فائدة من الآية الكريمة، ألا وهي أن الله قال: ﴿أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧] ولم يقل أكثر عملاً، فالعبرة بحسن العمل لا بكثرته، والله تعالى أعلم.

* * *

س: الدنيا دار ابتلاء، دلِّلْ على ذلك؟

ج: نعم، الدنيا دار ابتلاء، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود:٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾[الإنسان: ٢].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[الملك: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ[1]:

قال: «إن الدُّنيا حُلْوةٌ خَضرةٌ، وإنَّ اللهَ مستخلفكم فيهَا فَينْظرُ كيفَ تعملُون، فَاتَّقوا الدُّنيا واتَّقُوا النِّساءَ فإنَّ أولَ فتنة بَني إسْرائيل كانتْ فِي النِّساء».

* * *

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧]؟

ج: في معناها ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

* وقوله: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ

(١) مسلم (حديث ٢٧٤٢).

بِالأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

* وقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

* * *

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨] عقب قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧]؟

ج: وجه ذلك - والله أعلم - أن الآية فيها مواساةُ رسول الله ﷺ، فإن لكل شيءٍ غايةً ونهايةً، فالمعنى لا تغتر بما هم فيه من نعيم، ولا يهولنك ما هم فيه من دنيا، فكل ذلك إلى زوال وفناء، فسيأتي يوم يزول ما على وجه الأرض، فلا تأسف ولا يحزنك ما هم فيه من عنادٍ وشقاق.

وهذا كالمعنى الوارد في قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٦، ٥٧].

فالمعنى: يا عبادي الذين آمنوا، إن ضاقت عليكم بلادكم ودياركم وشق عليكم عبادة ربكم فيها فأرض الله واسعة، فهاجروا فيها، واعبدوا الله في أي مكان كان، وإن شق عليكم فراق الديار والأهل والجيران والأقارب والأحباب، فاعلموا أن كل نفس ذائقة الموت، فسيأتي يوم لزامًا أن تفارقونهم فيه يوم أن تموتوا أو يموت من تحبون، ثم إلى الله المرجع والمآب فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء على إساءته، والله تعالى أعلم.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

والآية بسط في التسلية، أي: لا تهتم يا محمد للدنيا وأهلها فإنا إنما

جعلنا ذلك امتحانًا واختبارًا لأهلها، فمنهم من يتدبر ويؤمن، ومنهم من يكفر، ثم يوم القيامة بين أيديهم، فلا يعظُمنَّ عليك كفرهم فإنا نجازيهم.

* * *

س: الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ [الكهف: ٩] موجهٌ لمن؟

ج: الخطاب لرسول الله ﷺ، ونحن له تبع.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]؟

ج: المعنى والمراد، والله تعالى أعلم: أفظننت أن ما حدث لأصحاب الكهف والرقيم كان أعجب آياتنا، كلا بل هناك آيات هي أعجب، وآيات هي أجل وأعظم فهذا القرآن الذي أُنزل عليك أعجب من ذلك.

قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [العنكبوت: ٥١].

فهذا القرآن الذي يدل على كل خير، ويُحذِّر من كل شرٍّ ويدعو إلي كل فضيلة ويُحذِّر من كل رذيلة، ويخبر بأصدق الأخبار، ويصحح كل معتقد، ويقود العاملين به والمستمسكين به إلى الجنة لهو أعجب مما حدث لأصحاب الكهف.

قال رسول الله ﷺ[1]: «**ما من نبيٍّ إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**».

---

(١) البخاري (حديث ٤٩٨١)، ومسلم (حديث ١٥٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول - تعالىٰ ذكره - لنبيه محمد ﷺ : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا، فإن ما خلقت من السموات والأرض، وما فيهن من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف، وحجتي بكل ذلك ثابتة علىٰ هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم من سائر عبادي.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله:

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يعني: يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:٩]، أي: ليس أمرهم عجيبًا في قدرتنا وسلطاننا، فإن خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والكواكب، وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ، وأنه علىٰ ما يشاء قادر، ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ [الكهف: ٩] أي: بل أحسبت، أو بل حسبت، ومعناها الانتقال من حديث إلىٰ حديث آخر، لا لإبطال الأول والإضراب عنه كما هو معنىٰ «بل» في الأصل.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى الرقيم؟

ج: ابتداءً قد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق سماك عن عكرمة عنه أنه قال: «كل القرآن أعلمه إلا (حنانا)، و(أواه)، و(الرقيم)»

وقد أخرجه الطبري، لكن هذا سند ضعيف عن ابن عباس.

هذا، وقد ورد عن ابن عباس - رضي االله عنهما - من وجه آخر أنه لا يدري ما الرقيم.

هذا، وإن وردت عن ابن عباس بعض الأسانيد بتفسير الرقيم، فيحمل ذلك علىٰ أنه توقف أولاً، ثم اجتهد وفسَّر أو العكس، والله أعلم.

أما عن مزيد من الأقوال في شأن الرقيم:

قال الطبري - رحمه الله:

وأولىٰ هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنيًّا به: لوح، أو حجر، أو شيء كُتب فيه كتاب.

وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كُتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أوَوْا إلىٰ الكهف، ثم قال بعضهم: رُفع ذلك اللوح في خزانة الملك.

وقال بعضهم: بل جُعل علىٰ باب كهفهم.

وقال بعضهم: بل كان ذلك محفوظًا عند بعض أهل بلدهم، وإنما الرقيم: فعيل، أصله مرقوم، ثم صرف إلىٰ فعيل، كما قيل لمجروح: جريح، وللمقتول: قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبه، ومنه قيل للرقم في الثوب رقم؛ لأنه الخط الذي يعرف به ثمنه، ومن ذلك قيل للحيَّة: أرقم، لما فيه من الآثار، والعرب تقول: عليك بالرقمة، ودع الضفة، بمعنىٰ: عليك برقمة الوادي حيث الماء، ودع الضفة الجانبة، والضفتان: جانبا الوادي، وأحسب أن الذي قال الرقيم. الوادي.

ذهب به إلىٰ هذا، أعني به إلىٰ رقمة الوادي.

قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «أضواء البيان»:

والكهف: النقب المتسع في الجبل، فإن لم يك واسعًا فهو غار، وقيل: كل غار في جبل كهف، وما يروىٰ عن أنس من أن الكهف نفس الجبل غريب، غير معروف في اللغة.

واختلف العلماء في المراد بـ «الرقيم»: في هذه الآية علىٰ أقوال كثيرة، قيل: الرقيم اسم كلبهم، وهو اعتقاد أمية بن أبي الصلت، حيث يقول:

وليس بها إلا الرقيم مجاورًا وصيدهم والقوم في الكهف همد

وعن الضحاك ـ أن الرقيم: بلدة بالروم، وقيل: اسم الجبل الذي فيه الكهف، وقيل: اسم للوادي الذي فيه الكهف، والأقوال فيه كثيرة ـ وعن ابن عباس أنه قال: لا أدري ما الرقيم ؟ أكتاب أم بنيان؟

وأظهر الأقوال عندي: بحسب اللغة العربية وبعض آيات القرآن أن الرقيم معناه: المرقوم، فهو فعيل بمعنىٰ مفعول، من رقمت الكتاب إذا كتبته، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ الآية [المطففين: ٩]، سواء قلنا: إن الرقيم كتاب كان عندهم، فيه شرعهم الذي تمسكوا به، أو لوح من ذهب كتبت فيه أسماؤهم، وأنسابهم، وقصتهم، وسبب خروجهم، أو صخرة نقشت فيها أسماؤهم، والعلم عند الله تعالىٰ.

* * *

س: وضح معنى قول الفتية: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] ؟

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم، يا ربنا هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها من القوم الذين يريدون أذانا، وتسترنا بها عنهم، وتنقذنا بها مما نحن فيه من

هموم وغموم وأحزان.

ويسر لنا من الأمور ما نسترشد به في دنيانا ولأُخرانا.

* * *

س: ما المراد بالرحمة في قول الفتية: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: ١٠]؟

ج: الرحمة هنا عامةٌ؛ فتشمل الهداية، وتشمل سعة الأرزاق، وتشمل الرعاية والحفظ والنجاة مما هربوا منه وخافوه، وتشمل المغفرة، والله أعلم.

* * *

س: ما الوجوه التي ذكرها العلماء في قول الفتية ﴿مِنْ﴾ إذ قالوا: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] ؟

ج: قال الشنقيطي ـ رحمه الله:

ومعنى قوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: ١٠] أي: أعطنا رحمة من عندك، والرحمة هنا تشمل الرزق والهدى والحفظ مما هربوا خائفين منه من أذى قومهم والمغفرة.

والفتية: جمع فتى، جمع تكسير، وهو من جموع القلة.

ويدل لفظ الفتية على قلتهم، وأنهم شباب لا شيب، خلافًا لما زعمه ابن السراج من أن الفتية اسم جمع، لا جمع تكسير، وإلى كون مثل الفتية جمع تكسير من جموع القلة، أشار ابن مالك في «الخلاصة» بقوله:

أفعلة أفعل ثم فعلة ... كذاك أفعال جموع قلة

والتهيئة: التقريب والتيسير: أي يسر لنا، وقرب لنا من أمرنا رشداً.

والرشد: الاهتداء والديمومة عليه، و«من» في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الكهف: ١٠] فيها وجهان:

أحدهما ـ أنها هنا للتجريد، وعليه فالمعنى: اجعل لنا أمرنا رشدًا كله، كما تقول: لقيت من زيد أسدًا، ومن عمرو بحراً.

والثاني: أنها للتبعيض، وعليه فالمعنى: واجعل لنا بعض أمرنا أي: وهو البعض الذي نحن فيه من مفارقة الكفار رشداً حتى نكون بسببه راشدين مهتدين.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه الله:

عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم، وهذه من فصيحات القرآن التي أقرَّت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله.

قال الزجاج: أي: منعناهم عن أن يسمعوا؛ لأن النائم إذا سمع انتبه.

وقال ابن عباس: ضربنا على آذانهم بالنوم، أي سددنا آذانهم عن نفوذ الأصوات إليها.

وقيل: المعنى ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١] أي: فاستجبنا دعاءهم، وصرفنا عنهم شر قومهم، وأنمناهم، والمعنى كله متقارب.

وقال قُطْرُب: هذا كقول العرب: ضرب الأمير على يد الرعيَّة إذا منعهم الفساد، وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة إذا منعه من التصرف، قال الأسود بن يَعْفُر وكان ضَرِيراً:

ومن الحوادث لا أبَا لك أنني ... ضُرِبتْ عليَّ الأرضُ بالأسداد

وأما تخصيص الآذان بالذكر فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم،

وقلَّما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يُستحكم نوم إلا من تَعَطُّل السمع، ومن ذِكْر الأذن في النوم قوله ﷺ: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنه**» خرجه الصحيح أشار عليه السلام إلىٰ رجل طويل النوم لا يقوم الليل.

وقال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في «أضواء البيان»:

وضربه ـ جل وعلا ـ علىٰ آذانهم في هذه الآية الكريمة كناية عن كونه أنامهم، ومفعول «ضربنا» محذوف، أي ضربنا علىٰ آذانهم حجابًا مانعًا من السماع، فلا يسمعون شيئًا يوقظهم، والمعنىٰ: أنمناهم إنامة ثقيلة، لا تنبههم فيها الأصوات.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١] كم هذه السنون؟

ج: ذلك موضح بقوله تعالىٰ: **﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾** [الكهف: ٢٥].

* * *

س: من المراد بالحزبين في قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف: ١١]؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه الله:

والحزبان: الفريقان، والظاهر من الآية أن الحزب الواحد: هم الفتية إذ ظنوا لبثهم قليلاً، والحزب الثاني: أهل المدينة الذين بُعث الفِتْية علىٰ عهدهم، حين كان عندهم التاريخ لأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين.

وقالت فرقة: هما حزبان من الكافرين، اختلفا في مدة أصحاب

الكهف، وقيل: هما حزبان من المؤمنين.

وقيل: غير ذلك مما لا يرتبط بألفاظ الآية.

قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى: وأكثر المفسرين على أن أحد الحزبين هم أصحاب الكهف.

والحزب الثاني: هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية.

وقيل: هما حزبان من أهل المدينة المذكورة، كان منهم مؤمنون وكافرون.

وقيل: هما حزبان من المؤمنين في زمن أصحاب الكهف.

اختلفوا في مدة لبثهم، قال الفراء: وعن ابن عباس: الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب، وأصحاب الكهف حزب، إلى غير ذلك من الأقوال.

والذي يدل عليه القرآن: أن الحزبين كليهما من أصحاب الكهف.

وخير ما يفسر به القرآن القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾ [الكهف: ١٩].

وكأن الذين قالوا: ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾ [الكهف: ١٩] هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول.

ولقائل أن يقول: قوله عنهم: ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾ [الكهف: ١٩] يدل على أنهم لم يحصوا مدة لبثهم، والله تعالى أعلم.

* * *

س: هل بعث هؤلاء الفتية كان فقط: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢] ؟

ج: لم يكن لذلك فقط، بل لعلل أُخرىٰ هي أهم وأعظم قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

* * *

س: ما وجه الاستفادة بمعرفة أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً، وكذا ما وجه الاستفادة من قوله: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ١٩]؟

ج: فائدة هذا وذاك إثارة التساؤل الذي يتبعه ظهور أمر هؤلاء الفتية الذي يصاحبه بيان قدرة الله ـ عزَّ وجل ـ علىٰ الإحياء والإماتة، والله تعالىٰ أعلم.

هذا، وقد قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «أضواء البيان»:

فإن قيل: أي فائدة مهمة في معرفة الناس الحزب المحصي أمد اللبس من غيره، حتىٰ يكون علة غائبة؛ لقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ...﴾ [الكهف: ١٢] الآية؟ وأي فائدة مهمة في مساءلة بعضهم بعضًا، حتىٰ يكون علة غائبة؛ لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ١٩] ؟

فالجواب: أنا لم نر من تعرض لهذا، والذي يظهر لنا ـ والله تعالىٰ أعلم ـ أن ما ذكر من إعلام الناس بالحزب الذي هو أحصىٰ أمدًا لما لبثوا، ومساءلة بعضهم بعضًا عن ذلك، يلزمه أن يظهر للناس حقيقة أمر هؤلاء الفتية، وأن الله ضرب علىٰ آذانهم في الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، ثم بعثهم أحياء، طرية أبدانهم، لم يتغير لهم حال، وهذا من غريب صنعه ـ جل وعلا ـ الدال علىٰ كمال قدرته، وعلىٰ البعث بعد الموت، ولاعتبار هذا اللازم

جعل ما ذكرنا علة غائية، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: هل قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ﴾ [الكهف: ١٢] يدل على أن الله لم يكن يعلم إلا بعد بعثهم؟

ج: كلا، بل الله يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

واعلم أن قوله ـ جل وعلا ـ في هذه الآية الكريمة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ...﴾ [الكهف: ١٢] الآية.

لا يدل علىٰ أنه لم يكن عالمًا بذلك قبل بعثهم، وإنما علم بعد بعثهم، كما زعمه بعض الكفرة الملاحدة! بل هو ـ جل وعلا ـ عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء، والآيات الدالة علىٰ ذلك لا تحصىٰ كثرة.

وقد قدمنا ـ أن من أصرح الأدلة علىٰ أنه ـ جل وعلا ـ لا يستفيد بالاختبار والابتلاء علمًا جديدًا ـ سبحانه وتعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ قوله تعالىٰ في آل عمران: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] بعد قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ [آل عمران: ١٥٤] دليل واضح في ذلك.

وإذا حققت ذلك فمعنىٰ: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢] أي: نعلم ذلك علمًا يظهر الحقيقة للناس، فلا ينافي أنه كان عالمًا به قبل ذلك دون خلقه.

* * *

أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾
وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا
﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ
مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا

يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ
طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ
بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ
أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ
ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ
رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا
بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا
وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ
إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَۚ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ نَبَأَهُم - بِالْحَقِّ - فِتْيَةٌ - هُدًى - وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ - لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا - شَطَطًا - اتَّخَذُوا - بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ - افْتَرَى - إِلاَّ اللَّهَ - فَأْوُوا - يَنشُرْ لَكُمْ - يُهَيِّئْ - مِّرْفَقًا - تَّزَاوَرُ - ذَاتَ الْيَمِينِ - تَّقْرِضُهُمْ - فَجْوَةٍ - مِنْ آيَاتِ اللَّهِ - وَلِيًّا - مُرْشِدًا - رُقُودٌ - ذَاتَ الْيَمِينِ - ذَاتَ الشِّمَالِ - بِالْوَصِيدِ - لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ - رُعْبًا - بَعَثْنَاهُمْ - بِوَرِقِكُمْ - أَزْكَى طَعَامًا - بِرِزْقٍ مِّنْهُ - وَلْيَتَلَطَّفْ - لا يُشْعِرَنَّ - يَرْجُمُوكُمْ - يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ - لَن تُفْلِحُوا - أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ - لا رَيْبَ فِيهَا - رَجْمًا بِالْغَيْبِ - تُمَارِ - مِرَاءً ظَاهِرًا - لا تَسْتَفْتِ - إِذَا نَسِيتَ - لَهُ غَيْبُ - أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ - مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ - وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا - وَاتْلُ - لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ - مُلْتَحَدًا ﴾.

الكلمة	معناها
﴿نَبَأَهُم﴾	خبرهم .
﴿بِالْحَقِّ﴾	بالصدق واليقين .
﴿فِتْيَةٌ﴾	شباب .
﴿هُدًى﴾	إيمانًا - بصيرة - يقينًا - ثباتًا .
﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾	قوينا قلوبهم - ألهمناها الصبر - قوّينا عزائمهم .
﴿لَن نَّدْعُوَ من دُونه إِلَهًا﴾	لن نعبد غيره .
﴿شَطَطًا﴾	باطلاً - بهتانًا - كذبًا .
﴿اتَّخَذُوا﴾	عبدوا .
﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾	دليل واضح - حجة ظاهرة .
﴿افْتَرَى﴾	اختلق .
﴿إِلاَّ اللَّهَ﴾	سوىٰ الله - من دون الله .
﴿فَأْوُوا﴾	اذهبوا - انزلوا .
﴿يَنشُرْ لَكُمْ﴾	يبسط لكم .
﴿يُهَيِّئْ﴾	ييسر .
﴿مِّرْفَقًا﴾	منفعة ترتفقون بها - تنتفعون بها .
﴿تَّزَاوَرُ﴾	تميل .
﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾	يمينًا - ناحية اليمين .
﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾	تتركهم - تتجاوز عنهم لا تقترب منهم .
﴿فَجْوَةٍ﴾	متسعٍ - مكان داخل - فتحة في الداخل .

الكلمة	معناها
﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾	من دلائل قدرة الله ـ من معجزات الله .
﴿وَلِيًّا﴾	ناصراً .
﴿مُّرْشِدًا﴾	مُوفقًا .
﴿رُقُودٌ﴾	نيام .
﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾	على الجانب الأيمن .
﴿وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾	للجانب الأيسر .
﴿بِالْوَصِيدِ﴾	الفناء ـ الباب (ومنه إنها عليهم مؤصدة) .
﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾	لو نظرت إليهم ـ لو وقفت على أمرهم ـ لو رأيتهم .
﴿رُعْبًا﴾	فزعًا .
﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾	أقمناهم من نومهم .
﴿بِوَرِقِكُمْ﴾	بدراهم الفضة التي معكم .
﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾	أطيب طعامًا ـ أحلّ (من الحلال) طعامًا .
﴿بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾	بشيء منه (مما يرزقنا الله) .
﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾	يذهب في لطفٍ وخفاء .
﴿لا يُشْعِرَنَّ﴾	لا يعلمن ـ لا يُخبرن .
﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾	يرجموكم بالأحجار ـ يقذفونكم بالسباب والشتم .
﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾	يردوكم إلى الكفر .
﴿لَن تُفْلِحُوا﴾	لن تدركوا الفلاح ، وهو الفوز بالمطلوب والنجاة من

الكلمة	معناها
	المرهوب .
﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾	أطلعنا عليهم ـ أظهرنا أمرهم للناس .
﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾	لاشك فيها .
﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾	قولاً بلا علم ـ تكلمًا بالظن .
﴿بِعِدَّتِهِمْ﴾	بعددهم .
﴿تُمَارِ﴾	تجادل .
﴿مِرَاءً ظَاهِرًا﴾	جدلاً ظاهرًا عليه دليل .
﴿لَا تَسْتَفْتِ﴾	لا تسأل ـ لا تستخبر ـ لا تستعلم .
﴿إِذَا نَسِيتَ﴾	إذا نسيت أن تذكره ـ إذا غضبت .
﴿لَهُ غَيْبُ﴾	له علم غيب .
﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾	لا أحد أبصر من الله ، ولا أحد أسمع من الله .
﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾	ما لهم سوى الله من شخص يتولاهم وينصرهم .
﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾	لا يجعل في قضائه أحدًا معه ، وكذلك لا يشرك في تشريعاته أحدًا .
﴿وَاتْلُ﴾	واتبع ـ واقرأ .
﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾	لا مغير لقضائه ولا لقدره ، لا مُحرف لكتبه .
﴿مُلْتَحَدًا﴾	ملجأ تلجأ إليه .

س: هل لوصفهم بأنهم فتية مغزًى أو فائدة؟

ج: نعم، لذلك مغزًى وفائدة.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

من ها هنا شرع في بسط القصة وشرحها، فذكر تعالىٰ ـ أنهم فتية ـ وهم الشباب ـ وهم أقبلُ للحق، وأهدىٰ للسبيل من الشيوخ الذين قد عتَوا وعَسَوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ شبابًا، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا علىٰ دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل، وهكذا أخبر تعالىٰ عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا.

وقال القرطبي ـ رحمه الله:

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ [الكهف: ١٣] أي شباب وأحداث حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة، كذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الإيمان.

وقال الجُنيد: الفتوة: بذل النَّدَىٰ، وكفُّ الأذىٰ، وترك الشكوىٰ.

وقيل: الفُتوَّة اجتناب المحارم، واستعجال المكارم، وقيل غير هذا، وهذا القول حسن جدًا؛ لأنه يعمُّ بالمعنىٰ جميع ما قيل في الفتوة.

* * *

س: ما شأن هؤلاء الفتية أصحاب الكهف؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

وقد ذُكِرَ أنهم كانوا علىٰ دين عيسىٰ ابن مريم ـ عليه السلام، والله أعلم، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية؛ فإنهم لو كانوا علىٰ دين النصرانية لما اعتنىٰ أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم، وقد

تقدم عن ابن عباس أن قريشًا بعثوا إلىٰ أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ، فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء، وعن خبر ذي القرنين، وعن الروح، فدل هذا علىٰ أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب، وأنه متقدم علىٰ دين النصرانية، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤]، يقول تعالىٰ: وصبَّرناهم علىٰ مخالفة قومهم ومدينتهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة، فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يومًا في بعض أعياد قومهم، وكان لهم مجتمعًا في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكان يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له: دقيانوس، وكان يأمر الناس بذلك، ويحثهم عليه، ويدعوهم إليه.

فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلىٰ ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه، وينحاز منهم، ويتبرز عنهم ناحية، وكان أول من جلس منهم أحدهم، جلس تحت ظل شجرة، فجاء الآخر فجلس عنده، وجاء الآخر فجلس إليهما، وجاء الآخر فجلس إليهم، وجاء الآخر، وجاء الآخر [وجاء الآخر]، ولا يعرف واحد منهم الآخر، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم علىٰ الإيمان.

كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقًا من حديث يحيىٰ بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**

أخرجه مسلم في «صحيحه»[١] من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

والناس يقولون: الجنسية علة الضم.

والغرض أنه جعل كل واحد منهم يكتم ما هو فيه عن أصحابه خوفًا منهم، ولا يدري أنهم مثله، حتىٰ قال أحدهم: تعلمون والله، يا قوم أنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء، فليظهر كل واحد منكم ما بأمره، فقال آخر: أمَّا أنا فإني والله، رأيت ما قومي عليه، فعرفت أنه باطل، وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به شيء هو الله الذي خلق كل شيء: السموات والأرض وما بينهما.

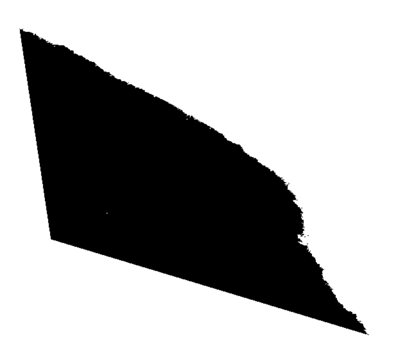
فقال الآخر: وأنا والله، وقع لي كذلك، وقال الآخر كذلك، حتىٰ توافقوا كلهم علىٰ كلمة واحدة، فصاروا يدًا واحدة، وإخوان صدق، فاتخذوا لهم معبدًا يعبدون الله فيه، فعرف بهم قومهم، فوشوا بأمرهم إلىٰ ملكهم، فاستحضرهم بين يديه، فسألهم عن أمرهم، وما هم عليه، فأجابوه بالحق ودعوه إلىٰ الله عز وجل؛ ولهذا أخبر تعالىٰ عنهم بقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا﴾ [الكهف: ١٤]، ولن لنفي التأبيد، أي: لا يقع منا هذا أبدًا؛ لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً، ولهذا قال عنهم: ﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤] أي: باطلاً وكذبًا وبهتانًا.

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أي: هلاَّ أقاموا علىٰ صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحًا صحيحًا؟! ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٣٨).

يقولون: بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال: إن ملكهم لما دَعَوه إلىٰ الإيمان بالله أبىٰ عليهم، وتهددهم، وتوعدهم، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم، وأجَّلهم لينظر في أمرهم لعلهم يراجعون . . . كان هذا من لطف الله بهم، فإنهم في تلك النظرة



أحدهم نظر إلىٰ موضع قدميه لأبصرنا!! فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»[1] وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠] فقصة هذا الغار أشرف وأجل أعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف.

وقد قيل: إن قومهم ظفروا بهم، ووقفوا علىٰ باب الغار الذي دخلوه، 'الوا: ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم، فأمر الملك بردم عليهم ليهلكوا مكانهم، ففُعِل ذلك، وفي هذا نظر، والله أعلم، فإن تعالىٰ قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيًا.

'ال الحافظ ابن كثير أيضًا:

وا أ[illegible] أراد أحدهم الخروج ليذهب إلىٰ المدينة في شراء شيء لهم ه تنكر [illegible] وخرج يمشي في غير الجادة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المدينة، وذكروا أن [illegible] وهو يظن أنه قريب العهد بها، وكان الناس قد تبدلوا قرنًا [illegible] د جيل [illegible] أمة بعد أمة، وتغيرت البلاد ومَنْ عليها كما

[illegible] جال الحي غير رجاله

[illegible] التي يعرفها [illegible] ولا يعرف أحدًا من أهلها، [illegible] نفسه ويقول: لعل بي جنونًا أو [illegible] ان عهدي بهذه

هنا لأولى لي، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه ما معه من النفقة، وسأله أن يبيعه بها طعامًا، فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضَرْبها، فدفعها إلى جاره، وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون: لعل هذا قد وجد كنزًا، فسألوه عن أمره، ومن أين له هذه النفقة؟ لعله وجدها من كنز، ومن أنت؟ فجعل يقول: أنا من أهل هذه المدينة، وعهدي بها عشية أمس، وفيها دقيانوس، فنسبوه إلى الجنون.

فحملوه إلى وليِّ أمرهم، فسأله عن شأنه وعن أمره، حتى أخبرهم بأمره ـ وهو متحير في حاله وما هو فيه ـ فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف ـ مُتَولِّي البلد وأهلها ـ حتى انتهى بهم إلى الكهف، فقال: دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي، فيقال: إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه، وأخفى الله عليهم خبره.

ويقال: بل دخلوا عليهم، ورأوهم، وسلم عليهم الملك واعتنقهم، وكان مسلمًا فيما قيل، واسمه تيدوسيس، ففرحوا به، وآنسوه الكلام، ثم ودعوه وسلموا عليه، وعادوا إلى مضاجعهم، وتوفاهم اللَّه عز وجل، فاللَّه أعلم.

* * *

س: الإيمان يزيد وينقص، ومن سلك طريق الهداية زاده الله هدًى، دلِّل على ذلك؟

ج: ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] فلما آمنوا زادهم الله هدى.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[مريم: ٧٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ [الكهف: ١٤] ؟

ج: قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ [الكهف: ١٤].

أي ثبتنا قلوبهم، وقويناها علىٰ الصبر، حتىٰ لا يجزعوا، ولا يخافوا من أن يصدعوا بالحق، ويصبروا علىٰ فراق الأهل والنعيم، والفرار بالدين في غار في جبل لا أنيس به، ولا ماء، ولا طعام.

ويفهم من هذه الآية الكريمة: أن من كان في طاعة ربه - جل وعلا - أنه تعالىٰ يقوي قلبه، ويثبته علىٰ تحمل الشدائد، والصبر الجميل.

وقد أشار تعالىٰ إلىٰ وقائع من هذا المعنىٰ في مواضع أخر، كقوله في أهل بدر مخاطبًا نبيه ﷺ وأصحابه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ الآية [الأنفال: ١١، ١٢]، وكقوله في أم موسىٰ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[القصص: ١٠].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ [الكهف: ١٤] قاموا لمن؟

ج: قاموا في وجه من أمروهم بعبادة الأوثان.

قال الطبري ـ رحمه الله:

وقوله: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤] يقول حين قاموا بين يدي الجبار دقينوس، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥]؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لولا يأتون بدليل واضح وحجة ظاهرة.

قال القرطبي ـ رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ [الكهف: ١٥] أي: قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا، أي: أهل عصرنا وبلدنا، عبدوا الأصنام تقليداً من غير حجة، ﴿لَّوْلا﴾ [الكهف: ١٥] أي: هلاَّ ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥] أي بحجة على عبادتهم الصنم، وقيل: ﴿عَلَيْهِم﴾ راجع إلى الآلهة، أي: هلاَّ أقاموا بينةً على الأصنام في كونها آلهة، فقولهم: ﴿لَّوْلا﴾ تحضيض بمعنى التعجيز، وإذا لم يمكنهم ذلك لم يجب أن يُلتفت إلى دعواهم.

* * *

س: كثيراً ما يُطلب من أهل الشرك الإتيان ببرهان على مدعاهم وبحجج تشهد لهم لتعجيزهم وإبطال حججهم، اذكر بعض الوارد في ذلك؟

ج: أورد الشنقيطي طائفة من ذلك فقال عند تفسير قول الفتية أصحاب

الكهف: ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥] والمراد بهذا الطلب التعجيز؛ لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسلطان بيِّن على جواز عبادة غير الله تعالى، والمراد بالسلطان البين: الحجة الواضحة.

وما ذكره - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة: من تعجيزهم عن الإتيان بحجة على شركهم وكفرهم، وإبطال حجة المشركين على شركهم - جاء موضحًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، وقوله تعالى منكرًا عليهم: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١]، وقوله جل وعلا: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، والآيات الدالة على أن المشركين لا مستند لهم في شركهم إلا تقليد آبائهم الضالين كثيرة جدًا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا.

هذا، وقد أورد الطبري - رحمه الله - بسند حسن عن قتادة قوله: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾[الكهف: ١٥] يقول: بعذر بين، وعنى بقوله عزَّ ذكرُه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[الكهف: ١٥] ومن أشد اعتداءً وإشراكًا بالله ممن اختلق فتخرص على الله كذبًا، وأشرك مع الله في سلطانه شريكًا يعبده دونه، ويتخذه إلهًا.

* * *

س: كيف الجمع بين هذه الآيات؟ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤].

وقوله تعالى في الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» إلى غير ذلك من الآيات؟

ج: لأهل العلم في ذلك مسلكان:

أحدهما: أن كل المذكورين في الظلم سواء (في الدرجة العليا من الظلم).

الثاني: أن هذا يُنزل منزلة الاختصاص، بمعنى أن هناك كَذَبَةٌ كثيرون، أظلمهم الذين يكذبون على الله.

وهناك مانعون كثيرون، أظلمهم من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

وهناك من يضاهون، أظلمهم من يضاهي بخلق الله، والله أعلم.

* * *

س: من القائل: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾ [الكهف: ١٦] ؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ [الكهف: ١٦] قيل: هو من قول الله لهم، أي: وإذ اعتزلتموهم فأْوُوا إلىٰ الكهف.

وقيل: هو من قول رئيسهم يمليخا، فيما ذكر ابن عطية.

وقال الغزنوي: رئيسهم مكسلمينا، قال لهم ذلك، أي: إذ اعتزلتموهم واعتزلتم ما يعبدون، ثم استثنىٰ وقال: ﴿إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] أي: إنكم لم تتركوا عبادته، فهو استثناء منقطع.

قال ابن عطية: وهذا علىٰ تقدير: إن الذين فرَّ أهلُ الكهف منهم لا يعرفون الله، ولا علم لهم به، وإنما يعتقدون الأصنام في ألوهيتهم فقط، وإن فرضنا أنهم يعرفون الله كما كانت العرب تفعل لكنهم يشركون أصنامهم معه في العبادة فالاستثناء متصل؛ لأن الاعتزال وقع في كل ما يعبد الكفار إلا في جهة الله، وفي مصحف عبد الله بن مسعود (وما يعبدون من دون الله)، قال قتادة: هذا تفسيرها.

* * *

س: هل كان قوم أصحاب الكهف يعرفون الله؟

ج: من العلماء من قال: نعم، كانوا يعرفون الله، لكنهم كانوا يعبدون معه آلهة أُخرىٰ، وذلك بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] علىٰ أحد الوجوه في التفسير.

وأورد القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية:

ومُضَمَّن هذه الآية أن بعضهم قال لبعض: إذا فارقنا الكفار وانفردنا بالله

تعالىٰ فلنجعل الكهف مأوىٰ، ونتكل علىٰ الله؛ فإنه سيبسط لنا رحمته، وينشرها علينا، ويهيئ لنا من أمرنا مِرْفَقًا، وهذا كله دعاء بحسب الدنيا، وعلىٰ ثقة كانوا من الله في أمر آخرتهم.

* * *

س: لماذا أوى الفتية إلى الكهف؟

ج: أوىٰ الفتية إلىٰ الكهف هربًا وفراراً بدينهم، وخوفًا من أن يفتنهم قومهم.

* * *

س: هل الاعتزال أولى أم الاختلاط بالناس؟

ج: ذكر الخطابي في كتاب «العزلة» (كما نقل عنه الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٣٣):

(إن العزلة والاختلاط يختلفان باختلاف متعلقاتهما، فتحمل الأدلة الواردة في الحض علىٰ الاجتماع علىٰ ما يتعلق بطاعة الأئمة، وأمور الدين، وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان، فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه فالأولىٰ له الانكفاف عن مخالطة الناس، بشرط: أن يحافظ علىٰ الجماعة، والسلام، والرد، وحقوق المسلمين؛ من العيادة، وشهود الجنازة، ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلىٰ الغذاء والعشاء، فيقتصر منه علىٰ ما لابد له منه، فهو أروح للبدن والقلب، والله أعلم).

وقال القشيري في «الرسالة»: (طريق من آثر العزلة: أن يعتقد سلامة

الناس من شره لا العكس، فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه، وهي صفة المتواضع، والثاني شهوده مزية له على غيره، وهذه صفة المتكبر).

وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٣/ ٤٢):

(وقد اختلف السلف في أصل العزلة، فقال الجمهور: الاختلاط أولى؛ لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال أنواع الخير إليهم؛ من إعانة وإغاثة وعيادة، وغير ذلك، قال قوم: العزلة أولى لتحقق السلامة، بشرط معرفة ما يتعين).

وقال النووي: (المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى).

وقال غيره: تختلف الأحوال، فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات، فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر، فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن يستوي من يأمن على نفسه، ولكن يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعُمُّ من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

قلت: وقد ورد في الباب حديث: «**المسلم إذا كان مخالطًا للناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**» أخرجه الترمذي(٢٥٠٧) بسند صحيح.

هذا، وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٢٥): هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة؟

فأجاب:

هذه المسألة، وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعًا كليًّا، وإما حاليًّا، فحقيقة الأمر: أن «الخلطة» تارة تكون واجبة، أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة، وجماع ذلك: أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهيٌّ عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات، كالصلوات الخمس، والجمعة، والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستسقاء، ونحو ذلك، هو مما أمر الله به ورسوله.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج، وفي غزو الكفار، والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فُجَّاراً، وإن كان في تلك الجماعات فُجَّارٌ، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانًا؛ إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له، ونحو ذلك.

ولابُد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه، وذكره، وصلاته، وفكره، ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه، إما في بيته كما قال طاوس: «نعم صومعة الرجل بيته؛ يكف فيها بصره ولسانه»، وإما في غير بيته.

فاختيار المخالطة مُطلقًا خطأ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح له في كل حال، فهذا يحتاج إلى نظر خاص كما تقدَّم.

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى:

هذه الآية صريحة في الفرار بالدين، وهجرة الأهل والبنين، والقرابات

والأصدقاء، والأوطان، والأموال، خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة .

وقد خرج النبي ﷺ فاراً بدينه، وكذلك أصحابه، وجلس في الغار حسبما تقدم في سورة «النحل»، وقد نص الله تعالىٰ علىٰ ذلك في «براءة» وقد تقدم، وهجروا أوطانهم، وتركوا أرضهم، وديارهم، وأهاليهم، وأولادهم، وقراباتهم، وإخوانهم، رجاء السلام بالدين والنجاة من فتنة الكافرين .

فسُكْنَىٰ الجبال، ودخول الغِيران، والعزلة عن الخلق، والانفراد بالخالق، وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء ـ صلوات الله عليهم والأولياء، وقد فضل رسول الله ﷺ العزلة، وفضلها جماعة العلماء لا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس، وقد نص الله تعالىٰ عليها في كتابه فقال: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾[الكهف: ١٦] .

وقال العلماء: الاعتزال عن الناس يكون مرَّةً في الجبال والشِّعاب، ومرة في السواحل والرِّباط، ومرة في البيوت، وقد جاء في الخبر: (إذا كانت الفتنة فأخفِ مكانك، وكُف لسانك) .

ولم يخص موضعًا من موضع، وقد جعلت طائفة من العلماء العزلَة اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك، إن كنت بين أظهرهم .

وقال ابن المبارك في تفسير العزلة: أن تكون مع القوم، فإذا خاضوا في ذكر الله فخُض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت .

وروىٰ البَغَوِي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم**» .

وروي عن النبي ﷺ قال: «**نعم صوامع المؤمنين بيوتهم**» من مراسيل الحسن وغيره.

وقال عقبة بن عامر لرسول الله ﷺ: «ما النجاة يا رسول الله؟»، فقال: «**يا عقبة، أمسك عليك لسانك، وليَسَعْك بيتُك، وابْك على خطيئتك**»، وقال ﷺ: «**يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**» خرَّجه البخاري.

وذكر علي بن سعد عن الحسن بن واقد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كانت سنة ثمانين ومائة فقد حلت لأمتي العُزْبة، والعزلة، والترهب في رءوس الجبال**».

وذكر أيضًا علي بن سعد عن عبد الله بن المبارك عن مبارك ابن فضالة عن الحسن يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينُه إلا من فَرَّ بدينه من شاهق إلى شاهق، أو حجْر إلى حجْر، فإذا كان ذلك لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله، فإذا كان ذلك حَلت العُزْبَة**»، قالوا: يا رسول الله، كيف تحل العزبة وأنت تأمرنا بالتزويج؟

قال: «**إذا كان ذلك كان فساد الرجل على يدي أبويه، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يدي زوجته، فإن لم تكن له زوجة كان هلاكه على يدي ولده، فإن لم يكن له ولد كان هلاكه على يد القرابات والجيران**»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**يُعيِّرونه بضيق المعيشة، ويكلفونه ما لايُطيق، فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها**».

قلت (القائل القرطبي): أحوال الناس في هذا الباب تختلف، فَرُبَّ رجل تكون له قوة على سكنى الكهوف والغِيران في الجِبال، وهي أرفع الأحوال؛ لأنها الحالة التي اختارها الله لنبيه ﷺ في بداية أمره، ونص عليها في كتابه

مخبراً عن الفتية، فقال: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف:١٦]، ورُبَّ رجل تكون العزلة له في بيته أخف عليه وأسهل.

وقد اعتزل رجال من أهل بدر، فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان، فلم يخرجوا إلا إلىٰ قبورهم، ورُبَّ رجل متوسط بينهما، فتكون له من القوة ما يصبر بها علىٰ مخالطة الناس وأذاهم، فهو معهم في الظاهر، ومخالف لهم في الباطن.

وذكر ابن المبارك: حدثنا وُهيب بن الوَرْد قال: جاء رجل إلىٰ وهب بن منبه فقال: إن الناس وقعوا فيما وقعوا! وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم، فقال: لا تفعل! إنه لابدَّ لك من الناس، ولابُدَّ لهم منك، ولك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصمَّ سميعًا، أعمىٰ بصيراً، سكوتًا نطوقًا.

وقد قيل: إن كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنىٰ الجبال والشِّعاب؛ مثل الاعتكاف في المساجد، ولزوم السواحل للرباط والذكر، ولزوم البيوت فراراً عن شرور الناس، وإنما جاءت الأحاديث بذكر الشعاب والجبال واتباع الغنم - والله أعلم - لأن ذلك هو الأغلب في المواضع التي يُعتزل فيها، فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه كما ذكرنا، والله الموفق، وبه العصمة.

وروىٰ عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يعجب ربُّك من راعي غنم في رأس شظية الجبل يؤذِّن بالصلاة، ويصلي، فيقول الله - عز وجل: انظروا إلى عبدي، يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة**» خرَّجه النَّسائي.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [الكهف: ١٧] ؟

ج: قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله تعالى:

هذا دليل على أن باب هذا الكهف من نحو الشمال؛ لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلت عند طلوعها تزْوَرّ عنه ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [الكهف: ١٧] أي: يتقلص الفيء يمنة، كما قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة ﴿تَّزَاوَرُ﴾ [الكهف: ١٧] أي: تميل، وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ولهذا قال: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾[الكهف: ١٧] أي: تدخل إلى غارهم من شمال بابه، وهو من ناحية المشرق، فدل على صحة ما قلناه، وهذا بيِّن لمن تأمله، وكان له علم بمعرفة الهيئة، وسير الشمس والقمر والكواكب.

وبيانه: أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب، ولو كان من ناحية القبلة لما دخله منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب، ولا تزاور الفيء يمينًا ولا شمالاً، ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع، بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب، فتعين ما ذكرناه، ولله الحمد.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧] وجه إعجاز، وضحه؟

ج: وجه ذلك أن الله سبحانه وتعالى، جلت قدرته جعل الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم، أي: تنحرف وتميل عن كهفهم فتطلع عليه من ذات اليمين لئلا تصيب الفتية؛ لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم

وأحرقت ثيابهم، وإذا غربت تتركهم بذات الشمال، فلا تصيبهم، فوجه الإعجاز أن الله تعالىٰ صرف عنهم أذىٰ الشمس، وحفظهم في كهفهم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [الكهف: ١٧] ؟

ج: المراد، والله تعالىٰ أعلم، ذلك الوضع الذي جعلناهم فيه من تحول الشمس عنهم علىٰ الوجه المذكور، ذلك من الدلائل علىٰ قدرة الله ـ عزَّ وجل ـ علىٰ حفظ أوليائه، ومن دلائل قدرته علىٰ فعل ما يُريد.

* * *

س: المهتدي من هداه الله، اذكر ما يدل على ذلك؟

ج: من ذلك ما يلي:

هؤلاء الفتية أصحاب الكهف ترىٰ من الذي هداهم ووفقهم إلىٰ طرق الخير وقذف في قلوبهم الإيمان، إن الذي هداهم هو الله، قال تعالىٰ: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧] .

وهذا نبينا محمد ﷺ ولد يتيمًا، ونشأ يتيمًا فمن الذي منَّ عليه بالخلق العظيم، إنه الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وهذا الصدِّيق يوسف ـ عليه السلام ـ يمكث في بيت العزيز زمانًا، في بيت ترفٍ، وبيت كفرٍ، وتراوده المرأة ذات المنصب والجمال عن نفسها، فيعصمه الله ويحفظه، ثم يمكث في السجن مع السكِّير والعربيد واللصوص والقتلة كما هو شأن أغلب المساجين فيحفظه الله من ذلك كله.

بينما نرىٰ ولد نوح، علىٰ نوحٍ وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام، يناديه أبوه:

يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، فيقول: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، ويصرُّ على الكفر حتى يموت كافراً عياذاً بالله، فحقًّا إن المهتدي من هداه الله.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[يونس: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[الكهف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

* * *

س: كيف ساغ لهم اصطحاب الكلب مع ما ورد في ذم اقتناء الكلاب؟

ج: نعم، قد ورد ذم اقتناء الكلاب، وأن من اقتنى كلبًا فإنه ينقص من أجره قيراط، لكن استثني كلب الصيد والماشية[1] كما في الحديث عن رسول الله ﷺ.

* * *

س: هل من فائدة في جلوس الكلب بالوصيد، إذ قد قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] ؟

ج: قال بعض العلماء: لم يدخل معهم الكهف، بل بقي بالفناء عند

(١) أنظر كمًّا كبيراً من الأحاديث الواردة في ذلك في «الصحيحين» (البخاري حديث ٣٣٢٤، ٣٣٢٥)، وفي غير موضع من «الصحيح»، ومسلم (١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥) وله ألفاظ.

الباب لكون الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة، وأيضًا ذلك لحراستهم وقذف الرعب في قلوب من حاول الاقتراب منهم.

* * *

س: من قصة أصحاب الكهف نأخذ فضل مجالسة الصالحين، وضح ذلك؟

ج: استنبط العلماء هذا المعنى من ذكر كلب أصحاب الكهف، فقالوا تشرف هذا الكلب بالذكر لكونه صحب أهل الصلاح.

قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله:

وشملت كلبَهم بركتُهُم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكرٌ وخبرٌ وشأنٌ.

وقد قيل: إنه كان كلب صيد لأحدهم، وهو الأشبه، وقيل: كان كلب طباخ الملك، وكان قد وافقهم على الدين، فصحبه كلبه، فالله أعلم.

وقال القرطبي ـ رحمه الله:

قلت: إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه ـ جل وعلا ـ فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين! بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال، المحبين للنبي ﷺ وآله خير آل.

* * *

س: من الأسلحة التي ينصر الله بها أولياءه: قذف الرعب في قلوب أعدائهم، دلّل على ذلك؟

ج: من ذلك قول النبي ﷺ: «**نُصرت بالرعب مسيرة شهر**» وقوله تعالىٰ: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**﴾ [آل عمران: ١٥١].

ومن ذلك قوله تعالىٰ في شأن يهود بني النضير: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الحشر: ٢].

ومن ذلك حفظ الله للفتية أصحاب الكهف، فقد قال سبحانه: ﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**﴾ [الكهف: ١٨].

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض المعجزات التي حدثت لهم وهم نيام؟

ج: من ذلك وضع الشمس بالنسبة لهم كما قال تعالىٰ: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ...**﴾ [الكهف: ١٧] علىٰ ما بيناه من قبل.

❊ومن ذلك كون أعينهم مفتوحة ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾ [الكهف: ١٨].

ومن ذلك تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال.

ومن ذلك قذف الرعب في قلوب الناظر إليهم.

ومن ذلك الضرب علىٰ آذانهم، أي: تغطيتها حتىٰ لا يصل الصوت إليها، قال تعالىٰ: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾[الكهف: ١١].

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ [الكهف: ١٩] ؟

ج: المعنى، وكما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم، وأشعارهم وأبشارهم.

* * *

س: ما وضع اللام في قوله تعالى: ﴿ لِيَتَسَاءَلُوا ﴾ [الكهف: ١٩] ؟

ج: من العلماء من قال: إن اللام لام الصيرورة (أي: لام العاقبة)، وذلك كالوارد في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص: ٨].

فهم إنما التقطوه كي يكون قرة عين، فكانت العاقبة أن كان لهم عدواً وحزنًا وفي هذا المعنى قول الشاعر:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها وبيوتنا لخراب الدهر نبنيها

ومن العلماء من قال: إن اللام تعليلية، والمراد أنهم بعثوا للتساؤل، التساؤل الذي يفضي إلى الوقوف على حقيقة هامة، ألا وهي حقيقة البعث، والله أعلم.

* * *

س: في إماتة الله ـ عزَّ وجل ـ للفتية أصحاب الكهف لما أتاهم القوم للاستعلام عن أخبارهم وجه خير للناس، وضحه؟

ج: إيضاحه أن في إماتتهم درءاً لفتنة عظيمة، ألا وهي افتتان الناس بهم، فتنة قد تؤدي إلى عبادتهم، وقد يفتنوا أيضًا بما يرونه من حولهم من نظر الناس إليهم وتعلقهم بهم، واختلاف الناس في شأنهم، والله تعالى أعلم.

* * *

س: قصة أصحاب الكهف يؤخذ منها أدب من آداب التخاطب، وضحه؟

ج: هذا الأدب هو الإمساك عن الجدل الذي لا تُرىٰ منه فائدة، وكذا الجدل الذي لم يُبن علىٰ علم يقيني.

أمـا الأول: فلأن أصحاب الكهف ـ يرحمهم الله ـ لما تساءلوا بينهم قائلين: كم لبثتم؟ فقالوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم، قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، أي: اتركوا الأمر لله، فهو أعلم بمدة لبثكم.

أما الثاني: فمن قوله تعالىٰ: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢]

* * *

س: في قول أصحاب الكهف: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ [الكهف: ١٩] فائدة مهمة وضحها؟

ج: هذه الفائدة تتمثل في تحري الحلال الطيب من الطعام، فالفتية فيما هم فيه من كرب، وشدة، وبلاء، وخوف من أيدي العدو أن تتخطفهم يتحرون الطعام الطيب الحلال، فيقول قائلهم: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩] وهكذا أهل الإيمان، لا يريدون أن يدخل بطونهم طعامٌ مشتبه أو طعام مُحرم، وذلك حتىٰ إذا دعوا قَبِلَ اللهُ دعاءهم، وإذا رفعوا أكفَّ الضَّراعة إلىٰ الله ـ عز وجل ـ لم تُرد أيديهم صفرًا خائبة.

بل يدعون ربهم بألسن قد أكلت من الحلال الطيب كما هو شأن المرسلين والمؤمنين، إذ الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقد ذكر النبي ﷺ: «**الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك**»[1].

* * *

س: أهل الإيمان والعقل لا يسترسلون في الجدل إذا لم تكن من ورائه فائدة، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول الفتية أصحاب الكهف - بعد أن اختلفوا في مدة لبثهم - ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ**﴾[2] [الكهف: ١٩].

فقطعوا الجدل واتجهوا إلى النافع.

وكذلك قوله تعالى لمريم عليها السلام: ﴿**فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا**﴾[مريم: ٢٦] وذلك - والله أعلم - أن مريم عليها السلام مهما تكلمت، ومهما قدمت من اعتذار فلن يُقبل منها

---

(١) مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا.

(٢) قال السعدي - رحمه الله تعالى - في «تفسيره»: وهذا من الاختلاف الذي لا فائدة تحته، ولا يحصل بمعرفة عددهم مصلحة للناس؛ دينية، ولا دنيوية، ولهذا قال تعالى: ﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾[الكهف: ٢٢] وهم الذين أصابوا الصواب وعلموا إصابتهم﴿فلا تمار﴾ [الكهف: ٢٢] تجادل وتحاج فيهم ﴿إلا مراء ظاهراً﴾ [الكهف: ٢٢] أي: مبنيًا على العلم واليقين، ويكون أيضًا فيه فائدة، وأما المماراة المبنية على الجهل والرجم بالغيب، أو التي لا فائدة فيها، إما أن يكون الخصم معاندًا، أو تكون المسألة لا أهمية فيها، ولا تحصل فائدة دينية بمعرفتها، كعدد أصحاب الكهف ونحو ذلك، فإن في كثرة المناقشات فيها، والبحوث المتسلسلة تضييعًا للزمان، وتأثيراً في مودة القلوب بغير فائدة.

اعتذارها، ولن يُصغى لقولها، وقد جاءت بطفل تحمله بين يديها.

فهل تراهم يصدقونها إذا قالت: جاءني الملك فتمثل لي بشراً سويًا، فحملتُ بعيسى وولدته؟!! إن هذا على نفوس القوم شاق وعسير؛ فلذا أُمرت مريم عليها السلام بالصمت.

وها هي مريم تقول للملك: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

فيجيبها الملك بقوله: ﴿كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١].

حقًّا إنه أمر قد قضي وقدره الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا معنى حينئذٍ للإكثار من المراجعات!

* ونحوه قول الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما أُخبر أن الملائكة متجهون إلى تدمير قرى قوم لوط يجادل عليه ـ الصلاة والسلام ـ في شأن قوم لوط، فتجيبه الملائكة بقولهم: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٦].

فما دام قد جاء أمر الله، وما دام قد قضى الله هذا الأمر فلمَ الجدل في شأن هؤلاء الأقوام؟!

وكذلك لما اختلف القوم في عدد الفتية أصحاب الكهف أمَرَ الله بالإعراض عن الخوض في أمرهم بغير علم، قال الله ـ سبحانه وتعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

* وها هي أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول لما قال لها رسولُ الله

ﷺ: «فإن كنت بريئة فسيبرؤك اللَّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى اللَّه تاب اللَّه عليه».

فبماذا تجيب عائشة ـ رضي اللَّه تعالىٰ عنها؟! إنها إن أظهرت براءتها لم يصدقوها، وإن تقوَّلت علىٰ نفسها صدقوها، فماذا عساها أن تقول حينئذ؟! إنها قالت: «إني واللَّه لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدَّقتم به، فلئن قلتُ لكم: إني بريئة، واللَّه يعلم أني بريئة، لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنني، والله، ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1] [يوسف:١٨]».

فعلىٰ ذلك لا تتكلم إلا إذا كان للكلام فائدة.

* * *

س: من قصة أصحاب الكهف ما يدل علىٰ الوكالة في البيع والشراء، دلِّل علىٰ ذلك؟

ج: من الدليل علىٰ ذلك قولهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف:١٩]، فقد وكلوا أحدهم كي يشتري لهم طعامًا.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالىٰ:

في هذه البعثة بالورِق دليلٌ علىٰ الوكالة وصحتها، ولا خلاف فيها بالجملة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

س: ما الفائدة من قولهم: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١٩] ؟

ج: الفائدة هي التذكير بأخذ الحذر كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١] .

وأن هذا ليس بقادح في التوكل على الله.

* * *

س: أئمة الكفر لا يرضون من المؤمنين إلا بالكفر، وإلا فيناصبونهم العداء ويقاتلونهم، دلِّل على ذلك؟

ج:من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقول الفتية أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الكهف: ٢١] ؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله تعالى:

يقول ـ تعالى ذكره: وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا، ليتساءلوا بينهم، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] يقول كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شك من قدرة الله على إحياء الموتى، وفي مرية من إنشاء أجسام خلقه كهيئتهم يوم قبضهم بعد البِلى، فيعلموا أن وعد الله حق، ويوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] يقول: أطلعنا عليهم ليعلم من كذّب بهذا الحديث أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها.

* * *

س: الموت على الكفر مانعٌ من الفلاح، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقول الفتية أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا.

* * *

س: حملت هذه السورة المباركة الكريمة كمًّا هائلاً من المفاجآت والأمور الخارقة غير المعتادة، وضح هذه الأمور؟

ج: من هذه المفاجآت ما يلي:

١ - بعث الفتية بعد ثلثمائة عام وتسع، والتقاء صاحبهم بالقوم، وهو يتصور أنهم القوم الذين فارقوهم، ثم تبين له أنه في وسط قوم آخرين، وقد هلك قومه منذ مئات السنين!!!

ثم لما دخل علىٰ أصحابه وقد حدث له ما حدث، ورأىٰ الذي قد رأىٰ، فكيف كان حالهم عند سماعهم منه الخبر؟!!

*أيضًا مفاجأة لصاحب الجنتين المغرور بماله، وقد رأىٰ جنتيه وقد أحيط بهما، وأذهب الله ثمارهما، ثم أصبح يقلب كفيه علىٰ ما أنفق فيها وهي خاوية علىٰ عروشها.

*ومن ذلك إحياء الحوت، وانطلاقه في البحر، وقد كان ميتًا.

*ثم إمساك جرية الماء حتىٰ يُعلم مكان الحوت.

*كذلك المفاجآت التي رآها موسىٰ ـ عليه السلام ـ مع الخضر.

وذلك من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، وإخبار الخضر له بالحِكَم من وراء ذلك.

*كذلك رؤية ذي القرنين للشمس وهي تغرب في عين حمئة.

*وأيضًا ثم قومٌ لم يجعل الله لهم من دون الشمس سترًا يستترون به.

وثمَّ آخرون بين السدين لا يكادون يفقهون قولاً.

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الكهف: ٢١]؟

ج: قال بعض أهل العلم: ليعلم المكذبون بالبعث أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة ومجيئها حق.

وقال آخرون: ليعلم الجميع أن وعد الله حق، أما أهل الإيمان فيزدادوا يقينًا بذلك، فهم يعلمون ذلك.

* * *

س: من الأدلة التي تساق في كتاب الله ـ عزَّ وجل ـ لتقرير البعث إحياء بعض الأنفس بعد موتها، اذكر بعض الأمثلة لذلك؟

ج: من الآيات الموضحة لذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

وقوله تعالى في شأن قتيل بني إسرائيل: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[البقرة: ٢٥٩].

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

* * *

س: من المتنازعون في أمر الفتية أصحاب الكهف؟

ج: المعنيون هم القوم الموجودون في زمن الفتية أصحاب الكهف، أهل البلاد التي ذهب الذاهب إليها للإتيان بالطعام.

* * *

س: في أي شيءٍ من أمر الفتية تنازع القوم؟

ج: قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾ [الكهف: ٢١] يعني: أهل ذلك الزمان.

قال ابن الأنباري: المعنى: إذ كانوا يتنازعون، ويجوز أن يكون المعنى: إذ تنازعوا.

وفي ما تنازعوا فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنهم تنازعوا في البنيان، والمسجد، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجدًا؛ لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بنيانًا؛ لأنهم من أهل سُنَّتنا، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: تُبعث الأجساد والأرواح، وقال بعضهم: تُبعث الأرواح دون الأجساد، فأراهم الله تعالى بعث الأرواح والأجساد ببعثه أهل الكهف، قاله عكرمة.

والثالث: أنهم تنازعوا ما يصنعون بالفتية، قاله مقاتل.

والرابع: أنهم تنازعوا في قدْر مكثهم.

والخامس: تنازعوا في عددهم، ذكرهما الثعلبي.

* * *

س: هل الذين غلبوا على أمرهم من أهل الصلاح أم من أهل الشر والفساد؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان:

أحدهما: أنهم من أهل الشر والفساد، وذلك لأن النبي ﷺ لما ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة كنيسةً رأينها بأرض الحبشة، فيها تصاوير قال عليه الصلاة والسلام: «**أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة، أولئك إذا كان**

فيهم الرجل الصالح فمات صوروا له تلك التصاوير، وبنوا على قبره مسجدًا»[(١)] .

ثم إن لهجة الأولين الذين قالوا : ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ [الكهف : ٢١] تدل على معرفتهم بالله ـ عزَّ وجل .

والثاني: أن الذين غلبوا على أمرهم كانوا مسلمين ، وذلك لقولهم : ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف : ٢١] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين :

أحدهما: أنهم المسلمون منهم .

والثاني: أهل الشرك منهم ، فالله أعلم .

والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر ؛ لأن النبي ﷺ قال : «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**» يحذر ما فعلوا ، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس ، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها .

* * *

(١) مسلم (٥٢٨) بلفظ قريب .

بعض الوارد في المنع من اتخاذ القبور مساجد

س: اذكر بعض الوارد في المنع من اتخاذ القبور مساجد؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[١] ، واللفظ لمسلم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة، فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة**».

وفي «الصحيحين» [٢] أيضًا عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

قالت: فلولا ذاك أُبرِزَ قبره، غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدًا.

وعن أبي هريرة[٣] ـ رضي الله عنه ـ قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وعن عائشة [٤] ، وعبد الله بن عباس قالا: لَمَّا نُزِلَ[٥] برسُول الله ﷺ، طفقَ يطرحُ خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه، فقال، وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»

---

(١) البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٣) مسلم (٥٣٠).

(٤) مسلم (٥٣١)، والبخاري (٤٣٦).

(٥) أي: لما نزل به مرض الموت.

يُحذر مثل ما صنعوا.

وعن جندب[1] رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يمُوت بخمس، وهُو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت مُتَّخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**».

* * *

س: ما معنى: ﴿ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ ﴾ [الكهف: ٢١]؟

ج: المعنى، والله أعلم، الذين غلبوا على أمر أنفسهم، أي: الذين أرادوا أمراً وفعلوه.

ووجه آخر: الذين غلبوا على أمر الفتية أصحاب الكهف.

* * *

س: من هؤلاء الذين أخبرهم الله عنهم بقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢]؟

ج: قيل: إن الذين قالوا ذلك هم أهل التوراة، ومن عاصروا النبي ﷺ.

وقيل: المراد النصارى، وفي الباب أقوال أُخر.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [الكهف: ٢٢]؟

ج: ما يعلمهم إلا قليل من الناس، وقد ورد من طرقٍ متعددةٍ، لا يخلو

(١) مسلم (٥٣٢).

واحدٌ منها من مقال أن ابن عباس كان يقول: أنا ممن استثنى الله عزَّ وجل، أي: أنا من هؤلاء النفر القليل.

وقد تصحح هذه الآثار عن ابن عباس بمجموع طرقها[١].

* * *

س: ما المراد بالمراء الظاهر في قوله تعالى: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢]؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إن ذلك يتمثل في إخبارهم بما أنزل الله في كتابه الكريم من شأن هؤلاء الفتية، أي: إذا تكلمت في شأن أصحاب الكهف ففي هذا الذي أخبرناك به من شأنهم كفايةٌ وغنيةٌ عن غيره.

فالمعنى: حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم.

* * *

س: من الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]؟

ج: قال بعض أهل العلم: هؤلاء هم اليهود، أي: لا تستفت أحدًا من اليهود.

وقيل: المراد عموم أهل الكتاب: (من يهود ونصارى) أي: لا تسأل أحدًا من هؤلاء عن أصحاب الكهف.

وقيل: إن المراد اليهود والنصارى وعموم أهل الشرك، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) انظر بعض تلك الآثار في «تفسير الطبري».

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣]؟

ج: إيضاحه: ولا تقولن سأفعل شيئًا غدًا إلاَّ أن تقول معه إن شاء الله.

هذا إرشاد من الله لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله - عز وجل - علام الغيوب الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

قال الطبري - رحمه الله:

وهذا تأديب من الله - عزَّ ذكره - لنبيه ﷺ عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله؛ لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله.

وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتي قد ذكرناها فيما مضى، اللواتي إحداهن المسألة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهم عنهن غد يومهم، ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه - فيما قيل - من أجل ذلك خمس عشرة، حتى حزنه إبطاؤه، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهنَّ، وعرَّف نبيَّه سبب احتباس الوحي عنه، وعلَّمه ما الذي ينبغي أن يستعمل في عدته وخبره عما يحدث من الأمور التي لم يأته من الله بها تنزيل، فقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾[الكهف: ٢٣] يا محمد ﴿لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣] كما قلت لهؤلاء الذين سألوك عن أمر أصحاب الكهف، والمسائل التي سألوك عنها، سأخبركم عنها غدًا ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٤] ومعنى الكلام: إلا أن تقول معه: إن شاء الله.

وقال القرطبي ـ رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿**وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: ٢٣] فيه مسألتان:

الأولى: قال العلماء: عاتب الله تعالىٰ نبيه ـ عليه السلام ـ علىٰ قوله للكفار حين سألوه عن الروح، والفتية، وذي القرنين: غداً أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك؛ فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوماً حتىٰ شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرجة، وأُمِر في هذه الآية ألا يقول في أمر من الأمور إني أفعل غداً كذا وكذا، إلا أن يعلق ذلك بمشيئة الله ـ عز وجل ـ حتىٰ لا يكون محقِّقًا لحكم الخبر؛ فإنه إذا قال: لأفعلن ذلك ولم يفعل كان كاذبًا، وإذا قال لأفعلن ذلك إن شاء الله خرج عن أن يكون محققًا للمخبَر عنه، واللام في قوله ﴿**لِشَيْءٍ**﴾ [الكهف: ٢٣] بمنزلة في، أو كأنه قال لأجل شيء.

❊ ❊ ❊

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] في ثنايا قصة أصحاب الكهف؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ علىٰ ما ذكره بعض أهل العلم من أن النبي ﷺ سئل عن شأن الفتية أصحاب الكهف، فقال: سأخبركم غداً، ولم يستثن: (أي: ولم يقل إن شاء الله).

فتأخر نزول الوحي خمسة عشر يومًا، فجاء الأدب: ﴿**وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤][1].

---

(١) وقد بينا أن سبب النزول هذا لا يصح.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٤]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: إذا نسيت الاستثناء فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد زمن، يوم أو شهرٍ أو سنة، وهذا رأى الجمهور[١].

الثاني: إذا نسيت أي إذا غضبت.

الثالث: إذا نسيت أن تذكر الله فاذكره.

الرابع: إذا نسيت الشيء فاذكر الله ليُذكِّرك إياه، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) ولكن هذا لا يسقط الكفارة.

الاستثناء في اليمين

س: ما معنى الاستثناء في اليمين؟ وما حكمه؟

ج: الاستثناء في اليمين هو قول الرجل: (إن شاء الله) عقب اليمين مباشرة، كأن يقول الرجل: واللهِ، لأسافرن إن شاء الله، فقول: (إن شاء الله) يُعد استثناءً في اليمين، فإذا لم يسافر الشخص فلا كفارة عليه؛ لأنه قد استثنى، ويشترط في الاستثناء الذي يُسقط الكفارة أن يكون عقب اليمين مباشرةً.

أما إذا كان الشخص قد قال: إن شاء الله بعد ساعة، أو ساعتين، أو يومٍ، أو يومين من اليمين فلا تسقط الكفارة بذلك، ولو كان ذلك جائزاً لما قال الله لنبيه أيوب عليه السلام: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤]، ولَقَالَ له: قل إن شاء الله.

أما الوارد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من أن الشخص يستثني ولو بعد عام، فهذا ليس معناه إسقاط الكفارة، إنما معناه أن الشخص يقول: إن شاء الله إذا ذكر ذلك، ولا تعلق له بإسقاط الكفارة.

قال الطبري ـ رحمه الله:

فإن قال: فما وجه قول من قال له: ثُنْياه ولو بعد سنة، ومن قال له ذلك ولو بعد شهر، وقول من قال ما دام في مجلسه؟ قيل: إن معناهم في ذلك نحو معنانا في أن ذلك له، ولو بعد عشر سنين، وأنه باستثنائه وقيله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه، يسقط عنه الحرج الذي لو لم يقله كان له لازمًا، فأما الكفارة فله لازمة بالحِنْث بكل حال، إلا أن يكون استثناؤه كان

موصولاً بالحلف، وذلك أنا لا نعلم قائلاً قال ممن قال له الثُّنيا بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة إذا حَنِث، ففي ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك، وأن معنى القول فيه، كان نحو معنانا فيه.

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى: «زاد المسير» [1]:

وفائدة الاستثناء أن يخرج الحالف من الكذب إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله تعالى في قصة موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩] ولم يصبر، فسلِم من الكذب لوجود الاستثناء في حقه، ولا تختلف الرواية عن أحمد أنه لا يصح الاستثناء في الطلاق والعتاق، وأنه إذا قال: أنتِ طالق إن شاء الله، وأنتَ حُرٌّ إن شاء الله، أن ذلك يقع، وهو قول مالك، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يقع شيء من ذلك، وأما اليمين بالله تعالى، فإن الاستثناء فيها يصح، بخلاف الطلاق، وكذلك الاستثناء في كل ما يكفر، كالظهار، والنذر؛ لأن الطلاق والعتاق لفظه لفظ إيقاع، وإذا علّق به المشيئة علمنا وجودها؛ لوجود لفظ الإيقاع من جهته، بخلاف سائر الأيمان؛ لأنها ليست بموجبات للحكم، وإنما تتعلق بأفعال مستقبلة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] ؟

ج: قال بعض أهل العلم: هذا دعاءٌ أمر به النبي ﷺ أن يقوله.

وقال آخرون: وقل عسى أن يرزقني الله من المعجزات والاستدلالات، ما هو أعظم من قصة أصحاب الكهف.

---

(١) «زاد المسير» (٥/ ٩٠).

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] أي: إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه، وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك، وقيل غير ذلك في تفسيره، والله أعلم.

وقال الطبري ـ رحمه الله:

وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] يقول عزَّ ذكره لنبيه ﷺ: قل: ولعل الله أن يهديني فيسددني لأسدَّ مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون، إن هو شاء.

وقد قيل: إن ذلك مما أمر النبي ﷺ أن يقوله إذا نسي الاستثناء في كلامه الذي هو عنده في أمر مستقبل مع قوله: إن شاء الله، إذا ذكر.

* * *

س: من القائل: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] ؟

ج: من العلماء من قال: إن الذين قالوا ذلك هم أهل الكتاب وأعلَّ أصحاب هذا الرأي بأمرين:

أحدهما: قراءة لابن مسعود فيها: «وقالوا ولبثوا في كهفهم ...» فزيدت كلمة (وقالوا).

لكن هذه القراءة حكم عليها عددٌ من العلماء بالشذوذ بالنسبة لقراءة الجمهور.

الثاني: قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ [الكهف: ٢٦].

فلو كان قوله: ﴿وَلَبِثُوا﴾ إخبارٌ من الله ما احتيج إلى قول ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا لَبِثُوا﴾ [الكهف: ٢٦] .

بينما ذهب كثيرون من العلماء إلى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي أخبر بمدة لبثهم: فقال سبحانه: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، منذ أرقدهم الله إلى أن بعثهم، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنه كان مقداره ثلاثمائة وتسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين، فلهذا قال بعد الثلاثمائة: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] .

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦] ؟

ج: قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه على مذهب التعجب، فالمعنى: ما أسمع الله وأبصره، أي: هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم، هذا قول الزجاج، وذكر أنه إجماع العلماء.

والثاني: أنه في معنى الأمر، فالمعنى: أبصر بدين الله وأسمع، أي: أبصر بهدى الله واسمع، فترجع الهاء إما على الهدى، وإما على الله ـ عز وجل ـ ذكره ابن الأنباري.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦] ؟

ج: قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله:

أي: إنه تعالىٰ هو الذي له الخلق والأمر، الذي لا معقب لحكمه، وليس له وزير، ولا نصير، ولا شريك، ولا مشير، تعالىٰ وتقدَّس.

قال السعدي رحمه الله:

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾ [الكهف:٢٦] أي: هو الذي تولىٰ أصحاب الكهف بلطفه وكرمه، ولم يكلهم إلىٰ أحد من الخلق.

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦]: وهذا يشمل الحكم الكوني القدري، والحكم الشرعي الديني، فإنه الحاكم في خلقه، قضاء وقدرًا، وخلقًا وتدبيرًا، والحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه.

ولما أخبر أنه تعالىٰ له غيب السموات والأرض، فليس لمخلوق إليها طريق، إلا عن الطريق التي يخبر بها عباده، وكان هذا القرآن قد اشتمل علىٰ كثير من الغيوب، أمر تعالىٰ بالإقبال عليه، فقال: ﴿وَاتْلُ - إلىٰ قوله - مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ...﴾ [الكهف:٢٧] ؟

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم: (واتبع يا نبي الله، ورتل يا رسول الله ما أوحاه الله إليك من هذا القرآن، وكذا بلغ ما أوحاه الله إليك للناس) ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧] أي: لا مُحرف لها، ولا مُبدِّل لها، ولا مغيِّر

لها، فلن تجد ملجأ تلجأ إليه غير الله، ولن تجد حافظًا ومؤويًا، ومُجيراً سواه.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

يقول: وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك، أي فإنه لا ملجأ لك من اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] أي: سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

التلاوة: هي الاتباع، أي: اتبع ما أوحىٰ الله إليك بمعرفة معانيه وفهمها، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره ونواهيه، فإنه الكتاب الجليل، الذي لا مبدل لكلماته، أي: لا تغير، ولا تبدل لصدقها وعدلها، وبلوغها من الحسن، فوق كل غاية ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾[الأنعام: ١١٥]، فلكمالها استحال عليها التغيير والتبديل، فلو كانت ناقصة، لعرض لها ذلك، أو شيء منه، وفي هذا تعظيم للقرآن، في ضمنه الترغيب علىٰ الإقبال عليه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧]؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧] يقول: وإن أنت يا محمد لم تتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتم به، فنالك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده، لن تجد من دون الله موئلاً تئل إليه،

ومعدلاً تعدل عنه إليه؛ لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه، لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به.

قال السعدي ـ رحمه الله:

﴿**وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾ [الكهف: ٢٧] أي: لن تجد من دون ربك، ملجأ تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به، فإذا تعين أنه وحده الملجأ في كل الأمور، تعين أن يكون هو المألوه المرغوب إليه في السراء والضراء، المفتقر إليه في جميع الأحوال، المسئول في جميع المطالب.

* * *

بعض المستفاد من قصة أصحاب الكهف

س: اذكر بعض المستفاد من هذه القصة المباركة؟

ج: يستفاد من هذه القصة المباركة ما يلي :

* تقرير نبوة رسولنا محمد ﷺ، وذلك لكونه أخبر عن أحداثٍ لم يرها، ولم يشهدها أصدق إخبار، وبينها أحسن بيان مع كونه أُميًّا لا يقرأ ولا يكتب.

ولهذا المعنى نظائر عديدة في كتاب الله - عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾[القصص: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[القصص: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[آل عمران: ٤٤].

وقال تعالى في شأن إخوة يوسف وتدبيرهم لأخيهم: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[يوسف: ١٠٢].

فكلها أمور أخبر بها رسولنا أصدق إخبار مع كونه لم يشهدها، ولم يرها، مع كونه كان أُميًّا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت: ٤٨].

وها هم أصحاب الكهف يخبر عنهم رسولنا أجمل إخبار، ويُحدث عنهم بأصدق الأحاديث، ولم يرهم، ولم يشهدهم، فهذا دليل على نبوته.

يُستفاد أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ألا وهو أن الإيمان يزيد وينقص، وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

وعلىٰ هذا الأصل جملة أدلة.

في القصة: تذكيرٌ لشبابنا وفتياننا الذين سلكوا سبيل الاستقامة بأسوة حسنة لهم، قد مضت وخَلَتْ، ولكن أجرها عند الله لا يضيع.

يُستفاد أيضًا: أن المؤمن لا يتكل علىٰ إيمانه، بل يسأل الله الثبات، وذلك لأن أصحاب الكهف مع أنهم سلكوا سبيل الهداية إلا أنهم لم يتخلوا عن سؤال ربهم ودعائه ورجائه، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

ولتقرير هذا الأصل نقول: إن شعيبًا عليه السلام قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[هود: ٨٨].

وأهل الإيمان يقولون: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران: ٨]، والنسوة المؤمنات، الصالحات، الحافظات لغيب الأزواج حفظهن إنما هو بعون الله لهن، قال تعالىٰ: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

ولذا كان رسولنا ﷺ يسأل ربه، فيقول: «**إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يُصرفه حيث يشاء**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرِّف القلوبِ، صرف قلوبنا على طاعتك**»[1].

ومن المستفاد:

بيان قدرة الله علىٰ الإحياء بعد الموت، ومن ثَمَّ الإخبار بمجيء الساعة،

(١) مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا.

وأنها آتية لا ريب فيها .

يستفاد أيضًا: أن من سلك طريق الهداية يسرها الله له، وسهل عليه سلوكها .

قال السعدي ـ رحمه الله تعالى:

وفي هذه القصة دليل على أن من فرَّ بدينه من الفتن سلمه الله منها، وأن من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوىٰ إلى الله آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم، من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

ومن الفوائد:

ما ذكره السعدي حيث قال: ولما كان العبد بشرًا، لابد أن يسهو عن ذكر المشيئة، أمره الله أن يستثني بعد ذلك، إذا ذكر؛ ليحصل المطلوب، ويندفع المحذور.

ويوخذ من عموم قوله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويُذَكِّر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربَّه ولا يكونن من الغافلين، ولما كان العبد مفتقرًا إلى الله في توفيقه للإصابة وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله أمره الله أن يقول: ﴿عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] فأمره أن يدعو الله، ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد.

يستفاد أيضًا: الإشارة إلى فضيلة الشباب وإمكانية توجيههم للخير، والاستفادة منهم في وجوه الخير، وأنهم أقرب لقبول الحق من غيرهم.

يستفاد أيضًا: أن القصص القرآني أصدق القصص، وأولى القصص بالقبول، وكيف لا؟! والذي يقص علينا هو الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾[النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

ويستفاد أيضًا: الجرأة في الحق، وذلك من قيام الفتية بالحق وقولهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

بيان وحدانية الله - عزَّ وجل - والظلم العظيم الذي يفتريه المشرك الذي يعبد مع الله آلهة أخرى، وبُطلان عبادة غير الله - عز وجل - وذلك من قولهم: ﴿لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

ومن الفوائد: تأكيد مشروعية الهجرة فراراً بالدين، وحفاظًا عليه، وأن من سلك هذا السبيل يسره الله عليه، وسهل الله له أمره.

ومن ذلك حفظ الله للمهاجرين إليه ابتغاء وجهه؛ فمن ذلك حفظ الله - عزَّ وجل - لفتية أصحاب الكهف في كهفهم، ولذلك شواهد أُخر في الكتاب العزيز، منها حفظ الله لنبيه محمد ﷺ إذ هو في الغار، وكذا حفظه له في سائر رحلته.

* وحفظ الله لمهاجرة الحبشة، ورأفة النجاشي بهم.

* وحفظ الله لخليله إبراهيم مع زوجته سارة عند الجبار، إذ دخلا بلاد الجبابرة.

* وإيواء الله - عزَّ وجل - لنبيه موسى - عليه السلام - إذ أوى إلى مدين.

ومن الفوائد: بيان أمرٍ من الأهمية بمكانٍ، ألا وهو أن المهتدي من هداه الله، وذلك حتى يلجأ الجميع إلى الله ويسألونه.

ومن الفوائد بيان لطف الله بأوليائه: فالله - سبحانه وتعالى - ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى

الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، و﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[الحج: ٣٨]، يُدبر لهم أمورهم، وييسر لهم شئونهم، ويهيئ لهم الخير.

ومن الفوائد : بيان قدرة الله - عزَّ وجل - على تدبير الأمور، فانظر إلى وضعهم في الكهف كيف كانوا، وإلى الشمس كيف كانت، وإلى أعينهم وآذانهم، ثم كلبهم، ثم الرعب المقذوف في قلب من يطلع عليهم، ثم بعثهم من طول لبثهم!!

ويؤخذ أيضًا من ذلك أدبٌ وهو المشيئة إلى الله بقول: إن شاء الله، وكذا ذكر الله - عزَّ وجل - إذا نسي العبد.

ويؤخذ من ذلك أيضًا تحري الحلال الطيب من الطعام.

وقال السعدي - رحمه الله تعالى: في بيان بعض الفوائد المستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ١٩] وقد دلت هاتان الآيتان على عدة فوائد:

منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه؛ لكون الله بعثهم لأجل ذلك.

ومنها: الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده.

ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك.

ومنها: جواز أكل الطيبات، والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه؛ لقوله: ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٩] وخصوصًا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك. ولعل هذا عمدة كثير من المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك؛ لكونهم أمروه بأزكى

الأطعمة، التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها.

ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين.

ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة في دينهم، وتركهم أوطانهم في الله.

ومنها: ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد الداعية لبغضه، وتركه، وأن هذه الطريقة هي طريقة المؤمنين المتقدمين، والمتأخرين؛ لقولهم: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

ومن الفوائد أيضًا: تقرير مبدأ البعث، وهذا المبدأ تكرر التأكيد عليه مرارًا.

ومن ذلك أيضًا: مبحث حول المنع من اتخاذ القبور مساجد.

ويؤخذ من القصة مشروعية الأخذ بالأسباب، وذلك من قولهم: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩].

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، فصحيح أن الأمور مُقدرةٌ، ولكنَّا أُمرنا بالأخذ بالأسباب.

ومن الفوائد: الامتناع عن الجدل بلا علم، وعدم الخوض فيما لا علم لنا به.

وها هي طائفة من الأدلة على ذلك:

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

* وقال تعالى: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ

أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

* وقال تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

* وقال سبحانه: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

وليس من العيب أن تعتذر عن الجواب إن كنتم لا تعلم:

* فقد قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الإسراء: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

* ولما سأل جبريلُ رسول الله ﷺ عن الساعة، قال عليه الصلاة والسلام: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»[1].

ومن الفوائد: المنع من استفتاء من لا يصلح للفُتيا.

قال السعدي ـ رحمه الله تعالى:

﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ [الكهف: ٢٢] أي: في شأن أهل الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي: من أهل الكتاب ﴿أَحَداً﴾ وذلك لأن مبنى كلامهم فيهم على الرجم بالغيب والظن، الذي لا يغني من الحق شيئًا.

ففيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى، إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه.

وإذا نهي عن استفتاء هذا الجنس، فنهيه هو عن الفتوى من باب أولى

(١) مسلم (٨) من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ.

وأحرىٰ، وفي الآية أيضًا دليل علىٰ أن الشخص قد يكون منهيًّا عن استفتائه في شيء، دون آخر، فيستفتىٰ فيما هو أهل له، بخلاف غيره؛ لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقًا، إنما نهىٰ عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، وما أشبهها.

* * *

ومن الفوائد: مشروعية طلب الدليل علىٰ سلامة الأعمال والمعتقدات:

وذلك من قول الفتية: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥].

ومن الفوائد: التحذير من الكذب علىٰ الله، وبيان أنه أشد الظلم، وأفرىٰ الفِرىٰ.



﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن
شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ
وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ - يَدْعُونَ رَبَّهُم - بِالْغَدَاةِ - الْعَشِيِّ - لا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ - تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - اتَّبَعَ هَوَاهُ - كَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا - وَقُلِ الْحَقُّ - أَعْتَدْنَا - لِلظَّالِمِينَ - أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا - يَسْتَغِيثُوا - الْمُهْلِ - مُرْتَفَقًا - عَدْنٍ - يُحَلَّوْنَ - أَسَاوِرَ - سُندُسٍ - إِسْتَبْرَقٍ - مُتَّكِئِينَ - الأَرَائِكِ - نِعْمَ الثَّوَابُ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾	احبس نفسك، أو لازم مجالسة.
﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾	يسألون ربهم - يدعون ربهم - يذكرون ربهم.
﴿بِالْغَدَاةِ﴾	الصباح (قبل طلوع الشمس).
﴿الْعَشِيِّ﴾	عند الغروب
﴿لا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾	لا تجاوزهم إلى غيرهم.
﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	تطلب مَنْ عندهم زينة الحياة الدنيا من أصحاب الشرف والثروة.
﴿اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾	اتبع ما تمليه عليه نفسه الأمارة بالسوء، وتهواه؛ كالكفر والمعاصي.

الكلمة	معناها
﴿كَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾	كانت أفعاله سفهًا وتفريطًا وتضييعًا . وقيل : كانت ندمًا وهلاكًا وخلافًا للحق وضياعًا . وقيل : كانت تجاوزًا للحد .
﴿وَقُلِ الْحَقُّ﴾	وقل : هذا هو الحق .
﴿أَعْتَدْنَا﴾	أعددنا ـ أرصدنا .
﴿للظَّالمينَ﴾	للكافرين ـ للمشركين .
﴿أَحَاطَ بِهِمْ﴾	أحدق بهم من كل جانب .
﴿سُرَادِقُهَا﴾	سورها ، سور من نار .
﴿يَسْتَغِيثُوا﴾	يطلبوا الغوث مما هم فيه ، ويطلبون السقيا .
﴿الْمُهْلِ﴾	رديء الزيت ـ الزيت العكر المترسب ـ ما أُذيب من جواهر الأرض .
﴿مُرْتَفَقًا﴾	الارتفاق هو الاتكاء على المرفق ، وقيل : مجتمعًا ، وقيل : متكئًا ـ منزلاً ومقامًا .
﴿عَدْنٍ﴾	إقامة ، لا رحيل منها ولا تحول عنها كما قال تعالىٰ : ﴿لا يبغون عنها حولا﴾ [الكهف: ١٠٨] .
﴿يُحَلَّوْنَ﴾	يتحلون ـ يلبسون الحلية .
﴿أَسَاوِرَ﴾	جمع سوار .
﴿سُنْدُسٍ﴾	ما رقَّ من الديباج ، أي الحرير الرقيق .
﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾	ما غلظ من الديباج .

الكلمة	معناها
﴿مُتَّكِئِينَ﴾	مضطجعين ـ وقيل الاتكاء : الميل بأحد الشقين ، وقيل : التربع .
﴿الأَرَائِكِ﴾	الأسرة (جمع سرير) في الحجال .
﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾	نعمة الجزاء .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...﴾ [الكهف: ٢٨] ؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: وألزم نفسك، واحبس نفسك على مجالسة الصالحين الذين يدعون ربهم، فيسألونه، ويرجونه، ويخشونه، ويعبدونه، ويذكرونه صباحًا ومساءً.

الحث على مجالسة أهل الصلاح

س: اذكر بعض الوارد في الحث على مجالسة الصالحين؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢، ٥٣].

وهذه الآيات نزلت لما طلب المشركون من رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء من حوله حتى لا يجترئوا على أهل الكبر بزعمهم، فأنزل الله الآيات.

ففي «الصحيح»[١] من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه: فيَّ

(١) مسلم (٢٤١٣).

نزلت: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قال: نزلت في ستة: أنا، وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تدني هؤلاء؟!.

وفي رواية أُخرىٰ لمسلم أيضًا عن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ ستةُ نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا.

قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجلٌ من هذيل، وبلالٌ، ورجلان لست أسميهما: فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وكان هذا ـ أعني طلب أهل الشرك من الأنبياء طرد المؤمنين الضعفاء ـ كان أمرًا مضطردًا، فقد قال قوم نوح لنوح عليه السلام:

﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١١ـ١١٥].

وقد عاتب الله ـ عزَّ وجل ـ نبيه محمدًا ﷺ لما عبس وتولى في وجه عبد الله بن أم مكتوم: لما أقبل علىٰ رسول الله ﷺ وكان عند النبي وجهاء قومه يقبل عليهم لدعوتهم، فعرض له ابن أم مكتوم الأعمىٰ، فأقبل عليهم الرسول ﷺ فعُوتب في شأنه بما ذكر الله في كتابه الكريم.

أخرج الترمذي[1] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

«أنزل (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله، أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: «**أترى بما تَقُولُ بأسًا**»، فيقال: لا، ففي هذا أنزل.

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾ [لقمان: ١٥].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**إنما مثلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أنْ يُحذيكَ[2] وإما أن تبتاعَ منه وإما أنْ تجدَ منه ريحًا طيبًا، ونافخُ الكيرِ إما أن يحرقَ ثيابكَ وإما أن تجدَ ريحًا خبيثةً**»[3].

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح هذا الحديث:

فيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق، والورع، والعلم، والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس، أو يكثر فُجرهُ وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة.

---

(١) الترمذي (٣٣٣١) وقال: هذا حديث غريب، وأشار الترمذي إلى رواية من رووه مرسلاً.

(٢) يُحذيك: أي يعطيك.

(٣) البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم مع النووي (١٦/ ١٧٨).

فضل مجالسة الصالحين

س: اذكر بعض الوارد في فضل مجالسة الصالحين؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم [١] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنَّ لله تباركَ وتعالى ملائكة سيَّارةً، فُضُلاً، يتبعونَ مجالسَ الذكرِ فإذَا وجدوا مجلسًا فيه ذكرٌ قعدوا معهمْ، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتَّى يملئوا ما بينهم وبينَ السماء الدنيَا. فإذَا تفرقُوا عرجُوا وصعدُوا إلى السماء»، قال: فيسألهم اللهُ عزَّ وجلَّ - وهُو أعلمُ بهم - منْ أينَ جئتم؟ فيقولونَ: جئنا من عند عباد لكَ في الأرض، يسبحونكَ ويكبرونكَ ويهللونكَ ويحمدونكَ ويسألونكَ، قال: وماذَا يسألوني؟ قالُوا: يسألونكَ جنتكَ قال: وهلْ رأوا جنَّتي؟ قالُوا: لا، أي ربِّ! قالَ: فكيفَ لوْ رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونكَ قالَ: وممَّ يستجيرونني؟ قالُوا: من نارك، يا ربِّ! قالَ: وهلْ رأوا ناري؟ قالُوا: لا، قالَ: فكيفَ لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونَك، قال: فيقولُ: قدْ غفرْت لهم، فأعطيتهُم ما سألُوا، وأجرتهُم مما استجارُوا، قالَ فيقولونَ: ربِّ! فيهُم فلانٌ عبدٌ خطاءٌ، إنما مرَّ فجَلَسَ معهُم، قالَ فيقولُ: ولهُ غفرتُ، هُم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف ترى في رجل أحب قومًا ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «المرءُ معَ منْ أحبَّ».

---

(١) مسلم (٢٦٨٩).

(٢) البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠)، ونحوه عندهما من حديث أبي موسى أيضًا مرفوعًا.

وعندهما[١] أيضًا من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد، فلقينا رجلٌ عند سدة المسجد، فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟

قال رسول الله ﷺ: «**ما أعددتَ لهَا؟**».

قال: فكأن الرجل استكان، ثم قال: يا رسول الله! ما أعددت لها كبير صلاة، ولا صيام، ولا صدقة، ولكني أحبُّ الله ورسوله.

قال: «**فأنتَ معَ منْ أحببتَ**».

وتستفيد من الجليس الصالح العالم علمًا وصلاحًا وفقهًا، ومن الجليس الذاكر العابد عبادة وذكرًا:

أخرج البخاري[٢] من حديث أبي جحيفة ـ رضي الله عنه ـ قال:

آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء؛ فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟

قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا.

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كُلْ، قال: فإني صائمٌ، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم، فنام ثم ذهب يقوم، فقال: نم.

فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له.

فقال له النبي ﷺ: «**صَدَقَ سلمانُ**».

---

(١) البخاري (٦١٧١)، ومسلم (ص٢٠٣٣).

(٢) البخاري (١٩٦٨).

فهذا أصل من أصول الاقتصاد يتعلمه أبو الدرداء من سلمان رضي الله عنه، ونتعلمه نحن كذلك.

ولذا فإن نبي الله موسىٰ ـ عليه السلام ـ حرص على لقاء الخضر للتعلم منه.

وجليسك الصالح يدعو لك، ويستغفر لك.

أخرج البخاري [(١)] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمع النبي ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: «**رحمهُ اللهُ، لقد أذكرَني كذَا وكذا آيةً أسقطتهنَّ من سورة كذَا وكذَا**» وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة: «تهجد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت عباد يصلي في المسجد، فقال: «**يا عائشة، أصوت عباد هذا؟**»، قلت: نعم، قال: «**اللهمَّ ارحمْ عَبَّادًا**».

والجليس الصالح يُذكر صاحبه بالله عزَّ وجل:

ألا ترىٰ أن الخوف لما اعترىٰ الصديق أبا بكر وهو مع الرسول ﷺ وهما في الغار ذكره النبي ﷺ بقوله: ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي «الصحيح» أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، قال: «**يا أبَا بكرٍ، ما ظنكَ باثنينِ اللهُ ثالثهمَا؟**»[(٢)].

وقال موسىٰ ـ عليه السلام ـ لأصحابه لما قالوا له ـ بعد أن تراءىٰ الجمعان ـ ﴿**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

---

(١) البخاري (٢٦٥٥).

(٢) أخرج البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

ونبي الله زكريا ـ عليه السلام ـ استفاد من مريم ـ عليها السلام ـ كما أنها استفادت منه أيضًا .

فقد كفلها زكريا ـ عليه السلام ـ فتربت في بيت نبوةٍ طاهر مبارك كريم ، فاستفادت خُلقًا حسنًا وعبادةً وورعًا وعفةً وأمانة ، فأحصنت فرجها ـ عليها السلام ـ ثم إن زكريا ـ عليه السلام ـ استفاد منها هو الآخر ، فكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقًا ، فيسألها : أنى لك هذا؟ فتقول : هو من عند الله ، فحملته وشجعته على الدعاء بالولد الصالح والذرية الطيبة ، فقال : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران : ٣٨، ٣٩] .

فرُزق ـ عليه السلام ـ بيحيى ـ عليه السلام ـ من توفيق الله له ، إذ رزقه الدعاء ووفقه إليه .

فيا من رزقت مريم بغير حساب ، ويا من مننت على زكريا ـ عليه السلام ـ ارزقنا بغير حساب ، وهب لنا من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ، وآتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

والجليس الصالح يمنعك من القيل والقال والخوض في الأعراض واغتياب المؤمنين والمؤمنات: وذلك لأنه لا يرضى لنفسه أن يستمع إلى غيبة مسلم ، ولا يرضى لنفسه أن تؤكل لحوم إخوانه الميتين أما عينيه ، لا يرضى ذلك لمن يُغتاب أو يغتاب ، بل يحفظ هذا وذاك .

أما جليس السوء فلا يلوي على أحدٍ ولا يحفظ حرمة أحد ، فيرى لحوم إخوانه تؤكل فيتركها تؤكل ، بل ويشارك في أكلها وبشراهة ، فتجده يطعن في هذا وذاك ، ويغتاب هذا وذاك ، ويُغتَاب إخوانه أمامه ولا يدافع ، فيبيت

وقد انتفخت بطنه من لحوم الميتة، ونهشه أعراض المسلمين.

والجليس الصالح يحنُّ لفراقك ويسأل عنك ويتفقد أحوالك، حتى إن الجذع قد حنَّ لفراق جليسه الصالح رسول الله ﷺ.

أخرج البخاري[1] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -:

أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه - فإن لي غلامًا نجَّارًا؟ قال: «**إن شئت**»، فعملت له المنبر.

فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت، قال: «**بكت على ما كانتْ تسمَع مِنَ الذكر**».

أما أهل الظلم فما بكت عليهم السماء والأرض، بل ومستراحٌ منهم بعد موتهم.

أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدِّث أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه بجنازة فقال: «**مستريحٌ ومستراحٌ منهُ**».

قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟

قال: «العبدُ المؤمنُ يستريحُ من نصب الدنيَا وأذاها إلى رحمة اللهِ عزَّ وجلَّ، والعبدُ الفاجرُ يستريحُ منهُ العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ».

(١) البخاري (٢٠٩٥).

(٢) البخاري (٦٥١٢)، ومسلم (٩٥٠).

والجليس الصالح يُعين صاحبه على ذكر الله ـ عزَّ وجل ـ وعلى طاعته.

ومن ثمَّ طلب موسىٰ عليه السلام من ربه ـ عز وجل ـ أن يُمدَّه بأخيه هارون، فقال: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩ـ٣٥].

ومجالسة الصالحين تجعلك تستقل أعمال البر التي تعملها:

ومن ثمَّ تكثر وتزيد من أعمال البر والمعروف والعبادة والإحسان.

فإذا كنت تصلي ركعتين نافلة لك من الليل، ورأيت جليسك يُصلي أربعًا ويداوم علىٰ ذلك، فإنك تنشط لفعل ما يفعل.

وإذا تصدقت بدرهم أو درهمين، ووجدت من هو في مثل حالك يتصدق بخمسة دراهم أو بعشرة حملك صنيعه بلا شك علىٰ زيادة الصدقة إن شاء الله.

فهذا عمر ـ رضي الله عنه ـ لما حثَّ رسولُ الله ﷺ علىٰ الصدقة خرج بنصف ماله فوجد أبا بكر قد جاء بماله كله.

أخرج أبو داود بإسناد صحيح[1] عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتهُ يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلكَ؟»** فقلتُ: مثله، قال: وأتىٰ أبو بكر بكلِّ ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما أبقيتَ لأهلكَ؟»** قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلتُ: لا أسابقك إلىٰ شيء أبدًا».

---

(١) أبو داود (١٦٧٨).

وجلساء الخير والصلاح يعرّفونك بالصالحين ويجمعونك بهم ويدلونك عليهم:

أخرج مسلم[١] من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال أبو بكر - رضي الله عنه - بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهيا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيكِ؟! ما عند الله خير لرسوله ﷺ، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها.

والجليس الصالح يُعطي الأمل ويبين ثواب الله - عزَّ وجلَّ:

أخرج البخاري[٢] من طريق ابن أبي مليكة قال: «استأذن ابن عباس قبل موتها - على عائشة - وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يُثني عليَّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنتِ بخير إن شاء الله تعالى، زوجةُ رسول الله ﷺ؛ ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافَه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليَّ، وددت أني كنت نسيًا منسيًّا».

ومصاحبة الأخيار تحمل على التنافس في الخير:

وقد سبق في هذا الباب تنافس أبي بكر مع عمر - رضي الله عنهما - في إخراج الصدقة لما حثَّ عليها رسول الله ﷺ، وهذا أيضًا نوع آخر من تنافسهما في زفِّ البشارات للمسلمين.

---

(١) مسلم (٢٤٥٤).

(٢) البخاري (٤٧٥٣).

أخرج الإمام أحمد [١] بإسنادٍ صحيح لشواهده من حديث ابن مسعود قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو بين أبي بكر وعمر، وإذا ابن مسعود يصلي، وإذا هو يقرأ «النساء» فانتهىٰ إلىٰ رأس المائة، فجعل ابن مسعود يدعو وهو قائم يصلي، فقال النبي ﷺ : «**اسأل تعطَه، اسألْ تعطَه**»، ثم قال: «**من سَرَّه أنْ يقرأَ القرآنَ غضًّا كمَا أُنْزلَ فليقرأهُ بقراءة ابن أمِّ عبد**».

فلما أصبح غدا إليه أبو بكر - رضي الله عنه - ليبشره وقال له: ما سألت الله البارحة؟

قال قلت: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة محمد في أعلىٰ جنة الخلد.

ثم جاء عمر - رضي الله عنه - فقيل له: إن أبا بكر قد سَبَقَك، قال: يرحم الله أبا بكر ما سبقتُه إلىٰ خير قط إلا سبقني إليه.

وكذا فإن مصاحبة الأخيار تحمل علىٰ التأسي بهم والاقتداء حتىٰ في سمتهم وهديهم وطريقة مشيهم، فهذا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - لكثرة ملازمته لرسول الله ﷺ يقتبس من هديه ويتخلق بأخلاقه.

أخرج البخاري [٢] من طريق عبد الرحمن بن يزيد قال: «سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتىٰ نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا وهديًا ودلاًّ بالنبي ﷺ من ابن أمِّ عبد».

* * *

(١) أحمد (المسند ١/ ٤٥٤).

(٢) البخاري (٣٧٦٢).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]؟

ج: هذه تحتمل معنيين:

أحدهما: يسألون ربهم ويذكرونه.

الثاني: يعبدون ربهم.

* * *

س: اذكر بعض الوارد من السُّنة في ذكر وجه الله عزَّ وجل؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»(١).

وقوله ﷺ: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك**»(٢).

وقوله ﷺ: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيها، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»(٣).

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]؟

ج: **قال القرطبي رحمه الله**:

﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] أي: تتزين بمجالسة هؤلاء الرؤساء الذين اقترحوا إبعاد الفقراء من مجلسك، ولم يُرِد النبي ﷺ أن يفعل ذلك،

(١) البخاري في «التفسير» (٤٦٢٨).

(٢) «صحيح النسائي» (٣/ ٥٥).

(٣) البخاري (٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

ولكن الله نهاه عن أن يفعله، وليس هذا بأكثر من قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، وإن كان الله أعاذه من الشرك، و«تريد» فعل مضارع في موضع الحال؛ أي: لا تعد عيناك مريداً، كقول امرئ القيس:

فقلتُ له لا تبْكِ عَيْنُكَ إنما نحاول مُلْكًا أو نموتَ فنُعْذَرَا

وزعم بعضهم أن حق الكلام: لا تعد عينيك عنهم؛ لأن «تَعْدُ» متعدٍّ بنفسه، قيل له: والذي وردت به التلاوة من رفع العينين يؤول إلى معنى النصب فيها إذا كان لا تعد عيناك عنهم بمنزلة لا تنصرف عيناك عنهم، ومعنى لا تنصرف عيناك عنهم: لا تصرف عينيك عنهم؛ فالفعل مسند إلى العينين، وهو في الحقيقة موجه إلى النبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥] فأسند الإعجاب إلى الأموال، والمعنى: لا تعجبك يا محمد أموالهم.

ويزيدك وضوحًا قول الزجاج: إن المعنى: لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى:

﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] أي: شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] أي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعًا له، ولا محبًا لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

وقال الطبري ـ رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨] يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه ـ من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك ـ عن ذكرنا، بالكفر وغلبة الشقاء عليه، واتبع هواه، وترك اتباع أمر الله ونهيه، وآثر هوىٰ نفسه علىٰ طاعة ربه.

وهم فيما ذُكر: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذووهم.

* * *

س: نهى الله نبيه ﷺ في عدة آيات من الكتاب العزيز ـ عن أن يصرف بصره عن أهل الضعف والفقر من المؤمنين طموحًا إلى الأغنياء وما لديهم من زينة الحياة الدنيا، اذكر من الأدلة ما يؤكد هذا النهي؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨].

* * *

س: هل يُطاع الوالد المسرف على نفسه؟

ج: إذا دعا هذا الوالد المسرف على نفسه إلى معصية الله ـ عزَّ وجل ـ فلا يطاع، فإنما الطاعة في المعروف، أما إذا طلب من ولده أمرًا لا يخالف أمر الله ورسوله، ثم هو في وسع الولد فإنه حينئذ يُطاع.

أمَّا الأدلة على أن الطاعة في المعروف، فمنها ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم (١) من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ بعث جيشًا، وأمَّر عليهم رجلاً، فأوقد نارًا، وقال: ادخلوها، فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها، فذكروا للنبي ﷺ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «**لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة**» وقال للآخرين: «**لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف**»(٢).

وما أخرجه أحمد (٣): بإسناد صحيح عن حنظلة بن خويلد العنبري قال: بينما أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**» قال معاوية: فما بالك معنا، قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أطع أباك ما دام حيًّا ولا تعصه**»، فأنا معكم ولست أقاتل.

فعبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ وإن أطاع أباه لكون النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٣/ ٢٣٣)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) وصح عن النبي ﷺ ـ كما في البخاري (١٣/ ١٢١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ـ «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، وقال الله عز وجل: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

(٣) أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

أوصاه بذلك، فقال: «أطع أباك ما دام حيًّا ولا تعصه» إلا أنه لم يقاتل المسلمين، ولم يرفع سيفه عليهم رضي الله عنه وأرضاه.

فليس من البر أبدًا الطاعة في الشرك والمعاصي، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وها هو سبب نزول هذه الآية الكريمة:

أخرج مسلم[١] في «صحيحه» من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: حلفت أم سعد ألا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك - وأنا أمك - وأنا آمرك بهذا.

قال: مكثت ثلاثًا حتى غُشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله - عزَّ وجل - في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٤، ١٥]. . . فذكر الحديث.

* * *

---

(١) مسلم (١٧٤٨).

س: في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] ردٌّ على القدرية، وضح ذلك مع الاستدلال بمزيد من الاستدلالات؟

ج: إيضاحه أن القدرية يقولون: لا قدر، وأن الشخص يختار لنفسه ما يشاء، ولكن الآية الكريمة فيها ردٌّ على هذا، فالقلب الغافل تُرَىٰ من جعله غافلاً؟ إنه الله الذي قدر كل شيءٍ.

* قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧].
* وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥].
* وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[السجدة: ١٣].

* * *

س: نهى الله نبيه ﷺ عن طاعة الغافلين عن ذكر الله، البعيدين عن طريق الله سبحانه وتعالى، دلِّل على ذلك بطائفة من الأدلة؟

ج: من الأدلة على ذلك:

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].
* وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢].
* وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠].
* وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].
* وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

* وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩].

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] ؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى «أضواء البيان»:

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] قيل: هو من التفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الإيمان، وعلىٰ هذا فمعنىٰ ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]: أي: كانت أعماله سفهًا وضياعًا وتفريطًا.

وقيل: من الإفراط الذي هو مجاوزة الحد، كقول الكفار المحتقرين لفقراء المؤمنين: نحن أشراف مضر وساداتها، إن اتبعناك اتبعك جميع الناس، وهذا من التكبر والإفراط في القول.

وقيل: ﴿فُرُطًا﴾ أي: قدمًا في الشر، من قولهم: فرط منه أمر، أي سبق.

وأظهر الأقوال في معنىٰ الآية الكريمة عندي بحسب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن معنىٰ قوله: ﴿فُرُطًا﴾ أي: متقدمًا للحق والصواب، نابذًا له وراء ظهره، من قولهم: فرس فرط، أي متقدم للخيل، ومنه قول لبيد في «معلقته»:

ولقد حميت الخيل تحمل شكتي ... فرط وشاحي إذ غدوت لجامها

وإلىٰ ما ذكرنا في معنىٰ الآية ترجع أقوال المفسرين كلها، كقول قتادة ومجاهد: ﴿فُرُطًا﴾ أي: ضياعًا، وكقول مقاتل بن حيان ﴿فُرُطًا﴾ أي: سرفًا، كقول الفراء: ﴿فُرُطًا﴾ أي متروكًا، وكقول الأخفش: ﴿فُرُطًا﴾

أي: مجاوزًا للحد، إلىٰ غير ذلك من الأقوال.

* * *

س: كان من أسباب امتناع أهل الكفر عن الدخول في الإسلام الكبرُ والاستنكاف عن مجالسة الصالحين، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

* قول أهل الكفر لنبي الله نوح عليه السلام: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

كذا قولهم: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ [هود: ٢٧].

* وقول أهل الكفر أيضًا: ﴿هَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩]؟

ج: المراد - والله تعالىٰ أعلم - وقل هذا القرآن هو الحق الذي جاءكم من عند الله عزَّ وجل.

وأيضًا معناه: وقل قد جاءكم الحق من ربكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم: الحق أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدىٰ والضلال، يهدي من يشاء منكم للرشاد، فيؤمن، ويضل من يشاء عن الهدىٰ، فيكفر، ليس إليَّ من ذلك شيء،

ولست بطارد ـ لِهَوَاكُم ـ من كان للحق متبعًا، وبالله وبما أنزل عليَّ مؤمنًا، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نارًا أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿الْحَقُّ﴾ رفع على خبر الابتداء المضمر؛ أي: قل هو الحق.

وقيل: هو رفع على الابتداء، وخبره في قوله: ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] ومعنى الآية: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس! من ربكم الحق فإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهُدى والضلال، يهدي من يشاء فيؤمن، ويضل من يشاء فيكفر؛ ليس إليَّ من ذلك شيء، فالله يؤتي الحق من يشاء وإن كان ضعيفًا، ويحرمه من يشاء وإن كان قويًا غنيًّا، ولست بطارد المؤمنين لهواكم؛ فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، وليس هذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر؛ وإنما هو وعيد وتهديد، أي: إن كفرتم فقد أعد لكم النار، وإن آمنتم فلكم الجنة.

* * *

س: هل قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] للتخيير؟

ج: قطعًا فإن هذا ليس للتخيير، بل هو تهديدٌ ووعيد.

قال الشنقيطي رحمه الله:

ظاهر هذه الآية الكريمة بحسب الوضع اللغوي ـ التخيير بين الكفر والإيمان ـ ولكن المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير، وإنما المراد بها: التهديد

والتخويف، والتهديد بمثل هذه الصيغة التي ظاهرها التخيير أسلوب من أساليب اللغة العربية.

والدليل من القرآن العظيم على أن المراد في الآية التهديد والتخويف ـ أنه أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] وهذا أصرح دليل على أن المراد التهديد والتخويف، إذ لو كان التخيير على بابه لما توعد فاعل أحد الطرفين المخير بينهما بهذا العذاب الأليم، وهذا واضح كما ترى.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ [الكهف: ٢٩] أي: أرصدنا.

* * *

س: مَن المراد بالظالمين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩]؟

ج: المراد بالظالمين هنا الكفار.

قال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿أَعْتَدْنَا﴾ أصله من الاعتاد، والتاء فيه أصلية وليست مبدلة من دال على الأصح، ومنه العتاد بمعنى العدة للشيء.

ومعنى ﴿أَعْتَدْنَا﴾: أرصدنا وأعددنا، والمراد بالظالمين هنا الكفار، بدليل قوله قبله: ﴿وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وقد قدمنا كثرة إطلاق الظلم على الكفر في القرآن؛ كقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ

اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[يونس:١٠٦]، ونحو ذلك من الآيات، وقد قدمنا أن الظلم في لغة العرب: وضع الشيء في غير محله، ومن أعظم ذلك وضع العبادة في مخلوق.

وقد جاء في القرآن إطلاق الظلم على النقص في قوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف:٣٣]، وأصل معنى مادة الظلم هو ما ذكرنا من وضع الشيء في غير موضعه.

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى السرادق؟

ج: السرادق: مفرد السرادقات، وهي التي قوله: صحن الدار، وهي أشبه بالخيام.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

وأما المراد بالسرادق في الآية الكريمة ففيه للعلماء أقوال، مرجعها إلى شيء واحد، وهو إحداق النار بهم من كل جانب.

فمن العلماء من يقول: ﴿سُرَادِقُهَا﴾ أي: سورها، قاله ابن الأعرابي وغيره.

ومنهم من يقول: ﴿سُرَادِقُهَا﴾: سور من نار، وهو مروي عن ابن عباس.

ومنهم من يقول: ﴿سُرَادِقُهَا﴾: عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة، قاله الكلبي.

منهم من يقول: هو دخان يحيط بهم، وهو المذكور في «المرسلات» في قوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ

اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠، ٣١]، «الواقعة» في قوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤].

وأورد - رحمه الله تعالىٰ - أقوالاً أُخر في تفسير السرادق.

س: كيف قيل: يغاثوا بماء كالمهل، هل في المهل إغاثة؟

ج: أجاب الشنقيطي في «أضواء البيان» علىٰ هذا بقوله:

فإن قيل: أي: إغاثة في ماء كالمهل مع أنه من أشد العذاب، وكيف قال الله تعالىٰ: ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]؟

فالجواب: أن هذا من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

ونظيره من كلام العرب قول بشر بن أبي حازم:

غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

فمعنىٰ قوله: «أعتبوا بالصيلم»: أي أرضوا بالسيف، يعني: ليس لهم منا إرضاء إلا بالسيف.

وقول عمرو بن معد يكرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

يعني: لا تحية لهم إلا الضرب الوجيع، وإذا كانوا لا يغاثون إلا بماء كالمهل - علم من ذلك أنهم لا إغاثة لهم ألبتة.

* * *

س: هل من فائدة في وصف الماء بأنه يشوي الوجوه؟

ج: نعم هناك فائدة، فإذا كان البخار يشوي الوجوه قبل أن يصل الماء إلىٰ الشفاه، فكيف بالماء نفسه؟!! ففي هذا دليل علىٰ شدة حرارته.

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠]؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

* وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ [آل عمران: ١٩٥].

* وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١].

* وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

* قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: قال المفسرون: ومعنى ﴿لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] أي: لا نترك أعماله تذهب ضياعًا، بل نجازيه عليها بالثواب.

* * *

س: أين خبر (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ٣٠] ؟

ج: أخرج الشنقيطي - رحمه الله تعالى - في «أضواء البيان» نحو هذا السؤال، وأجاب عليه، فقال:

الأول: أن يقال: أين خبر «إنَّ» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [الكهف: ٣٠] الآية؟ فإذا قيل: خبرها جملة: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] توجه السؤال.

الثاني: وهو أن يقال: أين رابط الجملة الخبرية بالمبتدأ الذي هو اسم «إن»؟

اعلم أن خبر «إنَّ» في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [الكهف: ٣٠] قيل: هو جملة ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [الكهف: ٣١] وعليه فقوله: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] جملة اعتراضية، وعلى هذا فالرابط موجود، ولا إشكال فيه.

وقيل: «إن» الثانية، واسمها وخبرها، كل ذلك خبر «إن» الأولى، ونظير الآية من القرآن في الإخبار عن «إن» بـ«إن» وخبرها واسمها قوله تعالى في «سورة الحج»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ الآية [الحج: ١٧].

وقول الشاعر:

إن الخليفة إن الله ألبسه سربال ملك به ترجى الخواتيم

على أظهر الوجهين في خبر «إنَّ» الأولى في البيت.

وعلى هذا فالجواب على السؤال الثاني من وجهين:

الأول: أن الضمير الرابط محذوف، تقديره: لا نضيع أجر من أحسن منهم عملاً، كقولهم: السمن منوان بدرهم، أي: منوان منه بدرهم، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ...﴾ الآية [البقرة: ٢٣٤]، أي: يتربصن بعدهم.

الوجه الثاني: أن ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإذا كان «الذين آمنوا، ومن أحسن عملاً» ينظمها معنى واحد قام ذلك مقام الربط بالضمير، وهذا هو مذهب الأخفش، وهو الصواب؛ لأن الربط حاصل بالاتحاد في المعنى.

* * *

وَٱضْرِبْ

لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾
وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

س: اذكر معنى كلٍّ مما يلي:

﴿ جَنَّتَيْنِ - حَفَفْنَاهُمَا - آتَتْ أُكُلَهَا - لَمْ تَظْلِم - فَجَّرْنَا خِلالَهُمَا - ثَمَرٌ - يُحَاوِرُهُ - وَأَعَزُّ نَفَراً - ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ - تَبِيدَ - السَّاعَةَ قَائِمَةً - رُددتُ إِلَى رَبِّي - مُنقَلَبًا - سَوَّاكَ - لَكِنَّا - وَلَوْلا - مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ - يُؤْتِيَنِي - حُسْبَانًا - صَعِيداً زَلَقًا - غَوراً - فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا - وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ - يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ - عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا - خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا - فِئَةٌ - دون الله - مُنتَصِراً - الْوَلايَةُ - خَيْرٌ ثَوَابًا - وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿جَنَّتَيْنِ﴾	بُستانَين.
﴿حَفَفْنَاهُمَا﴾	أطفناهما من جوانبهما بنخل.
﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾	أخرجت ثمارها - أثمرت ثمرها كاملاً.
﴿لَمْ تَظْلِم﴾	لم تنقص.
﴿فَجَّرْنَا﴾	شققنا وسطها (نهراً).
﴿ثَمَرٌ﴾	قيل: جمع ثمار - وقيل: المراد بالثمر هنا الأموال المثمرة من الذهب والفضة.
﴿يُحَاوِرُهُ﴾	يجادله - يراجعه الكلام، ومنه: ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ [المجادلة: ١] - يخاصمه - يفخر عليه.
﴿أَعَزُّ نَفَراً﴾	أكثر عشيرة وأقوىٰ أنصاراً.

الكلمة	معناها
	أكثر أولادًا وخدمًا[١] .
﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾	باخسٌ حق نفسه ، منقصُ نفسه حقها (وذلك بكفره ، وتمرده ، وتجبره ، وإنكاره البعث والحساب ، واغتراره بدنياه) .
﴿تَبِيدَ﴾	تهلك وتفنى .
﴿السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾	الساعة آتية .
﴿رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾	رجعت إلى ربي .
﴿مُنقَلَبًا﴾	مرجعًا ـ عاقبة ـ مآلاً .
﴿سَوَّاكَ﴾	عدلك فجعلك بشرًا سويًا ، جعلك رجلاً سليم الأعضاء ، مستوي الأجزاء .
﴿لَّكِنَّا هُوَ﴾	لكن أنا .
﴿لَوْلا﴾	هلا .
﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾	ما أنا فيه بمشيئة الله ، ولا قوة لي بالإتيان به إنما هو رزق الله لي .
﴿يُؤْتِيَنِي﴾	يرزقني ـ يعطيني .
﴿حُسْبَانًا﴾	عذابًا (من السماء تُرمى به رميًا) .
﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾	ترابًا أملسًا ـ بلقعا ـ قد اقتلعت أشجارها ، ومُحي وأزيل ما فيها .

(١) صح عن قتادة أنه قال : تلك والله أمنية الفاجر ، كثرة المال وعزة النفر (طب ٢٣٠٦٤) .

الكلمة	معناها
﴿غَوْرًا﴾	غائرًا في الأرض ـ ذاهبًا في الأرض (على العكس من الماء المعين[1] الظاهر الجار) .
﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾	فلن تُطيق استخراجه ولن تطيق إدراكه .
﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾	أحاطت الجوائح ، وحلت المصائب بثمره ـ أُهلك ماله .
﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾	يُصفِّق بكفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التي أنفقها على بستانه .
﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾	خالية من نباتها وبيوتها ـ تساقطت الأشجار ، ومالت السيقان ، وذهبت الثمار .
﴿فِئَةٌ﴾	عشيرة ـ أو ولد ـ منعةٌ وقومٌ .
﴿دون الله﴾	سوى الله .
﴿مُنتَصِرًا﴾	ممتنعًا ـ مانعًا لنفسه من العذاب ـ مُستردًا لماله .
﴿الْوَلَايَةُ﴾	الخضوع ، وهنالك الولاية هنالك الموالاة .
﴿خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾	خيرٌ جزاءً ـ خير إثابة .
﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾	خير عاقبة ومآلاً ، فعاقبته حميدة ورشيدة .

---

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾ [الملك : ٣٠] .

س: قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم ﴾ [الكهف: ٣٢] **واضرب لمن؟**

ج: المعنى، واضرب لهؤلاء المستكبرين المغترين بدنياهم وأيضًا، واضرب لكل عاقلٍ، بل واضرب لكل الناس.

* * *

س: ما صلة هذه الآيات ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ [الكهف: ٣٢] **بما قبلها؟**

ج: بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بأن يصبر نفسه مع أهل الإيمان الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا يصرف بصره عنهم ذكَّر سبحانه وتعالى بمصير رجلٍ مستكبرٍ معاند وما حلَّ به حتى لا يغتر أحدٌ بديناه، ولا يركن شخص إلى غناه، فضرب مثلاً بصاحب الجنتين.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: بعد ذكر المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء، والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم مثلاً برجلين؛ جعل الله: **﴿لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾** [الكهف: ٣٢]، أي: بستانين من أعناب محفوفتين بالنخل، المحدقة في جنباتهما، وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله، الذين سألوك أن تطرُد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، **﴿مَّثَلاً﴾** مثل **﴿رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾** [الكهف: ٣٢]!!

* * *

س: من شأن أهل الجهل الاغترار بالمال والعشيرة دلِّل علي ذلك ؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي :

* قول صاحب الجنتين ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ [الكهف: ٣٤] .

* وقول الكفار: ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] .

* وقولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] .

* * *

س: ما وجه قوله : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾ [الكهف: ٣٥] مع أنهما جنتان؟

ج: قال الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ مجيبًا على ذلك:

أنه قال ما ذكره الله عنه حين دخل إحداهما، إذ لا يُمكن دخوله فيهما معًا في وقت واحدٍ، والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٣٦]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [الكهف: ٣٥] ، أي: بكفره، وتمرده، وتكبره، وتجبره وإنكاره المعاد ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٦] وذلك اغترار منه، لما رأىٰ فيها من الزروع والثمار والأشجار، والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنىٰ ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة ، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: ٣٦] أي: كائنة.

* * *

س: وردت جملة آيات تدل على أن الشك في البعث يُعدُّ كفرًا، اذكر بعض ذلك؟

ج: من ذلك قوله تعالىٰ في شأن الكفار: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:٦٦].

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى «أضواء البيان»:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف:٣٧] بعد قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف:٣٦] يدل علىٰ أن الشك في البعث كفر بالله تعالىٰ. وقد صرح بذلك في أول سورة «الرعد» في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد:٥].

* * *

س: الكافر يظن أن الساعة ليست بقائمة، وأن لا بعث ولا حساب، ثم يتجرأ ويزعم أن لو كان بعث لكان في أُخراه كما كان عليه في دنياه من الوجاهة والمال والشرف، اذكر من الآيات ما يوضح هذا؟

ج: إيضاحه من قول صاحب الجنتين: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] أي: وما اعتقد أن الساعة قائمة، ولئن قامت الساعة فالذي أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة.

* وهذا أيضًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠].

* وكقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧].

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الكهف: ٣٧]؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ معنىٰ خلقه إياه من تراب: أي: خلق آدم الذي هو أصله من التراب؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ..﴾ الآية [آل عمران: ٥٩]، ونظير الآية التي نحن بصددها قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ الآية [الحج: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الكهف: ٣٧] أي: بعد أن خلق آدم من التراب، وخلق حواء من ضلعه، وجعلها زوجًا له كانت طريق إيجاد الإنسان بالتناسل، فبعد طور التراب، طور النطفة، ثم طور العلقة إلىٰ آخر أطواره المذكورة في قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]، وقد أوضحها تعالىٰ إيضاحًا تامًّا في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

ومما يبين خلق الإنسان من تراب، ثم من نطفة - قوله تعالىٰ في «السجدة»: ﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ

شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة:٦-٩].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى:﴿ خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ [الكهف:٣٧] ؟

ج: المراد ، والله أعلم، خلق أباك من تراب .

* * *

س: ما وجه همزة الإنكار في قوله : ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ [الكهف:٣٧]؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

والظاهر أن الإنكار المدلول عليه بهمزة الإنكار في قوله : ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف: ٣٧] مضمن معنى الاستبعاد؛ لأنه يستبعد جداً كفر المخلوق بخالقه، الذي أبرزه من العدم إلى الوجود، ويستبعد إنكار البعث ممن علم أن الله خلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم سواه رجلاً؛ كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج:٥].

وقال مثل ذلك في تفسير الآية الكريمة:

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن ذلك الرجل المؤمن المضروب مثلاً للمؤمنين، الذين تكبر عليهم أولو المال والجاه من الكفار ، قال لصاحبه الآخر الكافر المضروب مثلاً لذوي المال والجاه من الكفار منكراً عليه كفره أكفرت بالذي خلقك من تراب ، ثم من نطفة ، ثم سواك رجلاً ، ؛ لأن خلقه إياه من تراب ثم من نطفة ، ثم تسويته إياه رجلاً ، كل ذلك يقتضي إيمانه

بخالقه الذي أبرزه من العدم إلى الوجود، وجعله بشراً سويًّا ويجعله يستبعد منه كل البعد الكفر بخالقه الذي أبرزه من العدم إلى الوجود.

وهذا المعنى المبين هنا بينه في مواضع أخر، كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٢٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء:٧٥-٨١] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

❊ ❊ ❊

س: ووضح معنى قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧]؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

وقوله في هذه الآية: ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف:٣٧] كقوله: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل:٤]، وقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٧٧] أي: بعد أن كان نطفة سار إنسانًا خصيمًا شديد الخصومة في توحيد ربه .

وقوله: ﴿سَوَّاكَ﴾ أي: خلقك مستوي الأجزاء، معتدل القامة والخلق، صحيح الأعضاء في أكمل صورة، وأحسن تقويم؛ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، وقوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨]، وقوله ﴿رَجُلاً﴾ أي: ذكرًا بالغًا مبلغ الرجال.

قلت (مصطفى): وقد قال النبي ﷺ: «خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعًا»، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ففي كل ما ذُكر ردٌ على الملاحدة الذين يزعمون أن الإنسان أصله قرد.

* * *

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧] مع مزيد إيضاح للآية الكريمة؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال لصاحب الجنتين صاحبه الذي هو أقل منه مالاً وولدًا، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: ٣٧] يقول: وهو يخاطبه ويكلمه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف: ٣٧] يعني خلق أباك آدم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الكهف: ٣٧] يقول: ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة، ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧] يقول: ثم عدلك بشرًا سويًا رجلاً، ذكرًا لا أنثى، يقول: أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقًا جديدًا بعد ما تصير رفاتًا!

قال القرطبي رحمه الله:

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧] وعظه وبين له أن ما اعترف به من هذه الأشياء التي لا ينكرها أحد أبدع من

الإعادة ، و﴿سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧] أي: جعلك معتدل القامة والخَلْق ، صحيحَ الأعضاء ذكراً .

قال السعدي رحمه الله:

أي: قال له صاحبه المؤمن ناصحًا له، ومذكرًا له حاله الأولى ، التي أوجده الله فيها في الدنيا (من تراب، ثم من نطفة، ثم سواك رجلاً) فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلاً، كامل الأعضاء والجوارح المحسوسة، والمعقولة.

وبذلك يسرَّ لك الأسباب، وهيأ لك ما هيأ، من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك، فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، وتجهل نعمته؟ وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيراً من جنتك، هذا مما لا ينبغي ولا يليق، ولهذا لما رأى صاحبه المؤمن، حاله واستمراره على كفره وطغيانه، قال مخبراً عن نفسه، على وجه الشكر لربه، والإعلان بدينه، وعند ورود المجادلات والشبه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يقول تعالى مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن ، واعظًا له، وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧] ، وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين، وهو آدم ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ

﴿أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:٢٨]، أي: كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية، كل أحد يعلمها من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدومًا ثم وجد، وليس وجوده من نفسه، ولا مستندًا إلى شيء من المخلوقات؛ لأنه بمثابته، فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء ولهذا قال: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف:٣٨] أي: لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٣٨]، أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨]؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ بين فيه أن هذا الرجل المؤمن قال لصاحبه الكافر: أنت كافر! لكن أنا لست بكافر! بل مخلص عبادتي لربي الذي خلقني أي: لأنه هو الذي يستحق مني أن أعبده؛ لأن المخلوق محتاج مثلي إلى خالق يخلقه، تلزمه عبادة خالقه كما تلزمني.

ونظير قول هذا المؤمن ما قدمنا عن الرجل المؤمن المذكور في «يس» في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس:٢٢]، أي: أبدعني وخلقني وإليه ترجعون. وما قدمنا عن إبراهيم في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٧٧، ٧٨]، الآية، وقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧] الآية.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩] ؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ولولا أنك عند دخول جنتك ورؤية ما فيها من الفضل والخير وسعة الرزق، قلت: عند رؤيتك لها ودخولها ما شاء الله، أي: أن هذا الرزق الذي أنا فيه، لولا أن الله شاءه وأراد أن يكون لي ما حصل لي، فلا قوة لي على تحصيل الرزق إلا بتوفيق الله وعون الله وتيسير الله ، فكم من شخص يخرج من بيته طالبًا الرزق راجيًا المكسب فيصاب بخسارةٍ وذهابٍ لأمواله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩] : [هذا تحضيض] وحث على ذلك، ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩] أي: هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها، فحمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك ، وقلت: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله، أو ماله، أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ [الكهف: ٣٩] لولا للتحضيض أي: هَلاَّ قلت عندما دخلتها: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٩] قال الفراء والزجاج: هلا قلت حين دخلتها الأمر بمشيئة الله وما شاء الله كان، وقيل كائن أي: أيُّ شيء شاء الله كان فترد أمر جنتك من الحسن والنضارة لخالقه ولا تفتخر به؛ لأنه ليس من صنعك.

وقـوله: ﴿لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] من جملة مقول، أي: هلا قلت هاتين الجملتين تحضيضًا له على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى، إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها، وعلى الاعتراف بالعجز، وأن ما تيسر له من عمارتها وحسنها ونضارتها إنما هو بمعونة الله، لا بقوته وقدرته.

وهذا نصح من المؤمن للكافر وتوبيخ له على قوله: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥].

قال الزجاج: لا يقوى أحد على ما في يده من ملك ونعمة إلا بالله، ولا يكون إلا ما شاء الله.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في فضل: لا حول ولا قوة إلا بالله؟

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم [١] (واللفظ لمسلم) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة، أو قال ـ على كنزٍ من كنوز الجنة**»، فقلت: بلى، فقال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**».

وأخرج الإمام أحمد [٢] في «مسنده» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا هريرة أدلك علي كلمة كنزٍ من كنز الجنة تحت العرش**» قال: قلت: نعم، فداك أبي وأمي قال: «**أن تقول لا قوة إلا بالله**» قال أبو بلج (أحد رجال الإسناد) وأحسب أنه قال: فإن الله عزَّ وجل يقول: «أسلم عبدي واستسلم».

* * *

(١) البخاري (حديث٦٤٠٩) وفي غير موضع من «صحيحه» ومسلم (مع النووي١٧/ ٢٧).
(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٥) وله شاهد في «المسند» (٢/ ٥٢٠).

س: وضح معني قوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩]؟

ج: إيضاحه، والله تعالىٰ أعلم: لكونك تراني أقل منك مالاً وولداً تفتخر عليَّ وتتكبر وتتعظَّم.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٣٩]؟

ج: قال صديق حسن خان رحمه الله تعالى «فتح البيان»:

قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي﴾ [الكهف: ٤٠] أي: إن ترني أفقر منك فأنا أرجو أن يرزقني الله سبحانه جنة: ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠] في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما، وفي الأول يكون الكافر أشد غيظًا وحسرة، وهذا رجاء من المؤمن وقرع علىٰ مقالة الكافر الأولىٰ: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ أي: علىٰ جنتك ﴿حُسْبَانًا﴾ [الكهف: ٤٠] هو مصدر بمعني الحساب كالغفران، أي: مقداراً قدره الله عليها ووقع في حسابه سبحانه، وهو الحَكَم بتخريبها.

قال الزجاج: الحسبان من الحساب، أي: يرسل عليها عذاب الحساب، وهو حساب ما كسبت يداك وهو حسن.

* * *

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢]؟

ج: قال السعدي رحمه الله:

فاستجاب الله دعاءه: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢]أي: أصابه عذاب، وأحاط به. واستهلكه، فلم يبق منه شيء، والإحاطة بالثمر، يستلزم تلف جميع أشجاره، وثماره وزرعه، فندم كل الندامة، واشتد لذلك أسفه.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٥]؟

ج: أصبح ـ بعد دمارِ جنته ـ يضرب بإحدى يديه على الأخرى ويُصفِّق بكفٍ على كفٍ، وهذا كناية عن الندم والتحسر أي: فأصبح يتندم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأحاط الهلاك والجوائح بثمره، وهي صنوف ثمار جنته التي كان يقول لها: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف:٣٦] فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين يقلب كفَّيه ظهراً لبطن، وتلهفًا وأسفًا على ذهاب نفقته التي أنفق في جنته ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الكهف:٤٢] يقول: وهي خالية على نباتها وبيوتها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ [الكهف: ٤٢] أي: يصفق ﴿كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢] متلهفًا على ما فاته، ﴿وَ﴾ هو ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٢] ويقول: يا ليتني: يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته أنه لم يكن كان أشرك بربه أحداً، يعني بذلك: هذا الكافر إذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعمله، ودّ أنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به شيئًا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الكهف: ٤٣] ؟

ج: قال السعدي رحمه الله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣] أي: لما نزل العذاب بجنته، ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله

لصاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ [الكهف:٣٤] فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئًا، أشد ما كان إليهم حاجة، وما كان بنفسه منتصراً، وكيف ينتصر، أو يكون له انتصار، على قضاء الله وقدره، الذي إذا أمضاه وقدره، لواجتمع أهل السماء والأرض على إزالة شيء منه لم يقدروا؟!!.

ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه، أن صاحب هذه الجنة، التي أحيط بها، تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه، وأن الله أذهب عنه ما يطغيه، وعاقبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وفضل الله لا تحيط به الأوهام والعقول، ولا ينكره إلا ظالم جهول.

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض الآيات الواردة في معنى قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] ؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

وقوله تعالى في شأن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] بمزيد من الإيضاح؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: أن الولاية في ذاك الوقت والمقام، يوم القيامة إنما هي لله وحده، أن كل من كان له وليٌّ يتولاه يتنصل من وليه ويتبرأ منه ويتجه لله وحده كي ينقذه مما هو فيه.

قال الشنقيطي رحمه الله:

وقوله: ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] قرأه السبعة ما عدا حمزة والكسائي أيضًا ﴿الولاية﴾ بفتح الواو وقرأه حمزة والكسائي بكسر الواو. وقوله: ﴿الْحَقِّ﴾ قرأه السبعة ما عدا أبا عمرو والكسائي بالخفض نعتًا ﴿لِلَّهِ﴾ وقرأه أبو عمرو والكسائي بالرفع، نعتًا للولاية. فعلى قراءة من قرأ ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ بفتح الواو - فإن معناها: الموالاة والصلة، وعلى هذه القراءة ففي معني الآية وجهان:

الوجه الأول: أن معنى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] أي: في ذلك المقام، وتلك الحال تكون الولاية من كل أحد لله؛ لأن الكافر إذا رأى العذاب رجع إلى الله وعلى هذا المعنى فالآية كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤].

وقوله في فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١]، ونحو ذلك من الآيات.

الوجه الثاني: أن الولاية في مثل ذلك المقام وتلك الحال لله وحده، فيوالي فيه المسلمين ولاية رحمة، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] الآية، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ

﴿الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:١١]، وله على الكافرين ولاية الملك القهر، كما في قوله: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[يونس: ٣٠]. وعلى قراءة حمزة والكسائي فالولاية بالكسر بمعني الملك والسلطان، والآية على هذه القراءة كقوله: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] وقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ...﴾ [الفرقان:٢٦]الآية، وقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾[الحج:٥٦] وعلى قراءة «الحق» بالجر نعتًا لله، فالآية كقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ...﴾[الأنعام: ٦٢] الآية. وقوله: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ...﴾ [يونس: ٣٢]، الآية، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥]، إلى غير ذلك من الآيات. وعلى قراءة «الحق» بالرفع نعتًا للولاية، على أن الولاية بمعنى الملك، فهو كقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان:٢٦] الآية.

وقال الرازي في «تفسيره»:

﴿هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ﴾ [الكهف:٤٤] فيه وجوه:

الأول: أنه تعالى لما ذكر من قصة الرجلين ما ذكر علمنا أن النصرة والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن على الكافر، وعرفنا أن الأمر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقال: ﴿هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] أي: في مثل ذلك الوقت وفي مثل ذلك المقام تكون الولاية لله يوالي أولياءه فيغلبهم على أعدائه، ويفوض أمر الكفار إليهم فقوله: هنالك إشارة إلى الموضع والوقت الذي يريد الله إظهار كرامة أوليائه وإذلال أعادئه [فيهما].

والوجه الثاني: في التأويل أن يكون المعنى في مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله ويلتجئ إليه كل محتاج مضطر يعني: أن قوله: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ

﴿أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] كلمة ألجئ إليها ذلك الكافر فقالها جزعًا مما ساقه إليه شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقلها.

والوجه الثالث: المعنىٰ: هنالك الولاية لله ينصر بها أولياءه المؤمنين علىٰ الكفرة وينتقم لهم، ويشفي صدورهم من أعدائهم، يعني: أنه تعالىٰ نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدق قوله في قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤١] ويعضده قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] أي: لأوليائه.

والوجه الرابع: أن قوله ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلىٰ الدار الآخرة أي: في تلك الدار الآخرة الولاية لله كقوله: (لمن الملك اليوم لله) ثم قال تعالىٰ: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٤] أي: في الآخرة لمن آمن به والتجأ إليه﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] أي: هو خير عاقبة لمن رجاه وعمل لوجهه وقد ذكرنا أنه قرئ (عقبىٰ) بضم القاف وسكونها و(عقبىٰ) علىٰ فعلىٰ وكلها بمعني العاقبة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٣، ٤٤] ختلف القراء ها هنا؛ فمنهم من يقف علىٰ قوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣]، أي: في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله، فلا منقذ له منه، ويبتدئ بقوله: ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] ومنهم من يقف علىٰ: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ ويبتدئ بقوله: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤].

ثم اختلفوا في قراءة ﴿الْوَلَايَةُ﴾ [الكهف: ٤٤] فمنهم من فتح الواو، فيكون المعنىٰ: هنالك الموالاة لله، أي: هنالك كل أحد من مؤمن أو كافر يرجع إلىٰ الله، وإلىٰ موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب، كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤] وكقوله

إخباراً عن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١] ومنهم من كسر الواو من ﴿الْوِلايَةُ﴾ أي: هنالك الحكم لله الحق، ثم منهم من رفع ﴿الْحَقُّ﴾ على أنه نعت للولاية، كقوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً﴾ [الفرقان: ٢٦] ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله عز وجل، كقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٤] أي: جزاء ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤] أي: الأعمال التي تكون لله ـ عز وجل ـ ثوابها خير، وعاقبتها حميدة رشيدة، كلها خير.

* * *

س: بين الله سبحانه وتعالى أن أصحاب الأموال لا تنفعهم ـ عند الله ـ أموالهم إلا من آمن وعمل صالحًا دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ـ٥٦]، وقوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤ـ٤٥].

وقوله: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾ [سبأ: ٣٧] الآية.

وقوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢]. إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله ﷺ: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(١) أي: لا ينفع صاحب المال والجاه والشرف والمنصب، جاهُه ومالَه وشرفُه ومنصبه.

ومن الأدلة على ذلك أيضًا: حديث «يتبع الميت ثلاثة فيرجع إثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله ومالُه ويبقى عمله»(٢).

* * *

س: الكل يتبرأ من الكفار يوم القيامة، ويفر منهم إذا حلَّ بهم البلاء والعذاب والنكال دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: في شأن الكافر: ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠].

وقوله تعالى في شأن قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

وقوله تعالى في شأن صاحب الجنتين: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣].

وقول الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/ ١٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا وله طرق أخر عن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، أي: الأسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا.

* * *

س: اذكر بعض الفوائد المستنبطة من قصة أصحاب الجنتين؟

ج: من الفوائد ما يلي:

مشروعية التذكير بالظالمين، وما حلَّ بهم من البلاء والعقاب لعلَّ مُتذكرًا أن يتذكر ومعتبرًا أن يعتبر.

* التذكير بأن الذي يهب ويمنح هو الله سبحانه وتعالىٰ وأن الذي يبتلي ويعاقب هو الله.

وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف:٣٢].

وكذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢].

مشروعية تذكير الظالمين ووعظهم.

بيان عادة مفردة لأهل الكفر وهي اغترارهم بالمال والبنين والعشيرة والأقربين وذلك من قوله: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤].

التذكير بخلق الإنسان، وبنعم الله علىٰ الإنسان.

بيان فضيلة التوحيد، والتحذير من الشرك الخبيث.

انصراف أهل الكفر عن بعضهم عند حلول المصائب.

مشروعية قول الرجل - إذا رأىٰ شيئًا في نفسه أعجبه أو رآه في آخرين فأعجبه، ألا وهو: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

أي: أن هذا الذي أنا فيه من النعيم إنما هو بمشيئة الله، ولولا أن الله أراد ذلك ما حدث ولا كان.

فإذا نظر صاحب المال إلىٰ ماله قال: ما شاء الله، أي: لولا أن الله شاء ذلك ما حدث لي ذلك، لا قوة إلا بالله، أي: لا قدرة لي علىٰ جمع ذلك إلا بالله، وإذا نظر صاحب المنصب إلىٰ منصبه قال: ما شاء الله، أي: لولا مشيئة الله ما وصلت إلىٰ هذا المنصب، فلا قوة لي علىٰ بلاغه إلا بالله، وكذلك إذا نظرت الفتاة الحسناء إلىٰ المرآة فأعجبها حسنها قالت: ما شاء الله، أي: لولا أن الله شاء لي أن أكون علىٰ هذه الدرجة من الجمال ما كنت عليها، فكم من امرأةٍ خلقت دميمةً! وكم من فتاة جاءت حولاء!

وكم من سيدة أصيبت بعاهة لا تزول في دنياها.

وهكذا ينبغي أن يقول كل مُنْعَم عليه: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وكذا إذا رأيت شخصًا أنعم الله عليه قل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، أي: أن ما فيه هذا الشخص إنما حدث له بمشيئة الله، وليست له قوة علىٰ تحصيله.

التحذير من فتنة المال، وقد قال النبي ﷺ: **«إن لكل أمةٍ فتنة وفتنة أمتي المال»**[1].

وقال ﷺ: **«فوالله ما الفقر أخشى عليكم،ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»**[2].

بل وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

فكم من شخص ابتلي بهذه الفتنة فأخفق وفشل، وما نجح، فها هو قارون الطاغي الباغي يُعطىٰ من الكنوز ما إن مفاتحة لتنوء بالعصبة أولي القوة،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٦) من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه بسندٍ حسن.
(٢) البخاري (حديث ٣١٥٨) ومسلم (حديث ٢٩٦١).

ولكن ماذا قال وماذا قدم، لقد : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨] .

فماذا كان من العقوبة﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾[القصص: ٨١] .

قال السعدي رحمه الله في «بيان الفوائد المستنبطة» من هذه القصة:

ففي هذه القصة العظيمة ، اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعمًا دنيوية ، فألهته عن آخرته وأطغته ، وعصى الله فيها ، أن مآلها الانقطاع والاضمحلال ، وأنه وإن تمتع بها قليلاً ، فإنه يحرمها طويلاً ، وأن العبد ، ينبغي له ـ إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده ـ أن يضيف النعمة إلى موليها ومسديها ، وأن يقول : ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] . ليكون شاكرًا ، متسببًا لبقاء نعمته عليه ، لقوله : ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] .

وفيها ، الإرشاد إلي التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها ، بما عند الله من الخير لقوله : ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٣٩] .

وفيها أن المال والولد لا ينفعان ، إن لم يعينا على طاعة الله كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبأ: ٣٧] .

وفيه الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه . خصوصًا إن فضَّل نفسه بسببه ، على المؤمنين ، وفخر عليهم . وفيها ، أن ولاية الله وعدمها ، إنما تتضح نتيجتها ، إذا انجلى الغبار وحق الجزاء ، ووجد العاملون أجرهم فـ ﴿هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾

[الكهف: ٤٤] أي: عاقبة ومآلاً.

وهؤلاء أصحاب الجنة: ﴿أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٧ـ٢٠]، نعم لقد أصبحت كالصريم، لما أضمروا الشر وعزموا على حرمان الفقراء والمساكين.

وهذا صاحب الجنتين ها هنا يقول: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦].

فحقٌ ما قاله ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

❊ ❊ ❊

۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ
فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾
ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى
ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ
أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ
حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ
بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا

وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

ج: ﴿ هَشِيمًا ـ تَذْرُوهُ ـ مُّقْتَدِرًا ـ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ـ ثَوَابًا ـ خَيْرٌ أَمَلاً ـ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ـ بَارِزَةً ـ حَشَرْنَاهُمْ ـ فَلَمْ نُغَادِرْ ـ صَفًّا ـ مَّوْعِدًا ـ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ـ الْمُجْرِمِينَ ـ مُشْفِقِينَ ـ يَا وَيْلَتَنَا ـ لا يُغَادِرُ ـ إِلاَّ أَحْصَاهَا ـ حَاضِرًا ـ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ـ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ـ أَوْلِيَاءَ ـ الْمُضِلِّينَ ـ عَضُدًا ـ نَادُوا ـ شُرَكَائِيَ ـ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ـ مَّوْبِقًا ـ الْمُجْرِمُونَ ـ فَظَنُّوا ـ مُّوَاقِعُوهَا ـ مَصْرِفًا ـ صَرَّفْنَا ـ مِن كُلِّ مَثَلٍ ـ جَدَلاً ـ الْهُدَى ـ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ـ قُبُلاً ـ مُبَشِّرِينَ ـ مُنذِرِينَ ـ لِيُدْحِضُوا ـ هُزُوًا ـ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ـ أَكِنَّةً ـ أَن يَفْقَهُوهُ ـ وَقْرًا ـ مَوْئِلاً ـ وَتِلْكَ الْقُرَى ـ لِمَهْلِكِهِم ـ مَّوْعِدًا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿هَشِيمًا﴾	يابسًا متفتتًا.
﴿تَذْرُوهُ﴾	تُطَيِّرُه ـ تُفرِّقه.
﴿مُّقْتَدِرًا﴾	قادرًا.
﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾	الباقيات من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا (تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض).
﴿ثَوَابًا﴾	جزاءً.
﴿خَيْرٌ أَمَلاً﴾	خير ما يُؤمَّل ويُرجى.
﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾	نزيلها عن أماكنها ـ نذهب بها عن وجه الأرض ـ نجعلها

الكلمة	معناها
	هباءً منثوراً .
﴿بَارِزَةً﴾	ظاهرة ـ ليس هناك شيء يسترها من جبل ولا شجر ـ بارزٌ ما عليها من البشر .
﴿حَشَرْنَاهُمْ﴾	جمعناهم إلىٰ موقف الحساب .
﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾	فلم نترك .
﴿صَفًّا﴾	قيل : صفًّا واحداً ، وقيل : صفوفًا .
﴿مَّوْعِدًا﴾	موعداً تُبعثون فيه وتُجمعون إلىٰ ربكم .
﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾	حضرت كتب الأعمال التي سُجلت فيها أعمال بني آدم . تسلم كل شخص صحيفته بيده ، وضعت الكتب في الموازين ـ ظهر لكل شخص عمله .
﴿الْمُجْرِمِينَ﴾	الكافرين ـ المشركين .
﴿مُشْفِقِينَ﴾	خائفين .
﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾	يا حسرتنا ـ يا هلاكنا .
﴿لا يُغَادِرُ﴾	لا يترك .
﴿إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾	إلا ضبطها وحفظها وسجلها ، مكتوبًا ظاهراً أمام أعينهم .
﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	لا يبخس ربك أحداً من عمله شيئًا ، ولايزيد في عقابه ـ ولا يأخذ أحداً بجريرة أحد .
﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾	فخرج عن طاعة ربه .

الكلمة	معناها
﴿أَوْلِيَاءَ﴾	أنصارًا ـ أصدقاء .
﴿الْمُضِلِّينَ﴾	الذين يضلون العباد ، ومنهم الشياطين .
﴿عَضُدًا﴾	أعوانًا .
﴿نَادُوا﴾	ادعوا .
﴿شُرَكَائِيَ﴾	الذين جعلتموهم لي شركاء وعبدتموهم .
﴿فَدَعَوْهُمْ﴾	دعوهم فلم يجيبوهم .
﴿مَّوْبِقًا﴾	مَهْلكًا ومنه : ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ [الشورىٰ : ٣٤] وقيل : عداوةً .
	وقيل : وادٍ في جهنم عميق سحيق يسيل إليه صديد أهل النار .
﴿الْمُجْرِمُونَ﴾	المشركون ـ الكفار .
﴿ظَنُّوا﴾	أيقنوا .
﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾	داخلوها ـ واقعون فيها .
﴿مَصْرِفًا﴾	معدلاً ـ (مكانًا يعدلون إليه عنها) ـ مهربًا ـ طريقًا يصرفهم عنها .
﴿صَرَّفْنَا﴾	نوَّعنا ـ مثَّلنا (بكل مثل) ـ وعظنا (بكل موعظة) احتججنا (بكل حجة) .
﴿جَدَلاً﴾	خصومةً ـ مراءً ـ (لا يرجع للحق ولا ينزجر بالوعظ) .
﴿الْهُدَىٰ﴾	القرآن ـ الإسلام ـ محمد ﷺ .
﴿سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾	سنتنا في إهلاك الأولين ـ طريقتنا في استئصالهم .
﴿قُبُلاً﴾	ظاهرًا عيانًا ـ فجأة .

الكلمة	معناها
﴿مُبَشِّرِينَ﴾	مبشرين من أطاع بالجنة .
﴿وَمُنذِرِينَ﴾	مخوفين من عصى بالنار .
﴿لِيُدْحِضُوا﴾	ليبطلوا ـ ليضعفوا ـ ليُذهبوا ـ ليزيلوا .
﴿هُزُوًا﴾	سخريةً ـ استهزاءً ـ تكذيبًا .
﴿نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾	نسي ما ارتكب من الذنوب ولم يقدم لها توبةً ولا استغفاراً .
﴿أَكِنَّةً﴾	أغطية .
﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾	كي لا يفهموه ـ لئلا يفقهوه .
﴿وَقْرًا﴾	صمماً ـ ثقلاً .
﴿مَوْئِلاً﴾	ملجأً ـ محيصًا .
﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾	تلك الأمم السابقة .
﴿لِمَهْلِكِهِم﴾	لإهلاكهم .
﴿مَّوْعِدًا﴾	ميقاتًا ـ أجلاً .

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٥]؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واضرب للناس يا محمد، واضرب للمغترين بالدنيا وزخرفها وبهجتها وزينتها مثل الحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها كحبٍّ وضع في الأرض فآتاه الله بالغيث من السماء، فنما وترعرع، وشب، وحَسُنَ وازدهر، وأَنار ونَضَر، وأصبح يسرُّ الناظرين ويُدخل البهجة صُدورهم، فما لبث إلا وأصبح هشيمًا يابسًا متكسرًا، تُفرقه الرياح وتطير به، وأصبح يُداس ويمتهن.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿وَاضْرِبْ﴾ [الكهف: ٤٥] يا محمد للناس ﴿مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٥] في زوالها وفنائها وانقضائها ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ أي: ما فيها من الحب فشبَّ وحَسُن، وعلاه الزهو والنور والنضرة، ثم بعد هذا كله ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ [الكهف: ٤٥] يابسًا ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥] أي: تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] أي: هو قادر على هذه الحال وهذه الحال.

وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل، كما قال تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ الآية، [يونس: ٢٤]، وقال في سورة الزمر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

وقال في سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ

يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول ـ عزَّ ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك: اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، إذا نحن جئناك الدنيا منهم مثلاً، يقول: شبهًا.

﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يقول: كمطر أنزلناه من السماء ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ يقول: فاختلط بالماء نبات الأرض ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ يقول: فأصبح نبات الأرض يابسًا متفتتًا ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ يقول: تطيره الرياح وتفرقه.

وقال السعدي رحمه الله تعالى:

يقول تعالى لنبيه ﷺ، أصلاً، ولمن قام بوراثته بعده تبعًا: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار.

وإن مثل هذه الحياة الدنيا كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، أو تنبت من كل زوج بهيج، فبينا زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيمًا، تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض غبراء ترابًا، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب.

كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وحصَّل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في

الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته، وماله، وانفرد بصالح، أو سيئ أعماله.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً﴾ [الكهف: ٤٥] ؟

ج: المراد، والله تعالىٰ أعلم، وكان الله علىٰ كل شيء يريده - من الإنشاء، والإفناء، والإحياء، والإغناء، والإفقار، ونحو ذلك - قادراً.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] يقول: وكان الله علىٰ تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: ٣٦] وإهلاك أموال ذي الأموال الباخلين بها عن حقوقها، وإزالة دنيا الكافرين به عنهم، وغير ذلك مما يشاء قادر، لا يعجزه شيء أراده، ولا يعييه أمر أراده.

يقول: فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله، ولا يستكبر علىٰ غيره بها، ولا يغترنَّ أهل الدنيا بدنياهم، فإنما مَثَلُها مثل هذا النبات الذي حسُن استواؤه بالمطر، فلم يكن إلا ريْثَ أن انقطع عنه الماء، فتناهىٰ نهايته، عاد يابسًا تذروه الرياح، فاسدًا، تنبو عنه أعين الناظرين، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنىٰ، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦] ؟

ج: قال الطبري في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره: المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها عيينة والأقرع، ويتكبران بها على سلمان وخباب وصهيب، مما يُتزين به في الحياة الدنيا، وليسا من عداد الآخرة.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦] يقول: وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله، ودعائهم ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا، خير يا محمد عند ربك ثوابًا من المال والبنين التي يفتخر هؤلاء المشركون بها، التي تفنى، فلا تبقى لأهلها.

﴿وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦] يقول: وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب، خير مما يؤمل عيينة والأقرع من أموالهما وأولادهما، وهذه الآيات من لدن قوله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧] إلى هذا الموضع.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] ؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

* * *

س: لماذا كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا، وما فائدة الإخبار بذلك؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] ويجوز «زينتا» وهو خبر الابتداء في التثنية والإفراد، وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً ونفعًا، وفي البنين قوة ودفعًا، فصارا زينة الحياة الدنيا، لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين؛ لأن المعنىٰ: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة، فلا تُتبعوها نفوسكم.

وهو رَدٌّ علىٰ عُيينة بن حصن وأمثاله لما افتخروا بالغنىٰ والشرف، فأخبر تعالىٰ أن ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقىٰ، كالهشيم حين ذرته الريح.

إنما يبقىٰ ما كان من زاد القبر وعُدد الآخرة، وكان يقال: لا تعقد قلبك مع المال؛ لأنه فَيء ذاهب، ولا مع النساء؛ لأنها اليوم معك وغداً مع غيرك، ولا مع السلطان؛ لأنه اليوم لك وغداً لغيرك.

ويكفي في هذا قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

* * *

الباقيات الصالحات

س: ما المراد بالباقيات الصالحات؟

ج: لأهل العلم في بيانها عدة أقوال:

أحدها: أنها الصلوات الخمس.

الثاني: هي ذِكْرُ الله بالتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، ونحو ذلك، فالمراد: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وتبارك الله، ونحو ذلك .

الثالث: أنها العمل بطاعة الله ـ عز وجل ـ عمومًا.

الرابع: أنها الكَلِم الطيب عمومًا.

الخامس: أنها الاستغفار.

السادس: أنها الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والشهادتان قبل ذلك، وكذا الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ.

السابع: جميع أعمال البر.

قال الطبري رحمه الله:

وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هن جميع أعمال الخير، كالذي رُوي عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس؛ لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقىٰ لصاحبها في الآخرة، وعليها يجازىٰ ويُثاب، وإن الله ـ عزَّ ذكره ـ لم يخصص من قوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦] بعضًا دون بعض في كتاب، ولا بخبر عن رسول الله ﷺ.

* * *

س: لماذا وصفت الصالحات بالباقيات؟

ج: قال بعض أهل العلم: ذلك لأنها تبقى لأهلها يوم القيامة، وتبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض، فيأتيهم ثوابها دارًّا عليهم غدوة وعشيًّا، فسبحان الله! أذلك خيرٌ أم الاغتياب، والقيل والقال، واللغو، واللغط.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦] خيرٌ من ماذا؟

ج: خيرٌ جزاءً من المال الذي يفتخر به المشركون، وخيرٌ من البنين، وخيرٌ من المنصب والجاه.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معني قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾؟

ج: في معناها ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩، ١٠].

* وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

* وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

* * *

س: اذكر بمزيد من التفصيل معنى قوله: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: ٤٧] ؟

ج: قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] البروز: الظهور؛ أي: ترى الأرض ظاهرة منكشفة لذهاب الجبال والظراب والآكام، والشجر والعمارات التي كانت عليها، وهذا المعنى الذي ذكره هنا بينه أيضًا في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

وأقوال العلماء في معنى ذلك راجعة إلى شيء واحد، وهو أنها أرض مستوية، لا نبات فيها، ولا بناء، ولا ارتفاع، ولا انحدار، وقول من قال: إن معنى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] : أي: بارزًا ما كان في بطنها من الأموات والكنوز - بعيد جدًّا كما ترى.

وبروز ما في بطنها من الأموات والكنوز دلت عليه آيات أخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣، ٤]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩].

* * *

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ [الكهف: ٤٧] ؟

ج: هؤلاء هم الأولون والآخرون، الصغار والكبار، الرجال والنساء، الأصدقاء والأعداء، . . . وجميع الخلائق من إنس وجنٍّ، وطير ودواب، وكل المخلوقات.

فقد قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧] ؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠].

* وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

* وقوله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧].

* وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٣٨].

* وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

* وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ﴾ [الكهف: ٤٨] ؟

ج: هذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون المراد بقوله: ﴿صَفًّا﴾ أي: صفًا واحدًا، كما هو في ظاهر السياق، فيكون المعنى: إن الأولين والآخرين يُجمعون في صعيدٍ واحد، فيقومون صفًا واحدًا لله رب العالمين.

الثاني: أن يكون صفًا بمعنى صفوفًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] أي: صفوفًا صفوفًا، والله تعالى أعلم.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨] ؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لقد جئتمونا فرادى كهيئتكم يوم خلقناكم أول مرة، لا مال لكم، ولا ولد، ولا كساء ولا غطاء، كما في الحديث: «**إنكم محشورون إلى الله حفاة، عراة، غُرلاً**»، وهذا توبيخ لمنكري البعث كما قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - وقوله: ﴿**لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [الكهف: ٤٨] هذا تقريع للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم على رءوس الأشهاد، ولهذا قال مخاطبًا لهم: ﴿**بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا**﴾ [الكهف: ٤٨] أي: ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨] عام أريد به الخصوص، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أنه بعمومه يشمل الكفار والمسلمين، لكن يقينًا أريد به الكفار، وذلك لأن أهل الإيمان يقرُّون بالبعث، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿**بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا**﴾ وهذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله به الجميع، والمراد منه الخصوص، وذلك أنه قد يَرِدُ القيامةَ خلقٌ من الأنبياء، والرسل، والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث، ومعلوم أنه لا يُقال يومئذ لمن وردها من أهل التصديق بوعد الله في الدنيا، وأهل اليقين فيها بقيام الساعة: بل زعمتم أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات، والحشر إلى القيامة موعداً، وأن ذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذّبًا بالبعث وقيام الساعة.

س: ما المراد بالكتاب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الكهف: ٤٩] ؟

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ كتاب الأعمال الذي كُتِبت فيه أعمال بني آدم.

والكتاب هنا اسم جنس، والمراد عموم الكتب، أي: كتب أعمال بني آدم، أو وضع لكل شخصٍ كتابه.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩] ؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول عزَّ ذكره: ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله: ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩].

يقول عزَّ ذكره: فترى المجرمين المشركين بالله مشفقين، يقول: خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التي عملوها في الدنيا أن يؤاخذوا بها: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] يعني: أنهم يقولون إذا قرءوا كتابهم، ورأوا ما قد كُتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، وضجّوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التي قد أحصاها كتابهم، ولم يقدروا أن ينكروا صحتها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحد ظلماً، فإياكم والمحقَّرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه.

* * *

س: ما وجه خوف الكافرين مما في الكتاب؟

ج: وجه ذلك أنهم خائفون من جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها وجرائمهم القبيحة التي ارتكبوها.

* * *

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] ؟

ج: في معنى ذلك ما يلي: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

وقول المؤمن: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]، أي: تظهر الخفايا والأسرار التي كان ابن آدم يُسرّها.

* * *

س: اذكر بعض الوارد الذي يفيد أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ينفي الظلم عن نفسه؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»[١].

* * *

هل إبليس كان من الجن؟

س: هل كان إبليس من الجن أم من الملائكة؟

ج: ظاهر الآية الكريمة أن إبليس كان من الجن، قال تعالىٰ: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقد ذهب إلىٰ هذا بعض العلماء، ومن أدلتهم أيضًا ما يلي:

ذهب فريق من أهل العلم إلىٰ أن إبليس كان من الملائكة، وهم جمهور العلماء، ومن أدلتهم قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤].

ومن العلماء من قال: إنه من الجن، ومن أدلتهم ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ [الكهف: ٥٠]، وليس للملائكة ذرية.

قول النبي ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ فيما روىٰ عن الله تبارك وتعالىٰ.

وخلق آدم مما وصف لكم»(١) وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥] فبضميمة هذا مع قول إبليس عن نفسه: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ [ص: ٧٦] يظهر أن إبليس من الجن، وأجاب هذا الفريق من أهل العلم علىٰ دليل الجمهور: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤]، بأن قالوا: إن هذا الاستثناء (إلا إبليس) استثناء منقطع، كقوله تعالىٰ: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]، فاتباع الظن ليس بعلم في الحقيقة.

وكقول الشاعر:

ليس عليك عطش ولا جوع   إلا الرقاد والرقاد ممنوع

فالرقاد ليس من العطش والجوع.

والراجح لدينا في هذا الباب ـ والله تعالى أعلم ـ هو القول بأن إبليس كان من الجن.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠]؟

ج: هذا، والله تعالىٰ أعلم، استفهام استنكاري، يحمل معنىٰ التعجب والإنكار، فالمراد الإنكار علىٰ بني آدم والتعجب من أمرهم إذ اتخذوا إبليس وذريته أولياء من دون الله وهم ـ أعني إبليس وذريته ـ لكم يا بني آدم أعداء.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠]

(١) مسلم (٢٩٩٦).

يقول تعالىٰ ذكره: أفتوالون يا بني آدم مَنِ استكبر علىٰ أبيكم وحسده، وكفر نعمتي عليكم، وغرَّه حتىٰ أخرجه من الجنة، ونعيم عيشه فيها إلىٰ الأرض وضيق العيش فيها؟!

وتطيعونه وذريته من دون الله مع عداوته لكم قديمًا وحديثًا، وتتركون طاعة ربكم الذي أنعم عليكم وأكرمكم، بأن أسجد لوالدكم ملائكته، وأسكنه جناته، وآتاكم من فواضل نعمه ما لا يحصىٰ عدده؟!

وذرية إبليس: الشياطين الذين يغرون بني آدم.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في التحذير من تولي الشيطان وجنده واتباع خطواته؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

والآيات هنا كثيرة جدًا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [الكهف: ٥٠] ؟

ج: المراد، والله أعلم، بئس البدل الذي صنع الظالمون، إذ حرصوا على ولاية الشيطان وذريته، وتركوا ولاية الله ـ عز وجل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠]، يقول عزَّ ذكره: بئس البدل للكافرين بالله اتخاذ إبليس وذريته أولياء من دون الله، وهم لكم عدو من تركهم اتخاذ الله وليًّا باتباعهم أمره ونهيه، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم، المتفضل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلاً.

* * *

س: إلى ماذا يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الكهف: ٥٠] ؟

ج: أكثر العلماء على أن الضمير عائدٌ على إبليس وذريته، الذين اتخذهم الكفارُ، وقيل: الضمير للمشركين الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: ٥١] ؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم، لا يملكون شيئًا، ولا أشهدتهم (خلقي للسموات) والأرض، ولا كانوا إذ ذاك موجودين؛ يقول تعالى: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها

وَحْدِي، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير ولا نظير، كما قال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾ الآية [سبأ: ٢٢، ٢٣]، ولهذا قال: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١] قال مالك: أعوانًا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول عزَّ ذكره: ما أشهدت إبليس وذريته ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] يقول: ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم علىٰ خلقها ﴿وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] يقول: ولا أشهدت بعضهم أيضًا خلق بعض منهم، فأستعين به علىٰ خلقه، بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، يقول: فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دوني، وهم خلق من خلق أمثالهم، وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلىٰ أسلافهم، وخالقهم وخالق من يوالونه من دوني، منفردًا بذلك من غير معين ولا ظهير.

وقوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١] يقول: وما كنت متخذ من لا يهدي إلىٰ الحق، ولكنه يضل، فمن تبعه يجور به عن قصد السبيل أعوانًا وأنصارًا، وهو من قولهم: فلان يعضد فلانًا إذا كان يقويه ويعينه.

❊ ❊ ❊

س: ما العامل في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ [الكهف: ٥٢] ؟

ج: العامل فيه واذكروا، فيكون المعنىٰ: واذكروا يوم يقول الله لأهل الكفر: نادوا شركائي.

❊ ❊ ❊

س: لماذا قيل لهم: ﴿ نَادُوا شُرَكَائِيَ ﴾ [الكهف: ٥٢] ؟

ج: قيل لهم ذلك حتى يظهر لهم بطلان ما ادَّعوه، وضعف، ووهاء ما تعلقوا به، فليس ثمَّ ناصر غير الله.

وقوله: ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ [الكهف: ٥٢] أي: ادعوهم لينصروكم ويمنعوكم من عذاب الله عزَّ وجلَّ.

* * *

تبرؤ المعبودين من عابديهم

س: المعبودون يتبرءون ممن عبدهم يوم القيامة، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

وقول الشيطان: ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

و قوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ بين من [الكهف: ٥٢] ؟

ج: أكثر العلماء علىٰ أن الموبق بين الكافرين والشركاء الذين عبدوهم من دون الله .

ومن العلماء من قال: الموبق بين أهل الإيمان وأهل الضلال .

ولكن الأول عليه الأكثر، وهو الأصح والأصوب في هذا الموطن.

وإن كان هناك أيضًا فاصل بين أهل الإيمان وأهل الكفر، وكذا بين أهل الإيمان وأهل النفاق، كما قال تعالىٰ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

والظاهر من السياق ها هنا : أنه المهلك، ويجوز أن يكون واديًا في جهنم أو غيره، إلا أن الله تعالىٰ أخبر أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين، ولا وصول لهم إلىٰ آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا، وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لواحد من الفريقين إلىٰ الآخر، بل بينهما مهلك، وهول عظيم، وأمر كبير.

وأمَّا إن جعل الضمير في قوله : ﴿بَيْنَهُم﴾ [الكهف: ٥٢] عائدًا علىٰ المؤمنين

والكافرين، كما قال عبد الله بن عمرو: إنه يفرق بين أهل الهدىٰ والضلالة به، فهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾[الروم: ١٤] وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٢٨-٣٠].

قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «أضواء البيان»:

والتحقيق: أن الموبق المهلك، من قولهم: وبق يبق، كوعد يعد: إذا هلك، وفيه لغة أخرىٰ وهي وبق يوبق كوجل يوجل، ولغة ثالثة أيضًا: وهي وبق يبق كورث يرث، ومعنىٰ كل ذلك: الهلاك، والمصدر من وبق ـ بالفتح ـ الوبوق علىٰ القياس، والوبق، ومن وبق ـ بالكسر ـ الوبق بفتحتين علىٰ القياس، وأوبقته ذنوبه: أهلكته، ومن هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ [الشورىٰ: ٣٤]، أي: يهلكهن، ومنه الحديث: «**فموبق نفسه أو بائعها فمعتقها**»، وحديث: «**السبع الموبقات**» أي: المهلكات، ومن هذا المعنىٰ قول زهير:

ومن يشتري حسن الثناء بماله ... يصن عرضه عن كل شنعاء موبق

* * *

س: لماذا صرف الله في هذا القرآن من كل مثل؟

ج: ذلك لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣]، فصرفت الأمثال،

ونوعت الحجج، وتكررت المواعظ لعلهم يتذكرون، أو ينيبون، أو يتقون، ويتعظون، ويعتبرون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

* * *

س: اذكر بعض الوارد في إطلاق الظن وإرادة اليقين به؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠].

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤]؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول عزَّ ذكره: ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينيبوا، ويعتبروا فيتعظوا، وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤] يقول: وكان الإنسان أكثر

شيء مراءً وخصومة، لا ينيب لحقٍّ، ولا ينزجر لموعظة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يقول تعالى: ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور، وفصلناها كي لا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى، ومع هذا البيان، وهذا الفرقان، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة، والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله، وبصره لطريق النجاة.

قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «أضواء البيان»:

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الكهف: ٥٤] أي: رددنا وأكثرنا تصريف الأمثال بعبارات مختلفة، وأساليب متنوعة في هذا القرآن للناس؛ ليهتدوا إلى الحق، ويتعظوا، فعارضوا بالجدل والخصومة!!

والمثل: هو القول الغريب السائر في الآفاق، وضرب الأمثال كثير في القرآن جداً؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦] ومن أمثلة ضرب المثل فيه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ الآية [الحج: ٧٣].

وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الآية [الأعراف: ١٧٦، ١٧٧].

وكقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ

أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الآية [الجمعة: ٥]، وقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية[الكهف: ٤٥].

قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

وقوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [الروم: ٢٨].

والآيات بمثل هذا كثيرة جدًّا، وفي هذه الأمثال وأشباهها في القرآن عبر ومواعظ وزواجر عظيمة جدًّا، لا لبس في الحق معها، إلا أنها لا يعقل معانيها إلا أهل العلم؛ كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ومن حكم ضرب المثل: أن يتذكر الناس، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وقد بين تعالى في مواضع أخر: أن الأمثال مع إيضاحها للحق يهدي بها الله قومًا، ويضل بها قومًا آخرين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن

رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦].

وأشار إلى هذا المعنى في سورة الرعد؛ لأنه لما ضرب المثل بقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧]، أتبع ذلك بقوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد:١٨].

ولا شك أن الذين استجابوا لربهم هم العقلاء الذين عقلوا معنى الأمثال، وانتفعوا بما تضمنت من بيان الحق، وأن الذين لم يستجيبوا له هم الذين لم يعقلوها، ولم يعرفوا ما أوضحته من الحقائق.

فالفريق الأول ـ هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة:٢٦].

والفريق الثاني ـ هم الذين قال فيهم: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة:٢٦]، وقال فيهم: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦].

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الكهف: ٥٤].

قال بعض العلماء: مفعول «صرفنا» محذوف، تقديره: البينات والعبر، وعلى هذا فـ «من» لابتداء الغاية؛ أي: ولقد صرفنا الآيات والعبر من أنواع ضرب المثل للناس في هذا القرآن ليذكروا، فقابلوا ذلك بالجدال والخصام؛ ولذا قال: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤] وهذا هو الذي استظهره أبو حيان في «البحر»، ثم قال: وقال ابن عطية: يجوز أن تكون «من» زائدة للتوكيد، فالتقدير: ولقد صرفنا كل مثل؛ فيكون مفعول

«صرفنا»: «كل مثل» وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين والأخفش، لا على مذهب جمهور البصريين، انتهى الغرض من كلام صاحب «البحر المحيط».

وقال الزمخشري: «من كل مثل» من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه. اهـ.

وضابط ضرب المثل الذي يرجع إليه كل معانيه التي يفسر بها: هو إيضاح معنى النظير بذكر نظيره؛ لأن النظير يعرف بنظيره، وهذا المعنى الذي ذكره في هذه الآية الكريمة جاء مذكوراً في آيات أخر؛ كقوله في «الإسراء»: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ [الإسراء: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾ [الإسراء: ٤١].

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ [طه: ١١٣].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾ [الروم: ٥٨].

والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

وقوله في هذه الآية: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤] أي: أكثر الأشياء التي من شأنها الخصومة إن فصلتها واحداً بعد واحد. «جدلاً» أي: خصومة ومماراة بالباطل لقصد إدحاض الحق.

ومن الآيات الدالة على خصومة الإنسان بالباطل لإدحاض الحق ـ قوله

هنا: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الآية [الشورى: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤].

إلى غير ذلك من الآيات.

وما فسرنا به قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤] من أن معناه كثرة خصومة الكفار، ومماراتهم بالباطل ليدحضوا به الحق، هو السياق الذي نزلت فيه الآية الكريمة؛ لأن قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤]، أي: ليذكروا ويتعظوا وينيبوا إلى ربهم، بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الإسراء: ٤١].

هذا، وقد تلا رسول الله ﷺ هذه الآية في موطنٍ، ألا وهو عند ذهابه لإيقاظ عليٍّ وفاطمة - رضي الله عنهما - للصلاة، ففي البخاري[1] من حديث عليٍّ - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ طرَقَهُ وفاطمةَ بنتَ النبي - عليه السلامُ - ليلةً، فقال: «ألاَ تُصلِّيان؟» فقلتُ: يا رسولَ الله، أنفُسنا بيد الله، فإذا شاءَ أن يَبعثَنا بَعثَنا، فانصرفَ حينَ قلتُ ذلك، ولم يَرجعْ إليَّ شيئًا، ثمَّ سمعتهُ وهوَ مُولٍّ يضرِبُ فخذَهُ، وهوَ يقول: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤].

* * *

(١) البخاري (١١٢٧).

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾ [الكهف: ٥٥] ؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن المعنى: أن أهل الكفر لا يقنعوا أبدًا بالآيات والدلالات على وحدانية الله عزَّ وجل، وعلى صدق ما جاء به المرسلون ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ مهما جَاءتهم من الدلالات والآيات، ويستمر بهم رفضهم الإيمان وإصرارهم على كفرهم حتى يأتيهم العذاب وينزل بهم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

يخبر تعالى عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه، وتكذيبهم بالحق البين الظاهر، مع ما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات، وأنه ما منعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانًا، كما قال أولئك لنبيهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧].

وآخرون قالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

وقالت قريش: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر: ٦، ٧].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك.

ثم قال: ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ [الكهف: ٥٥]، من غشيانهم بالعذاب، وأخذهم عن آخرهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾ [الكهف: ٥٥] أي:

يرونه عيانًا؛ مواجهة ومقابلة، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦] أي: قبل العذاب مبشرين مَنْ صدَّقهم، وآمن بهم، ومنذرين مَنْ كذَّبهم وخالفهم.

* * *

س: ما المراد بسنة الأولين؟

ج: المراد، والله أعلم، سنة الله في الذين ضلوا من قبلهم، أي: سنة الله في إنزال العذاب على المكذبين الأولين.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦] فائدة دعوية، وضح هذه الفائدة؟

ج: إيضاحها أن الداعي إلى الله - عزَّ وجلَّ - يلزمه أن يبشر وينذر، وأن يُرغِّب ويُرهِّب، أما سلوكه مسلك الترهيب فقط في كل الأوقات والأحوال ففي ذلك بلا شك قصور.

صحيحٌ أن هناك من الأوقات أوقات تحتاج إلى ترهيب وتخويف، فمثل هذه تقدر بقدرها، وإلا فالذي ينبغي أن يُسلك هو ما بيناه من الترغيب والترهيب.

قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦].

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧] ؟

ج: المعنىٰ، والله تعالىٰ أعلم: لا أحد أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها.

* * *

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧]

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤]

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤] ونحوها من الآيات.

ج: لأهل العلم على ذلك جوابان:

أحدهما: أن المذكورين كلهم في الظلم سواء، وهم في الدرجة العليا من الظلم.

الثاني: أن ينزل هذا منزلة الاختصاص، فيقال: لا يوجد أحدٌ من المعرضين أظلم ممن ذُكِّر بآيات الله فأعرض عنها.

ولا يوجد من المفترين أظلم ممن افترىٰ على الله كذبًا، ولا أحدٌ من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

* * *

بعض الأدلة على سعة رحمة الله عزّ وجل

س: اذكر بعض الأدلة على سعة رحمة الله عزّ وجل؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى عن نفسه: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣].

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

وقول موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١] [١] والآيات في هذا الصدد كثيرة جدًّا.

وفي الحديث[٢] عن رسول الله ﷺ: قال: «**لمَّا خلقَ اللَّه الخلقَ، كتبَ في كتابِه، فهُو عندهُ فوقَ العرشِ: إنَّ رحمتِي تغلبُ غضبِي**».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه**»[٣].

وعن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق ـ يوم خلق**

---

(١) وعند مسلم في حديث الشفاعة الطويل من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «فيقول الله عزّ وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين..» مسلم (ص١٧٠) حديث (١٨٣).

(٢) انظر البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

السموات والأرض ـ مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمةً، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»(١) .

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد»(٢) .

* * *

س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩] ؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن كل ظالم كافر غابر كانت له نهاية مؤلمة، وإن لم تظهر عيانًا في الدنيا فستظهر لزامًا في الآخرة.

فكذلك أنتم يا أهل الشرك من قريش إن مِتُّم على شرككم فسيحل بكم نحوٌ مما حلَّ بالأمم من قبلكم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله:

وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩] أي: الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩] أي: جعلناه إلى مدة معلومة، ووقت معين، لا يزيد ولا ينقص، أي: وكذلك أنتم أيها المشركون، احذروا أن يصيبكم ما أصابهم، فقد كذبتم أشرف رسول، وأعظم نبي، ولستم بأعزَّ علينا منهم، فخافوا عذابي ونذر.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٥).

۞ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ
عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ
مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا
لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ

لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾
۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ
قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي
وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ
عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ ۞

س: اذكر معنى كلٍّ مما يلي:

﴿ لفتَاهُ - لا أَبْرَحُ - أَبْلُغَ - مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ - أَمْضِيَ حُقُبًا - حُوتَهُمَا - فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ - سَرَبًا - جَاوَزَا - آتِنَا - غَدَاءَنَا - لَقِينَا - نَصَبًا - أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ - عَجَبًا - نَبْغِ - فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا - آتَيْنَاهُ - رَحْمَةً - لَدُنَّا - أَتَّبِعُكَ - رُشْدًا - لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا - تُحِطْ بِهِ خُبْرًا - سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا - أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا - لَقَدْ جِئْتَ - شَيْئًا إِمْرًا - لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا - زَكِيَّةً - بِغَيْرِ نَفْسٍ - شَيْئًا نُّكْرًا - بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا - اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا - فَأَبَوْا - يُضَيِّفُوهُمَا - يَنقَضَّ - فَأَقَامَهُ - هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ - سَأُنَبِّئُكَ - بِتَأْوِيلِ - يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ - أَعِيبَهَا غَصْبًا - يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا - زَكَاةً - أَقْرَبَ رُحْمًا - يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا - عَنْ أَمْرِي - تَأْوِيلُ - تستطع؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿لِفَتَاهُ﴾	لخادمه.
﴿لا أَبْرَحُ﴾	لا أزال أسير وأمشي - سأستمر في المشي - لا أنتهي.
﴿أَبْلُغَ﴾	أصل.
﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾	مكان التقاء البحرين (قيل: هما بحر فارس والروم، وقيل غير ذلك).
﴿حُقُبًا﴾	الحقب مدةٌ زمنية طويلة (قيل: إنها ثمانون سنة وقيل: غير ذلك)، ومنه قوله تعالى: ﴿ لابثين فيها أحقابا .. ﴾.

الكلمة	معناها
﴿حُوتَهُمَا﴾	الحوت هنا السمكة الكبيرة .
﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾	شق طريقه .
﴿سَرَبًا﴾	يعني : متسربًا إلى البحر ـ مسلكًا ومذهبًا يسرب إليه ويمضي فيه ، ومنه قولهم : انسرب فلان . السرب : المسلك والمذهب .
﴿جَاوَزَا﴾	تجاوزا المكان .
﴿آتِنَا﴾	أحضر إلينا ـ قرِّب إلينا .
﴿غَدَاءَنَا﴾	طعام الغداء .
﴿نَصَبًا﴾	تعبًا ومشقة ـ عناءً .
﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾	أتذكر الوقت الذي كنا قد استرحنا فيه عند الصخرة .
﴿عَجَبًا﴾	كان أمره عجيبًا ـ بطريقة أحدثت عجبًا .
﴿نَبْغِ﴾	نطلب ونلتمس (لأن الله أخبره أنه سيجد الخضر في المكان الذي يُفقد عنده الحوت) .
﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾	رجعا يتتبعان آثار الأقدام ـ يقصان الآثار .
﴿آتَيْنَاهُ﴾	رزقناه وأعطيناه .
﴿رَحْمَةً﴾	قيل : هي النبوة ، وقيل : النعمة ، وقيل : إنها رقةٌ على من يستحقها .

الكلمة	معناها
﴿لَّدُنَّا﴾	عندنا .
﴿أَتَّبِعُكَ﴾	أصحبك وأُرافقك .
﴿رُشْدًا﴾	علمًا ذا رشد ـ أسترشد به في دنياي وأُخراي .
﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾	لن تستطيع الصبر على ما تراه مني .
﴿ مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾	ما لم تطلع على بواطنه ـ ما لم تعلم أسراره وحقائقه .
﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾	سأصبر إن شاء الله ، وستراني صابراً .
﴿ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾	حتى أكلمك أنا فيه وأُبينه لك ـ حتى أُخبرك بأخباره .
﴿لَقَدْ جِئْتَ﴾	لقد فعلت .
﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾	شيئًا عظيمًا (من المنكر) .
﴿لَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾	لا تُعسِّر عليَّ أمر صحبتك ومتابعتك وتجعلها شاقةً عليَّ .
﴿زَكِيَّةً﴾	طاهرة لا ذنب لها ، لم تفعل ذنبًا تستوجب قتلها .
﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾	بغير قصاص بنفس قُتلت .
﴿ نُّكْرًا﴾	عظيمًا ـ منكراً .
﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾	قد أعذرت إليَّ ـ فلك عذر في مفارقتي يعني : قد أخبرتني أنني لن أستطيع معك صبراً ، وتأكد لديَّ ولديك هذا .

الكلمة	معناها
﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾	طلبا الطعام من أهلها .
﴿فَأَبَوْا﴾	فرفضوا ـ فامتنعوا .
﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾	يقدموا لهما حق الضيف ـ يستضيفوهما إلى بيوتهما .
﴿يَنقَضَّ﴾	يوشك أن يسقط وينهدم .
﴿فَأَقَامَهُ﴾	فردّه إلى حال الاستقامة ـ فأصلحه .
﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾	هذا الوقت فيه فراق بيني وبينك .
﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾	سأُخبرك .
﴿بِتَأْوِيلِ﴾	بتفسير ـ بيان مآل ما صنعته وعاقبته .
﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾	ينقلون الركاب من شاطئ إلى شاطئ وكذا البضائع وأيضًا يصطادون ، وكل ما من شأنه أن يكون في البحر من الأعمال .
﴿أَعِيبَهَا﴾	أجعل فيها عيبًا ـ أخرقها .
﴿غَصْبًا﴾	اغتصابًا بغير حق وبغير ثمن
﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾	يُنزل بهما طغيانه وكفره ـ يحملهما حبُّه على فعل ما يريده من الكفر والظلم والدخول في دينه ـ يُدافعان عنه بالباطل .
﴿زَكَاةً﴾	طُهراً من الكفر والمعاصي ـ صلاحًا ودينًا .
﴿أَقْرَبَ رُحْمًا﴾	أكثر رحمةً وبرًّا بوالديه ـ أقرب خيرًا .

الكلمة	معناها
﴿يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾	يُدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما .
﴿عَنْ أَمْرِي﴾	عن اجتهادي واختياري (بل أنا عبد مأمور) .
﴿ ذلك تَأْوِيلُ﴾	ذلك مآل وعاقبة (تلك الأمور التي ظهرت مني) .
﴿تَسْطِع﴾	تستطيع ، قال بعض العلماء : (تستطيع أشد من تسطع فكانت الأمور أولاً غامضة أشد الغموض ثم أُظهرت بعد) .

س: ما العامل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٠]؟

ج: العامل في ذلك: واذكر، فالمعنى: واذكر قول موسى لفتاه.

* * *

س: مَنْ موسى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٠]؟

ج: هو نبي الله الكليم الكريم موسى بن عمران عليه السلام، الذي اصطفاه الله برسالاته وبكلامه، ذلكم النبي الذي أرسله الله إلى بني إسرائيل، وإلى فرعون وملئه، وأنجى الله بني إسرائيل على يديه، وأغرق الله فرعون وجنده.

وقد ورد قولٌ ضعيفٌ تالف يفيد أنه موسى آخر.

وقد كذَّبهُ ابن عباس رضي الله عنهما ففي «الصحيحين»[1] من طريق سعيد بن جبير قال: إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال: سلوني فقلت أي: أبا عباس: جعلني الله فداك ـ بالكوفة رجلٌ قاص يُقال له: نوف يزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل، قال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثني أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«موسى بني إسرائيل ذكّر الناس يومًا حتى إذا فاضت العيون، ورقّت القلوب، ولّى فأدركه رجلٌ فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟ قال: لا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله، قيل: بلى: قال: أي رب: وأين؟ قال: بمجمع البحرين ...»** فذكر الحديث.

وفي الصحيحين[2] أيضًا عن ابن عباس أنه تمارى هو والحرُّ بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، عليه السلام. فقال ابن عباس: هو الخضر. فمرَّ بهما أبيُّ بن كعب الأنصاري، فدعاه ابن عباس فقال: يا أبا الطفيل! هلم

---

(١) البخاري (حديث ٤٧٢٦)، ومسلم (حديث ٢٣٨٠).

(٢) البخاري (حديث ٣٤٠٠) ومسلم (١٨٥٣).

إلينا . فإني قد تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسىٰ الذي سأل السبيل إلىٰ لُقيِّه . فهل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه ؟ فقال أُبي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «بينما موسى في ملإٍ من بني إسرائيل. إذ جاءه رجل فقال له : هل تعلمُ أحدًا أعلم منكَ؟ قالَ موسى: لاَ . فأوحى الله إلى موسى: بل عبدُنا الخضرُ. قالَ: فسأل موسى السبيل إلى لُقيِّه . فجعل الله لهُ الحُوت آيةً وقيلَ لهُ: إذا افتقدت الحُوت فارجع فإنكَ ستلقاهُ. فسارَ مُوسَى مَا شَاء اللهُ أن يسيرَ ثُم قال لفتَاهُ : آتنَا غداءنَا. فقال فتَى موسَى،حين سألَهُ الغداء: أرأيْتَ إذْ أوينَا إلى الصخرَة، فَإنِّي نسيتُ الحوتَ ومَا أنسَانيهُ إلا الشيطَان أنْ أذْكُرَهُ. فقالَ موسى لفتاهُ : ذلكَ ما كُنَّا نبغي فارتدَّا علَى آثَارهمَا قصَصًا، فوجَدَا خضرًا فكانَ مَن شأنِهمَا ما قصَّ اللهُ في كتَابه».

* * *

س: ما اسم فتى موسى عليه السلام؟

ج: اسمه يوشع بن نون عليه السلام، وقد منَّ الله عليه بالنبوة ، وقد تقدم ذكره في حديث البخاري المطول : ففيه : . . فانطلق وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون، فحمل موسىٰ عليه السلام حُوتًا في مكتل. . . . فذكر الحديث[1] .

ومما ورد في شأن يوشع عليه السلام أن الشمس قد حبست له فقد أخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح إلىٰ النبي ﷺ أنه قال[2] : «**إن الشمس لم تُحبس على بشرٍ إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس**».

قلت (مصطفى): وقصة ذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم [1] من

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٠)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٥).

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غـزا نبيٌّ من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجلٌ قد ملكَ بضعَ[٢] امرأة، وهو يريدُ أن يبني بهَا، ولمَّا يبن، ولاَ آخرُ قدْ بَنَى بُنْيانًا ، ولمَّا يرفعْ سقفَـها، ولاَ آخرٌ قَد اشترَى غنمًا أو خلفَـاتَ[٣] وهُو مُنتَـظر ولادَهَا[٤] قال: فغـزَا فأدْنَى للقَرية[٥] ، حينَ صـلاة العصـر. أوَ قريبًا من ذلكَ. فقـالَ للشمس: أنْت مَـأمُورَة وأنَا مأمُـورٌ. اللهُمَّ ! احبِـسْهَا عليَّ شيـئًا [٦] . فحبستْ عليـه حتَّى فتحَ اللهُ عليه . قالَ : فَجَـمَعُوا ما غَنمُوا فأقبَلَت النَّارُ[٧] لتأكُلَهُ فَأَبَتْ أن تَطْعَمَـهُ فقالَ : فيكُمْ غُلُولٌ[٨] فَلْيُبايعني مَنْ كلِّ قـبيلَةَ رجلٌ، فـبَايَـعُوهُ فلصَـقتْ يَدُ رَجُل بـيَده .فـقـال: فـيكُمُ الغُلُولُ فَلتبـايعني قبيلَتك فبـايعته. قال: فـلصقت بيد رجلين أو ثلاثة . فقـال: فيكم الغلول أنْتُمُ غلَلْتُمْ . قـالَ :فَأخْـرَجُوا لَهُ مثْـلَ رأس بقرة[٩] من ذهب . قـــالَ : فوضعوهُ في المال وهُو الصعيد[١٠] فأقبلَت النارُ فَأكلتهُ. فلم تحلَّ الغنائمُ لأحد من قبلنَا ذلكَ بأنَّ اللهَ تباركَ وتعَالى رأى ضَعفنَا وَعجزنَا ، فطيَّبهَا[١١] لَنَا» .

* * *

---

(١) البخاري (حديث ٣١٢٤) ومسلم (١٧٤٧).

(٢) ملك بضع امرأة أي عقد عليها وملك فرجها بذلك العقد.

(٣) الخلفات هي الإبل الحوامل.

(٤) ولادها: أي نتاجها.

(٥) أدنى للقرية: أي اقترب من فتحها أو اقترب منها.

(٦) المراد، والله أعلم أخَّر غروبها.

(٧) أي نزلت نار من جانب السماء لتأكل الغنيمة، فقد كان هذا في الأمم من قبلنا، قال تعالى: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ .

(٨) فيكم غُلول: أي فيكم من غلَّ، أي من سرق من الغنيمة قبل قسمتها.

(٩) أي مثل رأس بقرة من ذهب كان بعضهم قد سرقها من الغنيمة ولم يعطها الإمام لتقسم كما تقسم سائر الغنيمة.

(١٠) الصعيد: وجه الأرض.

(١١) أي أحلَّها لنا.

س: في قصة موسى مع الخضر ما يدل على فضل العلم وضح ذلك؟

ج: إيضاحه من قول نبي الله الكريم موسىٰ عليه السلام لفتاه: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] أي: لا أزال أسير حتىٰ أبلغ مجمع البحرين أو أستمر في المسير سنوات طويلة، وكان هذا - كما بينا - لحرصه الزائد علىٰ لقاء الخضر عليه السلام للتعلم منه والاستفادة من علمه.

قال القرطبي رحمه الله:

في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة علىٰ ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء، وإن بعدت أقطارهم، وذلك كان في ذأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلىٰ الحظ الراجح، وحصلوا علىٰ السعي الناجح، فرسخت لهم في العلوم أقدام، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام.

قال البخاري: ورحل جابر بن عبدالله مسيرة شهر إلىٰ عبد الله بن أنيس في حديث.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على جواز اتخاذ الخدم؟

ج: من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٠] قال كثير من المفسرين: أي (لخادمه).

وأيضًا قد قال بعض العلماء في تفسير قوله تعالىٰ في شأن بني إسرائيل ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠].

أن من خُدم يُعد ملكًا وقد كان أنس[١] وابن مسعود[٢] يخدمان رسول الله

---

(١) أما كون أنس رضي الله عنه كان خادمًا لرسول الله ﷺ فانظر البخاري (١٩٨٢).

(٢) وابن مسعود رضي الله عنه كان صاحب نعلي رسول الله ﷺ (انظر البخاري حديث ٣٧٦١).

ﷺ وأزواج النبي ﷺ كان لهن خدم وكذا عددٌ من الصحابة والصحابيات.

وها هي بعض الأدلة على ذلك: أخرج البخاري ومسلم (١) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزَوجَني الزُّبير ومَا لَهُ في الأرض من مالٍ ولا مملوك ولا شيء غير ناضحٍ (٢) وغير فرسه فكنت أعلفُ فرَسَه وأستقي الماء وأخرزُ غربَهُ (٣) وأعجن، ولم أكن أُحسن أخبزُ وكان يخبزُ جاراتٌ لي من الأنصار، وكن نسوةَ صِدقٍ، وكنتُ أنقل النَّوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثُلثي فرسخ فجئت يومًا والنوى على رأسي فلقيتُ رسولَ الله ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار، فدعاني ثم قال: «إخْ إخ» ليحملَني خلفه، فاستحييتُ أن أسير مع الرجال وذكرتُ الزُّبير وغيْرتَه وكان أغْيَرَ الناسِ، فعرف رسولُ الله ﷺ أني قد استحييتُ فمضى فجئتُ الزُّبير فقلتُ: لقيني رسولُ الله ﷺ وعلى رَأسي النوى ومعه نفَرٌ من أصحابه فأناخ لأركَب فاستحييتُ منه وَعَرفْتُ غيرتَك، فقال: والله لحَمْلُكِ النوى كان أشَدَّ عليَّ من ركوبكِ معه، قالت: حتى أرْسَل إليَّ أبو بكرٍ بعد ذلك بخادم تكفيني سِياسة الفَرَسِ فكأنما أعتقني.

وأخرج البخاري(٤) من حديث أنس رضي الله عنه قال:

كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أُمهات المؤمنين بصحفةٍ فيها طعام فضربت التي النبيُّ ﷺ في بيتها يَدَ الخادمِ فسقطت الصحفةُ فانْفَلَقَتْ، فجمعَ النبي ﷺ فلَقِ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفةِ ويقول: «غَارَتْ أُمُكُم» ثم حَبَسَ الخادم حتى أتى بصحفةٍ

---

(١) البخاري (حديث ٥٢٢٤) ومسلم (حديث ٢١٨٢).

(٢) الناضح: الجمل الذي يستسقى عليه.

(٣) غربه: تعني دلوه الكبير.

(٤) البخاري (حديث ٥٢٢٥).

من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفةَ الصحيحةَ إلىٰ التي كُسِرَت صحفتُها وأمسك المكسورة في بيت التي كُسِرَت فيه .

* ولكن إذا لم يكن بالوسع اتخاذ الخادم فهناك ما هو خيرٌ منه أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث علي رضي الله عنه .

أن فاطمة عليها السلام أتت النبيَّ ﷺ تَشكو إليه ما تلقىٰ في يدها من الرحىٰ ، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تُصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخْبَرَتْه عائشة ، قال : فجاءنا وقد أخَذْنَا مضاجعنا فذهبنا نقوم ، فقال : **«على مَكَانكُما»** فجاء فقعد بيني وبينها حتىٰ وجدتُ بَرْدَ قدميه علىٰ بطني ، فقال : **«ألا أدُلُّكما على خير مما سألتما ؟ إذا أخذتُما مضاجعَكُما أو أويتما إلى فراشكما ـ فسبحا ثلاثًا وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين وكبرا أربعًا وثلاثين فهو خير لكما من خادم»** .

* * *

س: لماذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا؟

ج: قال ذلك عليه الصلاة والسلام ، حرصًا منه علىٰ التزود من العلم ، ولقاء أهل العلم والفضل والصلاح .

وقد تقدم بيان سبب ذلك فيما سبق من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ(٢) وفيه **«فأوحى الله إليه (أي إلىٰ موسىٰ عليه**

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٦١) ومسلم (ص٢٠٩١) .

* تنبيه : ويلزم أن تؤخذ الاحتياطات الشرعية بشأن الخادم رجلاً كان أو امرأة ، فإذا كان الخادم امرأة ، فلا تُستقدم من دولة بدون محرم كما يُفعل في كثير من البلدان ، ولا تُسافر بدون محرم داخل الدولة الواحدة أيضًا ، ولا يُمكَّن رجل من الخلوة بها ، إلىٰ غير ذلك من المحظورات التي يجب أن تُجتنب .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٥) ومسلم (٢٣٨٠) .

السلام) إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. فقال موسى: يا رب وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حُوتًا تجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمَّ» الحديث.

قال الطبري رحمه الله:

وكان سبب سفر موسى ﷺ وفتاه، ولقائه هذا العالم الذي ذكره الله في هذا الموضع فيما ذكر، أن موسى سئل، هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فقال: لا، أو حدثته نفسه بذلك، فكره ذلك له، فأراد الله تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه، وأنه لم يكن له أن يحتم على ما لا علم له به، ولكن كان ينبغي له أن يكل ذلك إلى عالمه.

وقال آخرون: بل كان سبب ذلك أنه سأل الله جل ثناؤه أن يدله على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه.

* * *

س: هل الأولى للمسافر أن يُخبر من معه بوجهته التي يُريد السفر إليها أم أن التورية والتعريض أفضل؟

ج: المقامات في ذلك تختلف، فإذا كان في الإخبار ضررٌ على المسافر استحب له أن يُورِّي ولا يُصرِّح، وقد كان النبي ﷺ إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرها[1].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤١٨) ومسلم (حديث ٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك... قال ولم يكن رسولُ الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في حرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدُوًّا كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرَهم بوجهه الذي يريد.

أما إذا كان السفر يحتاج إلىٰ أهبةٍ واستعدادٍ فالأولىٰ أن يخبر من يصحبونه بوجهته التي يُريد، ولذا فالنبي ﷺ أخبر أصحابه في غزوة تبوك بوجهته التي يُريد وذلك حتىٰ يأخذوا لهذا السفر عدته.

* * *

س: لماذا أُسند النسيان إليهما معًا مع أن الذي نسى إنما هو الفتى؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه أُطلق ها هنا الكل وأُريد البعض وإطلاق الكل وإرادة البعض له أدلة كثيرة فمن أدلة ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فالقائلون ناسٌ وهم المنافقون، والمقول لهم ناس وهم المؤمنون والناقلون ناس وهم أهل النفاق.

قال الشنقيطي رحمه الله: «في تفسيره أضواء البيان».

قوله تعالىٰ: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا**﴾ [الكهف: ٦١].

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن موسىٰ وفتاه نسيا حوتهما لما بلغا مجمع البحرين، ولكنه تعالىٰ أوضح أن النسيان واقع من فتىٰ موسىٰ، لأنه هو الذي كان تحت يده الحوت، وهو الذي نسيه. وإنما أسند النسيان إليهما؛ لأن إطلاق المجموع مراداً بعضه ـ أسلوب عربي كثير في القرآن وفي كلام العرب. وقد أوضحنا أن من أظهر أدلته قراءة حمزة والكسائي ﴿**فإن قتلوكم فاقتلوهم**﴾ [البقرة: ١٩١]، من القتل في الفعلين لا من القتال، أي: فإن قتلوا بعضكم فليقتلهم بعضكم الآخر.

والدليل علىٰ أن النسيان إنما وقع من فتىٰ موسىٰ دون موسىٰ قوله تعالىٰ عنهما: ﴿**فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا** ﴿٦٢﴾ **قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ**

أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٢، ٦٣] الآية، لأن قول موسىٰ: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] يعني به الحوت - فهو يظن أن فتاه لم ينسه، كما قاله غير واحد. وقد صرح فتاه: بأنه نسيه بقوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣] الآية.

* * *

س: ما شأن هذا الحوت؟

ج: هو حوتٌ حملاه معهما، قد تزودا به كي يأكلا منه في سفرهما، وفي هذا الحوت معجزة ظاهرة وهي أن الله أحياه ثم جعله يتخذ سبيله في البحر سربًا، وقد جُعل هذا الحوت لهما كعلامة علىٰ وجود الخضر في المكان الذي يُفقد فيه الحوت، فقد تقدم في الحديث أن موسىٰ عليه السلام لما سأل أي ربِّ كيف لي به (أي كيف ألتقي بالخضر)؟ فقيل له: احمل حُوتًا في مكْتل فحيث تفقد الحوت فهو ثمَّ (أي: فهو هناك).

وفي رواية تقدمت أيضًا: تزوَّد حوتًا مالحًا فإنه حيث تفقد الحوت، فيستفاد من الرواية أن الحوت كان ميتًا لأنه لا يُملح وهو حي.

أخرج الطبري[1] بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣] قال: عجبٌ والله حوت كان يؤكل منه أدهرًا، أي شيءٍ أعجب من حوت كان دهرًا من الدهور يؤكل منه، ثم صار حيًّا حتىٰ حُشر في البحر.

* * *

س: النسيان وارد حتى على أهل الصلاح دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي:

(١) الطبري (٢٣١٩٤).

* قوله تعالىٰ في شأن موسىٰ وفتاه: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١] .
* قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].
* قول موسىٰ عليه السلام للخضر: ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣] .
* قول النبي ﷺ: «**من أكل ناسيًا وهو صائم فليُتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**»[1] .

قول الصحابة لرسول الله ﷺ: أقصرت الصلاة أم نسيت؟[2] .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١] ؟

ج: المعنىٰ، والله أعلم، اتخذ مسلكًا في البحر فشق طريقه وسلك ذلك المسلك.

* * *

س: هل كان هذا الحوت حيًّا؟

ج: قد كان هذا الحوت ميتًا فأحياه الله عزَّ وجل ففي رواية للبخاري أي: رب اجعل لي علمًا أعلم ذلك منه قال: حيث يُفارقك الحوت، وفي رواية أخرىٰ: خذ نونًا ميتًا حيث ينفخ فيه الروح وقد تقدمت روايةٌ فيها... فأخذ حوتًا مُملحًا.

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٦٦٩).
(٢) البخاري (٦٦٧١).

س: هل يستحب التزود باللازم من الطعام والشراب والنفقة للسفر؟ دلِّل على ما تقول؟

ج: نعم يستحب ذلك فيؤخذ من قصة موسىٰ مع الفتىٰ مشروعية التزود للأسفار.

وذلك من تزود موسىٰ وفتاه بالحوت وقد دلَّت أدلة أُخر علىٰ مشروعية التزود في الأسفار بما تحتاج إليه تلك الأسفار من الأزواد من الطعام والشراب ونحو ذلك.

وقد نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] في أهل اليمن إذ كانوا يحجون ولا يتزودون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فنزلت الآية الكريمة[1].

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] فيه مسألة واحدة، وهو اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو ردٌّ علىٰ الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون المهامه والقِفار، زعماً منهم أن ذلك هو التوكل علىٰ الله الواحد القهار؛ هذا موسىٰ نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله علىٰ رب العباد.

وفي «صحيح البخاري»: إن ناسًا من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس، فأنزل الله تعالىٰ «وتزودوا».

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٢٣) وقد روي هذا الحديث مرسلاً ورجح عدد من أهل العلم إرساله، والله أعلم.

س: اذكر ما يدل على وجود وجبة الغداء والعشاء وكذا الإفطار صباحًا؟

ج: أما الغداء فمن الدليل عليه قول موسىٰ عليه السلام: ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: ٦٢].

وقول سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: «ما كنا نقيل ولا نتغدىٰ إلا بعد الجمعة»[(١)] .

أما العشاء ففي الحديث «**إذا قرب العشاء وحضرت الصلاة فابدأوا بالعشاء**»[(٢)] .

وأيضًا قد أرسل أبو بكر أضيافه إلىٰ بيته مع ابنه عبد الرحمن كي يُعشيهم [(٣)] .

أما الإفطار صباحًا فإن النبي ﷺ قد قال: «**من تصبح سبع تمرات عجوه لم يضره ذلك اليوم سمٌ ولا سحرٌ**»[(٤)] .

وقد قال تعالىٰ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣١ ، ٣٢].

* * *

س: هل يجوز لشخص أن يُخبر بالتعب الذي قد حلَّ به؟

ج: نعم، وذلك مأخوذ من قول موسىٰ لفتاه ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: ٦٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٩٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (واللفظ له) حديث (٥٥٧).

(٣) انظر البخاري (حديث ٦١٤١)، ومسلم (٢٠٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٢٣٨) ومسلم (١٤/ ٣).

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: (وا رأساه) فقال النبي ﷺ: **«بل أنا وارأساه»**[١].

ومحل هذا الجواز إذا لم يكن هذا الإخبار مصحوبًا بالتسخط على أقدار الله عزَّ وجل؛ والله تعالى أعلم.

هذا، وقد أورد الذهبي[٢] رحمه الله تعالى من طريق يعقوب الدَّوْرَقي حدّثنا عامر بن صالح، عن هشام بن عُرْوَة، أنَ أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك، حتى إذا كان بوادي القُرَىٰ، وجد في رجله شيئًا فظهرت به قرْحة، ثم ترقَّى به الوجع. وقدِم على الوليد وهو في مَحْمِل.

فقال: يا أبا عبد الله أقْطعِها، قال: دونَك. فدَعا له الطبيب، وقال: اشرب المُرْقد[٣]، فلَمْ يفعلْ، فقطعها من نصف الساق، فما زاد أن يقول: حسٍّ، حسٍّ، فقال الوليد: ما رأيت شيخًا قط أصبرَ من هذا.

وأصيبَ عُرْوة بابنه محمد في ذلك السَّفَر، ركضَتْهُ بغلة في إصطَبْل، فلم يُسمَعْ منه في ذلك كلمة. فلمَّا كان بوادي القُرىٰ قال: ﴿**لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا**﴾ [الكهف: ٦٢]، اللَّهُمَّ كان لي بنون سبعة، فأخذت واحدًا وأبقيت لي ستَّة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت طَرَفًا، وأبقيتَ ثلاثة؛ ولئن ابتليتَ، لقد عافَيْت، ولئن أخذت لقد أبَقْيت[٤].

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٥٦٦٦) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت . . . وارأساه فقال رسول الله ﷺ ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك، فقالت عائشة: واثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي ولو كان ذلك لظللت آخر يومك مُعرسًا ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ بل أنا وا رأساه. . . . الحديث.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٠) ترجمة عروة بن الشربير.

(٣) هو شيء يشربه الشخص فيرقد.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٣٠).

وأورد أيضًا من طريق عامر بن صالح، عن هشام بن عُروة، قال: سقط أخي محمد - وأمه بنتُ الحكم بن أبي العاص - من أعلى سطح في إصطبل الوليد، فضربَتْهُ الدوابُّ بقوائمها فقتلَتْه. فأتى عُروة رجلٌ يُعزِّيه، فقال: إن كنتَ تُعزِّيني برجلي فقد احتَسبتُها. قال: بل أُعَزِّيكَ بمحمد ابنك؛ قال: وما له؟ فأخبره، قال اللّهُمَّ أخذت عُضوا وتركت أعضاء، وأخذت ابنًا، وتركت أبناء، فلما قدمَ المدينةَ، أتاهُ ابنُ المنكدر، فقال: كيف كنتَ؟ قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]؟

ج: المعنى، والله أعلم: وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان.

* * *

س: من الذي أنساهما الحوت؟

ج: كل شيء يجري بقضاء الله وقدره وإذنه وقد قال الفتى لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣] فقدَّر الله أن الشيطان ينسيهما، أن الشيطان أنساهما ولكن أراد الله ذلك فالشيطان ليس إلا سبب وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «تفسيره أضواء البيان»:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣] دليل على أن النسيان من الشيطان كما دلت عليه آيات أُخر، كقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩] الآية.

قلت: وكما بينا فكل شيءٍ يجري بإذن الله وقضائه .

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣] ؟

ج: الظاهر، والله تعالىٰ أعلم، أن المعنىٰ، وشق الحوت طريقه في البحر بطريقةٍ أحدثت عجبًا لمن يطلع عليها، فمسيره كان عجبًا.

هذا، وقد قال ابن الجوزي رحمه الله تعالي في تفسيره «زاد المسير».

قوله تعالي: ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣] الهاء في السبيل ترجع إلىٰ الحوت وفي المُتَّخِذ قولان:

أحدهما: أنه الحوت، ثم في المخبر عنه قولان:

أحدهما: أنه الله عز وجل، ثم في معني الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: فاتخذ سبيله في البحر يُرىٰ عجبًا، ويُحدث عجبًا.

والثاني: أنه لما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ ﴾ [الكهف: ٦٣]، قال: اعجبوا لذلك عجبًا وتنبهوا لهذه الآية.

والثالث: أن إخبار الله تعالىٰ انقطع عند قوله: ﴿ فِي الْبَحْرِ ﴾ [الكهف: ٦٣] فقال موسىٰ: عجبًا، لما شوهد من الحوت. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري.

والثاني: أن المُخبِر عن الحوت يوشع، وصف لموسىٰ ما فعل الحوت.

والقول الثاني: أن المتخِذ موسىٰ، اتخذ سبيل الحوت في البحر عجبا، فدخل في المكان الذي مرَّ فيه الحوت، فرأىٰ الخَضِر، وروىٰ عطية عن ابن عباس قال: رجع موسىٰ إلىٰ الصخرة فوجد الحوت، فجعل الحوت يضرب في البحر، ويتبعه موسىٰ، حتىٰ انتهىٰ به إلىٰ جزيرة من جزائر البحر، فلقي الخضر.

س: ما وجه هذا التعجب؟

ج: وجه ذلك عند بعض العلماء أن الحوت كان ميتًا فأحياه الله ثم هرب الحوت إلىٰ البحر.

والثاني: أن الله أمسك جرية الماء فلم ينضم الماء إلىٰ بعض بعد سريان الحوت فيه بل كان مسيره خطًا في الماء.

والثالث: أن الحوت كلما مرَّ علىٰ شيء تجمد تحته ويبس والله أعلم بوجه الصواب من ذلك.

* * *

س: ما اسم هذا العبد الذي وجده موسى وفتاه؟

ج: هذا العبد هو الخضر عليه السلام، فقد تقدم في الحديث.. فأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ: بلىٰ عبدنا خضرٌ، ويُقال أيضًا الخضر وقد تقدم ذكره في الأحاديث السابقة.

وفي رواية في «الصحيح»[١]: بينا موسىٰ في ملإٍ من بني إسرائيل إذ جاءه رجلٌ فقال هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ فقال موسىٰ: لا فأُوحي إلىٰ موسىٰ بلىٰ عبدنا خضر فسأل موسىٰ السبيل إلىٰ لقيه.. فذكر الحديث.

هذا، وقد قال القرطبي رحمه الله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾[الكهف: ٦٥] العبد هوالخضر عليه السلام في قول جمهور العلماء، وبمقتضىٰ الأحاديث الثابتة، وخالف من لا يعتد بقوله... إلىٰ أن قال: والصحيح أنه كان الخضر.

* * *

(١) البخاري حديث (٧٤٧٨).

س: لماذا لم يسمع للفتى ذكر بعد التقاء موسى عليه السلام بالخضر؟

ج: الله تعالى أعلى وأعلم بما آل إليه أمر الفتى، وإلى أين ذهب، ولم أقف على خبرٍ ثابت عن رسول الله ﷺ يُفيد أين ذهب.

أما الوارد عند الطبري من طريق عكرمة قال: قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث وقد كان معه؟ فقال ابن عباس: فيما يذكر من حديث الفتى، قال: شرب الفتى من الماء فخلد، فأخذه العالم فطابق به سفينة، ثم أرسله في البحر، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب.

إسناده ضعيف جدًا.

وقد ضعفه الحافظ ابن كثير رحمه الله.

* * *

س: لماذا سُمي الخضر خضراً؟

ج: أخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروةٍ بيضاء[2]، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء.

* * *

س: ما المراد بالرحمة في قوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥]؟

ج: من العلماء من قال: إن الرحمة هنا النبوة، ومنهم من قال إنها رِقةٌ

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٢).

(٢) الفروة قيل: إنها الأرض اليابسة، وقيل: إنها الحشيشة اليابسة وقيل: إنها قطعةٌ من أرض بيضاء ليس فيها نبات.

جعلها الله في قلبه لمن يستحقها والله تعالىٰ أعلم.

هذا، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال وأهل الجنة ثلاثة... ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم[1].

* * *

س: العلم الذي يهبه الله لعباده على أقسام، وضح بعض ذلك؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالىٰ في تفسيره «تيسير الكريم المنان».

في الفوائد من هذه القصة

ومنها: أن العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان: علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده.

ونوع علم لدني، يهبه الله لمن يمن عليه من عباده لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

* * *

س: ما المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥]؟

ج: المراد، والله تعالىٰ أعلم، بعض ما يتعلق بعلم الغيب فهناك من أمور الغيب أمور يطلع الله عليها بعض رسله وأنبيائه قال تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٢، ٣].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (حديث ٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي مرفوعًا... وفيه (وأهل الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط متصدق موفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم عفيف متعفف ذو عيال.

س:ما فائدة التقييد بقوله:﴿ رُشْداً ﴾ في قوله: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾[الكهف: ٦٦] ؟

ج: فائدة ذلك بيان احتياجه إلى العلم، فهو يحتاج إلى علم يسترشد به في دنياه وأخراه، لا يطلب شيئًا لا فائدة فيه.

قال الشيخ السعدي في «تفسيره»، في فوائد القصة:

ومنها: أن العلم النافع، هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطريق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع وما سوى ذلك، فإما أن يكون ضارًّا، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾ [الكهف: ٦٦].

* * *

س: في قصة موسى مع الخضر جملة من الآداب المتعلقة بالعالم والمتعلم وضحها مع مزيد؟

ج: من ذلك ما يلي

* ابتداءً على كلٍّ من العالم والمتعلم أن يُخلصا النوايا لله عزَّ وجل ويبتغيا وجهه سبحانه وتعالى بعلمهما، فإن رسول الله ﷺ قد قال إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه [١].

(١) البخاري حديث (١).

* وقد بيَّن رسول الله ﷺ أن من أول من تُسعر بهم النار ثلاثة منهم من قرأ ليُقال قارئ، أو تعلم ليقال عالم[١] .

والأحاديث الواردة في هذا كثيرة جداً .

** ثم يؤخذ من قصة موسىٰ عليه السلام وذهابه إلىٰ الخضر، استحباب الرحلة لطلب العلم والالتقاء بالعلماء والتزود لذلك فإن موسىٰ عليه السلام رحل لذلك وتزوَّد بالحوت، واصطحب خادمه معه من أجل ذلك، كل ذلك مع إصراره علىٰ اللقاء.

إذ قال: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] .

ومما ورد عن سلفنا الصالح يرحمهم الله في باب الحرص علىٰ العلم ما كان ابن عباس رضي الله عنهما يصنعه، فقد صح عنه أنه[٢] قال لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس أتري الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترىٰ؟ فترك ذلك وأقبلت علىٰ المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل [٣] فأتوسد ردائي علىٰ بابه فتسفي الريح علىٰ وجهي التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فأقول: أنا أحق أن آتيك؟ فأسأله عن الحديث قال: فبقىٰ الرجل حتىٰ رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال: كان هذا الفتىٰ أعقل مني.

---

(١) عند مسلم (٣/ ١٥١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا إن أول الناس يُقضىٰ عليه يوم القيامة رجل استشهد . . . فذكر الحديث وفيه ورجل تعلم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن فأتىٰ به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلَّمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب علىٰ وجهه حتىٰ أُلقي في النار . . .

(٢) الدارمي (١/ ١٤١-١٤٢). (٣) يعني في القيلولة.

ولهذا أثنى عليه صحابة رسول الله ﷺ ووقَّروه وفي «الصحيح»[(١)] أن ابن عباس قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين قال الله فيهما: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، فقد كان عمر رضي الله عنه يُدخله مع أشياخ بدر[(٢)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه نعم ترجمان القرآن ابن عباس[(٣)].

وقال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجلٌ[(٤)].

ومن الدليل على مشروعية الرحلة لطلب العلم واستحباب الخروج لتحصيله والاستزادة منه قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فعلى طالب العلم أن يُوطن نفسه على الصبر، وأن يسأل الله ذلك فالصبر إنما صبره بالله، ومن ثم قال موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

ومما يدل على أن طالب العلم يستحب له الصبر والتأني قول رسول الله ﷺ في الحديث: «**وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما وليُعلم أن الإمامة لا تنال إلا بالصبر واليقين**».

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ويؤخذ من ذلك أيضًا أن الشخص إذا سُئل عن شيء لا يعلمه عليه أن

---

(١) البخاري (حديث ٥١٩١).
(٢) البخاري حديث (٤٩٧٠).
(٣) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢٢٦٩).
(٤) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢٢٦٨).

يكل العلمَ إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن موسى عليه السلام لما سئل أي الناس أعلم فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه... الحديث [١].

وأيضًا فالملائكة لما سألهم ربهم: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].

ورسولنا محمد ﷺ قال الله له: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

* ويؤخذ من ذلك أيضًا تلطف طالب العلم وتواضعه مع العالم، وذلك من قول موسى عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فالمعني: هل تأذن لي في اتباعك.

* وفيه أيضًا استئذان طالب العلم من العالم لمصاحبته والاستفادة منه.

* ومما يشهد لتواضع طالب العلم للعالم ما ورد عن الحبر الكريم الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

أخرج ابن سعد [٢] في «الطبقات» بسندٍ صحيح عن الشعبي قال: أخذ ابن عباس لزيد بن ثابت بالرِّكاب، فقال: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: ٦٦] هذا سؤال الملاطف، والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب، المعنى: هل يتفق

---

(١) البخاري (٤٧٢٥) ومسلم، وقد تقدم.

(٢) «الطبقات» (٢/٢/١١٦).

لك ويخف عليك؟ وهذا كما في الحديث هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، حسب ما تقدم بيانه في «المائدة».

ويؤخذ من القصة التواضع والأكل مع الخدم، وإطعامهم مما يطعم الشخص فقد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا.

وفي الحديث إذا أتى أحدَكم خادمهُ بطعام فليناوله منه اللقمة واللقمتين فإنه ولي مره.

وما أجمل ما صنع أبوذر رضي الله عنه مع خادمه إذ كساه حلة تشبه حُلَّته.

ويؤخذ من خبر موسى مع الخضر أيضًا مشروعية تعلم الفاضل من المفضول والأخذ عنه، ، فموسى من أولي العزم من الرسل، وهو كليم الله عزَّ وجل ومع ذلك يتواضع ويأخذ العلم من الخضر عليهما السلام قال القرطبي رحمه الله تعالى:

في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب، ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضله الله؛ فالخضر إن كان وليًّا فموسى أفضل منه؛ لأنه نبي والنبي أفضل من الولي، وإن كان نبيًّا فموسى فضله بالرسالة. والله أعلم.

قلت: وقد قال بعض أهل العلم: (لا ينبل العالم حتى يأخذ ممن فوقه وممن دونه).

* ويؤخذ من ذلك أيضًا أن طالب العلم له أن يُذكر العالم بفضل الله عليه

وذلك من قول نبي الله موسى عليه السلام للخضر، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦] فقوله : ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ [الكهف: ٦٦] فيه رد الفضل إلى الله سبحانه وتعالى، فالذي علم الخضر هو الله ويؤخذ من القصة التخصص في العلم أيضًا: وذلك من قول الخضر لموسى عليهما السلام يا موسى إنك على علمٍ من الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علمٍ علمنيه الله لا تعلمه.

وقد كان من أصحاب النبي ﷺ العالم بالقراءات (كأبي)[1] رضي الله عنه والعالم بالقضاء (كعلي) رضي الله عنه، والعالم بالسياسة (كعمر) رضي الله عنه، والعالم بالأنساب (كأبي بكر) رضي الله عنه والعالم بالفرائض (كزيد بن ثابت) رضي الله عنه والعالم بالحلال والحرام (كمعاذ بن جبل) رضي الله عنه، والعالم بفنون القتال (كخالد) رضي الله عنه إلى غير ذلك.

وقد تنوعت مناقبهم وتعددت فضائلهم فمنهم الصديق الذي صحب النبي ﷺ، ومنهم الفاروق الذي فرَّق الله به بين الحق والباطل ومنهم الحيي الكريم الذي تستحي منه ملائكة الرحمن كعثمان رضي الله عنه ومنهم الشجاع المغوار كحمزة أسد الله، وعلي رضي الله عنهما ومنهم أمين الأمة كأبي عبيدة رضي الله عنه، وحواريَّ الرسول ﷺ كالزبير رضي الله عنه.

والمنفق المحسن المتصدق كعثمان وابن عوف رضي الله عنهما.

وأول من رمى بسهم في سبيل الله سعد رضي الله عنه.

ومنهم من أبوه أُمة ثم هو من أوائل من أسلموا كسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل رضي الله عنهما إلى غير هؤلاء من أصحاب الفضائل والمناقب.

والكل يثني على الآخر، ويُجلُّه وينزله منزلته ويعطيه قدره رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) راجع فضائل المذكورين إن شئت في كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

وفيه أيضًا تلطف العالم مع طالب العلم والتماس المعاذير له:

وذلك من قول الخضر لموسىٰ عليهما السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] ثم يلتمس له العذر في ذلك فيقول له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨].

وقد تقدم في الحديث أن الخضر قال لموسىٰ عليه السلام: «يا موسىٰ إني علىٰ علمٍ من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت علىٰ علم من علم الله علمك الله لا أعلمه».

ففيه أيضًا أن العالم يُنزل طالب العلم منزلته ويقرُّ له بفضله.

ويؤخذ من القصة أيضًا جواز اشتراط العالم على من يريد مصاحبته:
وذلك من قول الخضر لموسىٰ عليهما السلام: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠].

ومحل ذلك إذا لم تخالف هذه الشروط شيئًا من كتاب الله عزَّ وجل أو من سنة رسول الله ﷺ.

ويؤخذ من ذلك تقديم المشيئة بين يدي الأعمال، وذلك لقول موسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، وقد قال تعالىٰ في سورة الكهف أيضًا: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وقد يقول الشخص إن شاء الله، ولا يتحقق له ما يريد إذ الله يُريد شيئًا آخر، وذلك لأن موسىٰ عليه السلام لم يصبر، فقد قال النبي ﷺ: «وددنا أن موسى عليه السلام قد صبر..».

ويؤخذ من القصة حرص نبي الله موسى عليه السلام على الازدياد من

الخير: وهذا شيء معروف عن نبي الله الكريم الكليم موسىٰ عليه السلام، فمع أن الله عز وجل آتاه التوراة، وكلمه تكليمًا وكان الوحي يأتيه وجعله من أولي العزم من الرسل إلا أن ذلك لم يمنعه من الاستزادة من العلم والحرص علىٰ لقاء أهله وقد قال له الخضر عليه السلام أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك؟!! ولكنه مع ذلك يُصرُّ علىٰ الصحبة للاستزادة والاستفادة عليه صلوات الله وسلامه.

* ومن حرص هذا النبي الكريم علىٰ الخير مع أن الله كلمه تكليمًا قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ولكن لما كانت رؤية الله في الدنيا لا تتم لبشرٍ قال تعالىٰ: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال أيضًا: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

فليحرص المؤمن علىٰ الخير وليسأل ربه فريد الفضل، والله واسع عليم جواد كريم.

وفيه أيضًا تذكير العالم للمتعلم بسعة علم الله عزَّ وجل:

فقد تقدم في الحديث.. وجاء عصفور فوقع علىٰ حرف السفينة فنقر في البحر نقرةً فقال له الخضر، ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

فمع كل الذي صنعه الخضر، وأطلعنا الله عليه، فكل هذا لا يقارب في علم الله إلا كما نقر العصفور في البحر وقد قال تعالىٰ أيضًا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وفيه أن العالم عليه أن يذكر الدليل لمن يتعلم منه وأن يبين له أن ما يصنعه إنما هو بدليل حتى يطمئن قلبه ويهدأ باله، فدائمًا طلاب العلم والحق وأهل الإيمان يقنعون بالدليل من الكتاب والسنة، فعنده تقف عقولهم

ويُسلِّموا لربهم، وقد قال الخضر لموسىٰ عليهما السلام : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ١٣٢] . أي: أن الذي صنعته كان بأمر الله ووحيه ليس بأمري واختياري .

ويؤخذ منه أن العالم عليه أن يلتزم الأدب في النقل عن الله عزَّ وجل فها هو الخضر عليه السلام يقول في شأن السفينة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فنسب عيب السفينة إلىٰ نفسه ، مع أنه صنع ما صنع بالسفينة بأمر الله عزَّ وجل .

وعند ذكر الخير والرحمة يقول : ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] .

ونحو هذا المذكور في قول الجن ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] .

فنسبوا الشر إلىٰ من لم يسم فاعله والرشد إلىٰ الله عز وجل مع أن الكل من عند الله ومن ذلك أيضًا قوله تعالىٰ : ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] مع أن كل شيء من عند الله كما قال تعالىٰ : ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، . . . نحوه قول رسول الله ﷺ « الشر ليس إليك»[١] وفي الباب أيضًا قول الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠] مع أن المرض قدره الله أيضًا. وفي الباب أيضًا قوله : ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣] .

قال الحافظ ابن حجر[٢] رحمه الله في «الفوائد المستنبطة من هذا الحديث: وفيه حسن الأدب مع الله، وأن لا يضاف إليه ما يُستهجن لفظه، وإن كان الكل بتقديره وخلقه، لقول الخضر عن السفينة : ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وعن الجدار ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] ومثل هذا قوله ﷺ : «والخير بيديك والشر ليس إليك»[٣] .

---

(١) مسلم حديث (٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) فتح (٨/ ٤٢٢) .

(٣) مسلم (حديث ٧٧١) .

قال القرطبي رحمه الله:

إن قال قائل كيف أضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله تعالىٰ، وقال في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] فأضاف العيب إلىٰ نفسه؟ قيل له: إنما أسند الإرادة في الجدار إلىٰ الله تعالىٰ لأنها في أمر مستأنف في زمن طويل غيب من الغيوب، فحسن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالىٰ، وإن كان الخضر قد أراد ذلك فالذي أعلمه الله تعالىٰ أن يريده. وقيل: لما كان ذلك خيراً كله أضافه إلىٰ الله تعالىٰ أن يريده. وأضاف عيب السفينة إلىٰ نفسه رعاية للأدب، لأنها لفظة عيب، فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلىٰ نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] فأسند الفعل قبلُ وبعدُ إلىٰ الله تعالىٰ، وأسند إلىٰ نفسه المرض، إذ هو معنىٰ نقص ومصيبة، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالىٰ من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح، وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦]، واقتصر عليه فلم ينسب الشر إليه، وإن كان بيده الخير والشر والضر والنفع، إذ هو علىٰ كل شيء قدير، وهو بكل شيء خبير. ولا اعتراض بما حكاه عليه السلام عن ربه عزوجل أنه يقول يوم القيامة: «**يا ابن آدم مرضت فلم تعُدْني واستطعمتُك فلم تُطعمني واستسقيتك فلم تَسقني**» فإن ذلك تَنزُّل في الخطاب، وتلطُّف في العتاب، مقتضاه التعريف بفضل ذي الجلال، وبمقادير ثواب هذه الأعمال. وقد تقدّم هذا المعنىٰ. والله تعالىٰ أعلم. ولله تعالىٰ أن يطلق علىٰ نفسه ما يشاء، ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصاف الجميلة والأفعال الشريفة جل وتعالىٰ عن النقائص والآفات علواً كبيراً وقال في الغلام: «فأردنا» فكأنه أضاف القتل إلىٰ نفسه، والتبديل إلىٰ الله تعالىٰ، والأشد كمال الخَلْق والعقل. وقد مضىٰ الكلام فيه في «الأنعام» والحمد لله.

س: قول موسى عليه السلام: ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] هل التقييد بالمشيئة مختص بالصبر وحده أم بالصبر وعدم عصيان الأمر؟

ج: من العلماء من قال: إنه مختص بالصبر وحده، قالوا وقد تحقق فقد صبر موسى عليه السلام.

أما قوله: ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] فلم يتحقق، فقد نهاه الخضر عن السؤال بقوله: ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٠] ولكن موسى عليه السلام خالف في ذلك: فقال: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [الكهف: ٧٠] وقال: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ [الكهف: ٧٤] وقال: ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧].

قلت: (مصطفى): ويرد أيضًا على قول من قال إن الصبر قد تحقق أن النبي ﷺ قال: «**وددنا أن موسى عليه السلام كان صبر فقص الله علينا من خبرهما**».

* وهذه بعض أقوال العلماء في هذه المسألة:

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] أي: سأصبر بمشيئة الله. ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] أي: قد ألزمت نفسي طاعتك. وقد اختلف في الاستثناء، هل هو يشمل قوله: ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] أم لا؟ فقيل: يشمله كقوله: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقيل: استثنى في الصبر فصبر، وما استثنى في قوله: ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩] فاعترض وسأل. قال علماؤنا: إنما كان ذلك منه؛ لأن الصبر أمر مستقبل ولا يدري كيف يكون حاله فيه، ونفي المعصية معزوم عليه حاصل في الحال، فالاستثناء فيه ينافي العزم

عليه. ويمكن أن يفرق بينهما بأن الصبر ليس مكتسبًا لنا بخلاف فعل المعصية وتركه، فإن ذلك كله مكتسب لنا؛ والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى(١):

وقوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

قيل: استثنى في الصبر فصبر، ولم يستثن في العصيان فعصاه وفيه نظر، وكأن المراد بالصبر أنه صبر عن اتباعه والمشي معه وغير ذلك، لا الإنكار عليه فيما يخالف ظاهر الشرع.

* * *

س: هل وافق موسى عليه السلام على شرط الخضر الذي اشترطه عليه إذ قال: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]؟

ج: نعم قد وافق موسى عليه السلام على ذلك، وقد فهم هذا من سياق القصة المباركة، إذ قد قال الله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا...﴾ [الكهف: ٧١] وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أن الخضر لما قال لموسى عليه السلام: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠] قال: «نعم».

أي أن موسى عليه السلام أقرَّ بقوله للخضر: «نعم».

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧٠] قراءتان وضحهما؟

ج: قد أوضحهما الطبري رحمه الله إذ قال:

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١] فقرأ ذلك

---

(١) فتح الباري (٨/ ٤١٨).

عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١] بالتاء في لتغرق، ونصب الأهل، بمعني: لتغرق أنت أيها الرجل أهل هذه السفينة بالخرق إذا خرقت فيها. وقرأه عامة قراء الكوفة «لِيَغْرَقَ» بالياء «أهلُها» بالرفع، على أن الأهل هم الذين يغرقون.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الأمصار متفقتا المعنى وإن اختلفت ألفاظهما، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب.

وإنما قلنا: هما متفقتا المعني، لأنه معلوم أن إنكار موسى على العالِم خرق السفينة إنما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها إذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها فلا خفاء على أحد معنى ذلك قرئ بالتاء ونصب الأهل، أو بالياء ورفع الأهل.

❊ ❊ ❊

س: لماذا خرق الخضر السفينة؟

ج: خرقها عليه السلام كي يصرف عنها مصادرة هذا الملك الغشوم لها، أي أنه خرقها لحفظها من اغتصاب الملك لها فالملك لم يكن يتعرض للسفينة المعيبة.

❊ ❊ ❊

س: كيف خرق الخضر السفينة؟

ج: ورد عن رسول الله ﷺ[١]: أنه قال: «فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم وفي رواية أُخرى[٢] عند البخاري أيضًا فخرقها ووتد فيها وتدًا.

---

(١) البخاري (٤٧٢٥).

(٢) البخاري (٤٧٢٦).

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[1] : والجمع بين الروايتين أنه قلع اللوح وجعل مكانه وتدًا .

وفي رواية عند البخاري[2] : **(إذ أخذ الفأس فنزع لوحًا ، وقال ولم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقدوم)** .

وقال الحافظ أيضًا: وفي رواية أبي العالية (فخرق السفينة فلم يره أحد إلا موسىٰ ، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين ذلك) .

قلت (مصطفى): وقد أورد الطبري بسندٍ فيه ضعف إلىٰ أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ . . فذكر الحديث وفيه فانطلقا يمشيان علىٰ ساحل البحر ، يتعرضان الناس ، يلتمسان من يحملهما ، حتىٰ مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمرّ بهما في السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها ، فسألا أهلها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمأنا فيها ، ولجت بهما مع أهلها ، أخرج منقاراً له ومطرقة ، ثم عمد إلىٰ ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتىٰ خرقها ، ثم أخذ لوحًا فطبقه عليها ، ثم جلس عليها يرقعها .

* * *

س: من جهل شيئًا استنكره أو عاداه دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي :

*قوله تعالىٰ : ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ** ﴾ [يونس: ٣٩] .

* قول الخضر لموسىٰ عليه السلام : ﴿ **قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** ﴾ [الكهف: ٦٧ ، ٦٨] .

---

(١) فتح (٨/ ٢٧٢).

(٢) البخاري (حديث ٣٤٠١).

* وفي الأثر عن عليٍّ رضي الله عنه : «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله» .

وقد استنكر موسىٰ عليه السلام علىٰ الخضر عليه السلام خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ، لكونه لم يعلم ما وراء ذلك من الحِكَم .

قال السعدي رحمه الله في «الفوائد المستنبطة» :

ومنها: أن السبب الكبير لحصول الصبر ، إحاطة الإنسان علماً وخبرة ، بذلك الأمر الذي أمر بالصبر عليه ، وإلا فالذي لا يدريه ، أو لا يدري غايته ولا نتيجته ، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر لقوله : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨] فجعل الموجب لعدم صبره ، عدم إحاطته خبراً بالأمر .

* * *

س: ما المراد بالنسيان في قوله: ﴿ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف: ٧٣] ؟

ج: المراد نسيان العهد الذي أخذه عليه الخضر إذ قال : ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٠] . فنسىٰ موسىٰ ذلك ، وقد قال رسول الله ﷺ : «**وكانت الأولى من موسى نسيانًا**» .

* * *

س: ما المراد بالنسيان في قول موسى عليه السلام: ﴿ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف: ٧٣] ؟

ج: المراد والله تعالىٰ أعلم ، بالنسيان النسيان المعهود الذي هو ضد التذكر ، ويشهد لذلك الكتاب العزيز والسنة المباركة . قال موسىٰ عليه السلام : ﴿ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف: ٧٣] وقال النبي ﷺ : «**كانت الأولى من موسى نسيانًا**» .

س: ما شأن الغلام الذي قتله الخضر؟

ج: صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافرًا**».

❊ ❊ ❊

س: كيف قتل الخضر الغلام؟

ج: ورد في «الصحيحين»[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله**» وفي رواية أخرىٰ عند البخاري[2] قال سعيد: وجد غلمانًا يلعبون فأخذ غلامًا كافرًا ظريفًا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين.

قال الحافظ في «الفتح»: ويجمع بينهما بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه.

قلت (مصطفى): ورواية سعيد الظاهر أنه ليست متصلة الإسناد فقد أخرج الطبري[3] نحوها عن سعيد من قوله لم يرفعه إلىٰ ابن عباس ولا إلىٰ رسول الله ﷺ وعند الطبري[4] أيضًا بسند فيه ضعف فإذا غلمان يلعبون، خلفها فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه، ولا أثرىٰ ولا أوضأ منه، فأخذه بيده، وأخذ حجرًا، قال: فضرب به رأسه حتىٰ دمغه فقتله، قال: فرأىٰ موسىٰ أمرًا فظيعًا لا صبر عليه.

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (حديث ٤٧٢٥)، ومسلم أيضًا (٢٣٨٠).
(٢) البخاري (حديث ٤٧٢٦).
(٣) الطبري (٢٣٢٢٧).
(٤) الطبري (٢٣٢٠٩).

س: هل كان هذا الغلام المقتول بالغًا أم غير بالغ؟

ج: ذهب أكثر أهل العلم إلى أن هذا الغلام كان دون البلوغ (أي لم يبلغ) ومن حججهم أن اسم الغلام يطلق في الغالب على من دون البلوغ.

ومن حججهم أيضًا قوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤] أي: طاهرة لم ترتكب ذنبًا ولم يجر عليها القلم بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن هذا الغلام كان بالغًا ومن أدلتهم على ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**» قالوا: والصغير لا يوصف بالكفر مع الأبوين المؤمنين.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] ومن المعلوم أن الطفل الذي دون البلوغ إذا قتل شخصًا لا يقتل به وأجاب هؤلاء على ما ورد من كون الغلام يطلق على الصغير بأن كلمة الغلام تأتي أحيانًا يُراد بها الكبير أيضًا أما الأولون فأجابوا على الاستدلال بقوله عليه السلام: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**» أن هذا ليس بصريح أبدًا في كونه كان بالغًا.

وعلى الاستدلال بقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] بأن مثل هذا القصاص من الصغير كان سائغًا في الأمم من قبلنا، والله تعالى أعلم.

هذا، وقد قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿غُلَامًا﴾ [الكهف: ٧٤] اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغًا أم لا؟ فقال الكلبي: كان بالغًا يقطع الطريق بين قريتين، وأبوه من عظماء أهل إحدى القريتين [١]، وأمه من عظماء القرية الأخرى، وقال الجمهور: لم يكن بالغًا؛ ولذلك قال موسى زاكية لم تذنب، وهو الذي يقتضيه لفظ الغلام؛ فإن الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ، وتقابله

---

(١) كل هذا لا يصح له إسناد.

الجارية في النساء، وكان الخضْر قتله لِما علم من سره، وأنه طُبع كافراً كما في صحيح الحديث، وأنه لو أدرك لأرهق أبويه كفراً. وقتلُ الصغير غير مستحيل إذا أذن الله في ذلك؛ فإن الله تعالىٰ الفعال لما يريد، القادر علىٰ ما يشاء، وفي كتاب «العرائس» إن موسىٰ لما قال للخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤] الآية ـ غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر، وقشر اللحم عنه، وإذا في عظم كتفه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبداً[١]. وقد احتج أهل القول الأول بأن العرب تبقي علىٰ الشاب اسم الغلام، ومنه قول ليلىٰ الأخيلية:

شَفَاها من الدَّاءِ العُضالِ الذي بها غُـلام إذا هَزَّ القَنَاةَ سَقَاها

وقال صفوان لحسان:

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيفِ عَنِّي فإنَّني غُلامٌ إذا هُوجِيتُ لَسْتُ بشاعرِ

وفي الخبر[١]: إن هذا الغلام كان يفسد في الأرض، ويقسم لأبويه أنه ما فعل، فيقسمان علىٰ قسمه ويحميانه ممن يطلبه، وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] يقتضي أنه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدل علىٰ كبر الغلام، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، وإنما جاز قتله لأنه كان بالغًا عاصياً. قال ابن عباس: كان شابًّا يقطع الطريق. وذهب ابن جبير إلىٰ أنه بلغ سن التكليف لقراءة أبي وابن عباس: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين» والكفر والإيمان من صفات المكلَّفين، ولا يطلق علىٰ غير مكلَّف إلا بحكم التبعية لأبويه، وأبوا الغلام كانا مؤمنين بالنص فلا يصدق عليه اسم الكافر إلا بالبلوغ، فتعين أن يصار إليه. والغلام من الاغتلام وهو شدة الشَّبَق.

* * *

(١) كل هذا لا يصح له إسناد.

س: ما وجه زيادة كلمة (لك) في قول الخضر لموسى في المرة الثانية لما قتل الغلام﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٥]؟

ج: ذلك ، والله أعلم لكون السؤال قد تكرر من موسىٰ عليه السلام فكانت كلمة (لك) تحمل مزيداً من شدة علىٰ موسىٰ عليه السلام لتكرر سؤاله، وقد قال النبي ﷺ: «وهي أشد من الأولى».

❊ ❊ ❊

س: وضح المراد بقوله: ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي ﴾ [الكهف: ٧٦]؟

ج: المعنىٰ، والله أعلم إن سألتك عن شيء بعد مسألتي هذه فلا تصاحبني أي: إن طلبت صحبتك فلا تتابعني علىٰ ذلك.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية. قال ابن عطية يشبه أن يكون هذا أصل مالك في ضرب الآجال في الأحكام إلىٰ ثلاثة أيام وفي التلوم، ونحو ذلك.

❊ ❊ ❊

س: وجه الاعتذار بعد ثلاث يكون ضعيفًا وضح ذلك؟

ج: نعم إذا تكرر الخطأ ثلاثًا ضعف الاعتذار ومن ثم قال موسىٰ عليه السلام في الثالثة ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. أي: فإن طلقها الثالثة .

وفي الاستئذان: يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع**»[(١)].

س: ما اسم هذه القرية التي ذكرها الله بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: ٧٧]؟

ج: قال بعض أهل العلم إنها أبله، وقيل غير ذلك.

(قلت): ولم يرد نص بتسميتها، والجهل باسمها غير ضائرٍ.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في حق الضيف؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم [(٢)]من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**[(٣)]**، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

*وفيهما [(٤)] أيضًا من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلَّم النبي ﷺ فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم**

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٢٦) ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٠١٨) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٧).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ«فتح الباري» (١٠/ ٤٦٠) طبعة الريان: ثم الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، وقد يكون مستحبًا، ويجمع الجميع علىٰ أنه من مكارم الأخلاق.

(٤) البخاري (٦٠١٩) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٨) (ص١٣٥٢).

ضيفه جائزته» قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: **«يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقةٌ عليك**[١] **، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»**.

* وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: **«... وإن لزورك**[٢] **عليك حقًا..»**[٣] .

* ويقرُّ النبي ﷺ سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: **«وإن لضيفك عليك حق»**[٤] .

وأخرج أحمد [٥] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ يوم تبوك فقال: **« ما من الناس مثل رجلٍ آخذ بعنان فرسه فيجاهد في سبيل الله ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل بادٍ في غنمه يقري ضيفه، ويؤدي حقه»**.

وأخرج مسلم [٦] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا بن آدم،**

---

(١) نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (١٠/ ٥٤٩)، عن الخطابي قوله: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يُتحفه ويزيده في البر على ما بحضرته يومًا وليلة، وفي اليومين الأخيرين يُقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة.

(٢) الزور: هو الضيف، يُقال: هؤلاء زور.

(٣) الحديث أخرجه البخاري (٦١٣٤)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤١٣) بإسناد صحيح من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه وفيه أن سلمان قال لأبي الدرداء رضي الله عنهما: إن لنفسك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، ولضيفك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا فأعط كل ذي حق حقه فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك فقال له: «صدق سلمان».

وأصل الحديث عند البخاري (بدون ذكر الضيف) حديث(١٩٦٨، ٦١٣٩).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٣١١).

(٦) مسلم (حديث ٢٥٦٩).

مرضت فلم تَعُدْنِي ، قال: يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟! أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يارب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمث أنه استطعمك عبدي فلانٌ فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يابن آدم، استسقيتك فلم تسقني؟ قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقه. أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال : إني مجهود ، فأرسل إلىٰ بعض نسائه؟ فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسل إلىٰ أخرىٰ فقالت مثل ذلك، حتىٰ قلن كلهن مثل ذلك: لا ، والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماءٌ، فقال: «**من يُضيفُ هذا الليلة، رحمه الله**» فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلىٰ رحله، فقال لامرأته : هل عندك شيءٌ؟ قالت : لا ، إلا قوت صبياني؟ قال : فعلليهم بشيءٍ، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوىٰ ليأكل فقومي إلىٰ السراج حتىٰ تطفئيه قال : فقعدوا وأكل الضيفُ، فلما أصبح غدا علىٰ النبي ﷺ فقال : «**قد عجب اللَّهُ من صنيعكما بضيفكما الليلة**».

س: كيف أقام الخضر عليه السلام الجدار؟

ج: ورد في «الصحيح» فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض - قال مائل - فقام الخضر فأقامه بيده.

* وقد ورد عند الطبري [1] بسندٍ ضعيف عن ابن عباس موقوفًا أنه قال : هدمه ثم قعد يبنيه.

---

(١) الطبري (٢٣٢٣٥).

قال الطبري رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن الله عزَّ ذكره أخبر أن صاحب موسىٰ وموسىٰ وجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه صاحب موسىٰ، بمعنىٰ: عَدَل ميَله حتىٰ عاد مستوياً. وجائز أن يكون كان ذلك بإصلاح بعد هدم. وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده، فاستوىٰ بقدرة الله، وزال عنه ميله بلطفه ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأي ذلك كان من أي.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف: ٧٧]؟

ج: المعنىٰ الإجمالي، . والله تعالىٰ أعلم يوشك أن ينهدم ويسقط أي إنه قارب الوقوع والسقوط.

أما تفصيلاً: فها هي أقوال بعض أهل العلم في ذلك:

قال الطبري رحمه الله:

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنىٰ قول الله عزّ وجل ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف: ٧٧] فقال بعض أهل البصرة: ليس للحائط إرادة ولا للمَوات، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة فهو إرادته، وهذا كقول العرب في غيره:

يريد الرُّمْحُ صَدْرَ أبي بَرَاء ... ويَرْغَبُ عَنْ دِماءِ بَني عُقَيْلِ

وقال آخر منهم: إنما كلم القوم بما يعقلون قال: وذلك لما دنا من الانقضاض، جاز أن يقول: يريد أن ينقض قال: ومثله: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ [مريم: ٩٠، الشورىٰ: ٥]، وقولهم: إني لأكاد أطير من الفرح، وأنت لم تقرب من ذلك، ولم تهتم به، ولكن لعظيم الأمر عندك وقال بعض الكوفيين منهم: من كلام العرب أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط، قال:

ومثله من قول العرب قول الشاعر:

إن دهرًا يَلُفُّ شَمْلي بجُمْلٍ لزَمَانٌ يَهُمُّ بالإحْسانِ

وقول الآخر:

يَشْكُو إليَّ جَمَلي طُولَ السُّرى صبْرًا جَميلاً فكلانا مُبْتَلى

قال: والجمل لم يشكُ، إنما تكلَّم به على أنه لو تكلم لقال ذلك، قال: وكذلك قول عنترة:

ازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلَبانِه وَشَكا إليَّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ

قال: ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، والغضب لا يسكت، وإنما يسكت صاحبه، وإنما معناه: سكن. وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]، إنما يعزم أهله وقال آخر منهم: هذا من أفصح كلام العرب. وقال: إنما إرادة الجدار: ميله، كما قال النبي ﷺ: «لا تراءى ناراهما» وإنما هو أن تكون ناران كل واحدة من صاحبتها بموضع لو قام فيه إنسان رأى الأخرى في القُرب، قال: وهو كقول الله عز وجل في الأصنام: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، قال: والعرب تقول: داري تنظر إلى دار فلان، تعني قرب ما بينهما، واستشهد بقول ذي الرُّمة في وصفه حوضًا أو منزلاً دارسًا:

قَدْ كادَ أوْ قَدْ هَمَّ بالبُيُودِ

قال: فجعله يهمُّ، وإنما معناه: أنه قد تغير للبلى، والذي نقول به في ذلك أن الله عزَّ ذكره بلطفه جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم، ليبين بعضهم لبعض عما في ضمائرهم، مما لا تحسُّه أبصارهم، وقد عقلت العرب معنى القائل:

في مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بِهِ هاماتُها قَلَقَ الفُئُوسِ إذا أَرَدْنَ نُصُولا

وفهمت أن الفئوس لا توصف بما يوصف به بنو آدم من ضمائر الصدور مع وصفها إياها بأنها تريد وعلمت ما يريد القائل بقوله :

كـمثْلِ هَيْلِ النَّقا طَافَ المُشاةُ به   يَنْهَالُ حيناً ويَنْهاهُ الثَّرى حينا

وإنما لم يرد أن الثرىٰ نطق ، ولكنه أراد به أنه تلبَّد بالندىٰ ، فمنعه من الانهيال ، فكان منعه إياه من ذلك كالنهي من ذوي المنطق فلا ينهال .
وكذلك قوله : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف:٧٧] قد علمت أن معناه : قد قارب من أن يقع أو يسقط ، وإنما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحي بلسانه ، وقد عقلوا ما عنىٰ به وإن استعجم عن فهمه ذوو البلادة والعمىٰ ، وضلّ بما فيه ذوو الجهالة والغبا .

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره «أضواء البيان»:
قوله تعالىٰ : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ [الكهف:٧٧] هذه الآية الكريمة من أكبر الأدلة التي يستدل بها القائلون بأن المجاز في القرآن ؛ زاعمين أن إرادة الجدار الانقضاض لا يمكن أن تكون حقيقة وإنما هي مجاز وقد دلت آيات من كتاب الله علىٰ أنه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة ، لأن الله تعالىٰ يعلم للجمادات إرادات وأفعالا وأقوالا لا يدركها الخلق كما صرح تعالىٰ بأنه يعلم من ذلك ما لا يعلمه خلقه في قوله جل وعلا : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤] فصرح بأننا لا نفقه تسبيحهم وتسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها هو جل وعلا ونحن لا نعلمها . وأمثال ذلك كثيرة في القرآن والسنة .

فمن الآيات الدالة علىٰ ذلك ـ قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ الآية [البقرة:٧٤]. فتصريحه تعالىٰ بأن بعض الحجارة يهبط من خشية

الله دليل واضح في ذلك ، لأن تلك الخشية بإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه وقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾ الآية [الأحزاب: ٧٢] . فتصريحه جل وعلا بأن السماء والأرض والجبال أبت وأشفقت أي : خافت دليل علىٰ أن ذلك واقع بإرادة وإدراك يعلمه هو جل وعلا ونحن لا نعلمه .

ومن الأحاديث الدالة علىٰ ذلك ما ثبت في «صحيح مسلم» : أن النبي ﷺ قال : «إني لأعرف حجراً كان يسلم علي بمكة» وما ثبت في «صحيح البخاري» من حنين الجذع الذي كان يخطب عليه ﷺ جزعًا لفراقه ، فتسليم ذلك الحجر ، وحنين ذلك الجذع كلاهما بإرادة وإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه ، كما صرح بمثله في قوله : ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وزعم من لا علم عنده أن هذه الأمور لا حقيقة لها ، وإنما هي ضرب أمثال ، زعم باطل ، لأن نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلا بدليل يجب الرجوع إليه . وأمثال هذا كثيرة جدًا .

وبذلك تعلم أنه لا مانع من إبقاء إرادة الجدار علىٰ حقيقتها لإمكان أن يكون الله علم منه إرادة الانقضاض ، وإن لم يعلم خلقه تلك الإرادة ، وهذا واضح جداً كما ترىٰ . مع أنه من الأساليب العربية إطلاق الإرادة ، علىٰ المقاربة والميل إلىٰ الشيء كما في قول الشاعر :

يريد الُّمح صَدْرَ أبي بَرَاءٍ ... ويعدل عن دماء بني عقيل

أي يميل إلىٰ صدر أبي براء .

وكقول راعي نمير :

في مهمه قلقت به هامتها ... قلق الفئوس إذا أردن نضولا

فقوله « إذا أردن نضولا » أي : قاربنه وقول الآخر :

إن دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالإحسان

فقوله: «لزمان يهم بالإحسان» أي: يقع الإحسان فيه . وقد بينا في رسالتنا المسماة «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز» - أن جميع الآيات التي يزعمون أنها مجاز أن ذلك لا يتعين في شيء منها . وبينا أدلة ذلك . والعلم عند الله تعالىٰ.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال:

إسناد الإرادة ها هنا إلىٰ الجدار علىٰ سبيل الاستعارة فإن الإرادة في المحدثات بمعنىٰ الميل، .

* * *

س: هل يجوز لشخص أن يُصلح مال غيره دون إذن من صاحب المال إذا كان هذا المال سيتعرض للتلف؟

ج: استدل بعض العلماء لجواز ذلك بفعل الخضر في السفينة وبفعله في الجدار، فقد أقام الجدار دون أن يستأذن أصحابه .

وأيضًا قد قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وذكر النبي ﷺ في حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن أحدهم قال: اللهم إن كنتَ تعلم أنه كان لي أجير عمل لي علىٰ فرق من أَرَز، فذهب وتركه، وأني عمدْتُ إلىٰ ذلك الفرق فزرعتُه، فصار من أمره أني اشتريتُ منه بقراً، وأنه أتاني يطلب أجرَه، فقلتُ له: اعمدْ إلىٰ تلك البقرِ فسُقْها، فقال لي: إنما لي عندك فرَق من أرز، فقلتُ له: اعمد إلىٰ تلك البقر فإنها من ذلك الفرَق فساقها، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنَّا، فانساخَت عنهم الصخرة[1] .

وقال السعدي رحمه الله تعالى: في الفوائد المستنبطة من هذه القصة

(١) البخاري (٣٤٦٥) ومسلم (٢٧٤٣).

ومنها : القاعدة الكبيرة أيضًا وهي أن : عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة ، أنه يجوز ، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير، كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غصب الملك الظالم، فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما، في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال ، أو هدم بعض الدار، فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان بل شرع له ذلك، حفظًا لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال ، افتداء للباقي، جاز ولو من غير إذن .

❊ ❊ ❊

س: هل من يمتلك سفينة قد يُعدُّ مسكينًا؟ وهل قد تجوز عليه الزكاة؟

ج: نعم يُعدُّ من يمتلك سفينةً مسكينًا، وذلك في حالة ما إذا كان يمتلك سفينة دخلها لا يكفيه ولا يكفي أولاده وأهله، فيعدُّ حينئذٍ مسكينًا ومن ثمَّ فهو من مصارف الزكاة، إذ الله قال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠] الآية .

❊ ❊ ❊

س: ما المراد بقوله: ﴿ ورائهم ﴾ [الكهف: ٧٩] ؟

ج: ذهب فريقٌ من أهل العلم إلى أن المراد بالوراء هنا الأمام .

قال الطبري رحمه الله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩] وكان أمامهم وقدَّامهم ملك .

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: قال : كان في القراءة «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا» .

قال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] وكان أمامهم وقدامهم ملك .

وأورد بسند صحيح عن قتادة أنه قال كان في القراءة : (وكان أمامهم ملك يأخذ كلَّ سفينةٍ غصبا) .

ثم قال الطبري رحمه الله : وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب «وراء» من حروف الأضداد، وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر :

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعي وطاعتِي ... وَقَوْمِي تميمٌ وللفَلاةُ وَرَائِيا

بمعنى أمامي ، وقد أغفل وجه الصواب في ذلك . وإنما قيل لما بين يديه : هو ورائي، لأنك من ورائه، فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك، فصار : إذا كان ملاقيك، كأنه من ورائك وأنت أمامه وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك : هو ورائي، ولا إذا كان وراءك أن يقال : هو أمامي ، ويقول : إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والأزمنة كقول القائل : وراءك برد شديد، وبين يديك حرٌّ شديد، لأنك أنت وراءه، فجاز لأنه شيء يأتي، فكأنه إذا لحقك صار من ورائك، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك . قال : فلذلك جاز الوجهان .

* * *

س: إذا كان الملك: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] فما فائدة الخرق إذن، وهو يأخذ كل السفن؟

ج: أجاب على ذلك بعض العلماء بما حاصله أن الملك كان يأخذ كل سفينةٍ صالحةٍ غصبًا، فالذي يأخذه الملك إنما هو الصالح من السفن، وأوردوا من القراءات ما يشهد لذلك فذكر البعض أن هناك قراءة (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) فالله أعلم بصحة ذلك .

س: قد نرى نحن البشر الخير في شيء وهو يحمل كل الشر، وقد نرى الشر في شيءٍ وهو يحمل لنا كل خير، فالله يعلم ونحن لا نعلم، دلِّل على ذلك؟

ج: نعم، وعلىٰ ذلك أدلة كثيرة:

قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال تعالىٰ في شأن النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وها هو الخضر يخرق السفينة، والمشاهد يرىٰ أن هذا إتلاف ولكنه دفع لشر عظيم ألا وهو مصادرتها.

وكذا الأمر في قتل الغلام، وكذا في إقامة الجدار.

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم وصاحب جريج ....» فذكر الحديث وبينا صبي يرضع من أمه فمرَّ رجل راكب علىٰ دابة فارهة[٢] وشارة[٣] حسنة: فقالت أمه: اللهمَّ! اجعل ابني مثل هذا. فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه. فقال: اللهم! لا تجعلني مثلهُ ثُمَّ أقبلَ علىٰ ثديه فجعل يرتضعُ.

قال: فكأني أنظرُ إلىٰ رسول اللهِ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٦٦ومع الفتح ٦/ ٥١١)، ومسلم (ص١٩٧٧).

(١) فارهة: الفارهة النشيطة الحادة القوية وقد فرهت فراهة وفراهية.

(٢) وشارة: الشارة الهيئة واللباس.

فمه . فجعل يمصُّها ، قال: ومروا بجارية وهم يضربُونها ويقولونَ: زنيتِ. سرقت، وهي تقولُ : حسبي الله ونعمَ الوكيل . فقالت أمهُ: اللهم ! لا تجعل ابني مثلَهَا . فترك الرَّضاعَ ونظرَ إليهَا، فقال : اللهُمَّ! اجعلْني مثلها . فهنَاك ترَاجعَا الحديث[١] فقالت : حلقى[٢] ! مرَّ رجلٌ حسن الهيئة فقلتُ : اللهمَّ! اجعل ابني مثلهُ فقلت : اللهمَّ لا تجعلني مثله، ومرُّوا بهذهِ الأمَة وهُمْ يضربونها ويقُولُونَ : زنيتِ. سرقْتِ فقلتُ: اللهم! لا تجعلِ ابني مثلَهَا . فقلت : اللهم ! اجعلني مثلها[٣]

قال: إن ذاك الرجل كان جباراً. فقلت: اللهم ! لا تجعلني مثله. وإن هذه يقولون لها : زنيت ولم تزن. وسرقت ولم تسرق. فقلت: اللهم ! اجعلني مثلها .

* ومن ذا الذي يتوقع أن فرعون وهو يحشر الناس لمشاهدة السحرة ومتابعتهم وهم يلاقون موسى يوم الزينة! أن فرعون إنما يجمع الناس لفضيحته وإظهار نبوة موسى عليه السلام!

ومن ذا الذي كان يتوقع أن فرعون وهو يُجيش الجيوش ويعد العدد إنما يعدهم لهلاكهم وهلاكه وإغراقهم وإغراقه!!

فالحمد لله رب العالمين .

* * *

س: هل تقتل الأنفس بناء على الخوف من شيء قد يصدر منها؟

ج: لا تقتل الأنفس بناء على ذلك .

---

(١) تراجعا الحديث : معناه أقبلت على الرضيع تحدثه وكانت أولاً ، لا تراه أهلاً للكلام فلما تكرر منه الكلام علمت أنه أهل له فسألته وراجعته .

(٢) حلقى : أي أصابه الله تعالى بوجع في حلقه .

(٣) مثلها : أي سالمًا من المعاصي كما هي سالمة .

س: إذن فلماذا قتل الخضر الغلام؟

ج: قتله لأن الله أمره بذلك، فقد قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] ثم إن الله عزَّ وجل أعلم بالعباد، وربنا سبحانه وتعالىٰ عليهم حكيم رحيم.

وقد قال النبي ﷺ: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً**».

هذا، وقد أخرج مسلم[١] رحمه الله تعالىٰ من طريق يزيد بن هرمز، أن نجدة كتب إلىٰ ابن عباس يسأله عن خمس خلال، فقال ابن عباس: لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه[٢] كتب إليه نجدة: أما بعد. فأخبرني هل كان رسولُ الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وهل كان يضربُ لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتىٰ ينقضي يُتْمُ اليتيم؟ وعن الخمس لمن هوَ؟ فكتب إليه ابن عباس: كتبت تسألني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزُو بهن فيُداوين الجرحىٰ ويُحذَين[٣] من الغنيمة. وأما بسهمٍ، فلم يضرب لهن وإن رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان. وكتبت تسألني: متىٰ ينقضي يُتم اليتيم[٤] فلعمري إن الرجل لتنبتُ لحيتهُ وإنه لضعيفُ الأخذ لنفسه، ضعيفُ العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ[٥] فقد ذهب عنه اليتمُ، وكتبت تسألني عن الخُمس لمن هُو؟ وإنَّا كنا نقولُ هو لنَا، فأبىٰ علينَا قومُنا ذاك.

---

(١) مسلم (حديث ١٨١٢).

(٢) لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه: يعني إلىٰ نجدة الحروري من الخوارج معناه أن ابن عباس يكره نجدة لبدعته، وهي كونه من الخوارج الذين يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ولكن لما سأله عن العلم لم يمكنه كتمه فاضطر إلىٰ جوابه وقال: لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه أي: لولا أنني إذا تركت الكتابة أصير كاتمًا للعلم مستحقًا لوعيد كاتمه، لما كتبت إليه.

(٣) ويُحذين: أي يعطين الحُذوة وهي العطية وتسمىٰ الرضخ والرضخ العطية القليلة.

(٤) متىٰ ينقضي يتم اليتيم: أي متىٰ ينتهي حكم يتمه أما نفس اليتم فينقضي بالبلوغ.

(٥) فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ: أي: فإذا صار حافظًا لما له عارفًا بوجوه أخذه وعطائه.

وفي رواية أخرىٰ عند مسلم أيضًا أن ابن عباس كتب إلىٰ نجدة فقال له: وكتبت تسألني عن قتل الولدان ؟ وإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم، وأنت فلا تقتُلهم إلا أن تعلم منهُم ما علمَ صاحب موسىٰ من الغلام الذي قتلهُ.

* * *

س: ما المراد بالكنز في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾؟

ج: من العلماء من قال: إن الكنز هنا كنزُ علمٍ، أي: أنها صحف فيها علم، وقد صح نحو ذلك عن سعيد بن جبير [١]، فقال: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] قال: علم.

وقال آخرون من أهل العلم: ، بل كان مالاً مكنوزًا، وقد صح عن عكرمة [٢] أنه قال: كنز مالٍ.

قال الطبري رحمه الله: وأولىٰ التأويلين في ذلك بالصواب: القول الذي قال عِكْرمة ؛ لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز، فإن التأويل مصروف إلىٰ الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلىٰ غير ذلك، لعلل قد بيَّناها في غير موضع.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ [الكهف: ٧٧] يُفيد أنها قرية وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [الكهف: ٨٢] يفيد أنها مدينة فكيف الجمع؟

ج: الجمع أن يُقال إن المراد بالقرية هنا مجموعة البيوت المستقرة فبهذا

(١) أخرج ذلك عنه الطبري (أثر ٢٣٢٥٩).
(٢) الطبري (أثر ٢٣٢٦٧).

التعريف يندفع الإشكال، فالمدينة أيضًا بيوتها مستقرة.

وقد قال الله تعالى في شأن مكة: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢] وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

قال القاسمي رحمه الله:

في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة؛ لأنه قال أولاً: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: ٨٢] وقال ها هنا: ﴿فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣]، ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: مكة والطائف.

* * *

س: اذكر ما يدل على انتفاع الأبناء بصلاح الآباء.

ج: من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

* ثم إن العباد الصالحين يواصلون الدعاء لأبنائهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤] وكذلك يقول قائلهم: «وأصلح لي في ذريتي»، فلتقواهم يتقبل الله دعاهم إذ الله قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. [المائدة: ٢٧].

وكذا لطيب طعامهم وشرابهم يتقبل الله منهم، أما غيرهم فقد ذكر النبي ﷺ: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له؟!**»(١).

وأيضًا فانتفاع الأبناء بصلاح الآباء مستمر إلى الآخرة ما دام الأولاد على الإسلام والآباء كذلك، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ [الطور: ٢١].

* * *

س: اذكر من قصة موسى مع الخضر ما يدل على استحباب خدمة الصالحين؟

ج: ذلك مأخوذ من إقامة الخضر للجدار، وذلك خدمة لليتيمين أبناء الرجل الصالح، والله تعالى أعلم.

وفي هذا الباب قول أبي بكر لعليٍّ رضي الله عنهما: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليَّ أن أصل من قرابتي(٢).

وقول أبي بكر رضي الله عنه أيضًا: «ارقبوا محمداً في أهل بيته»(٣).

ومن ذلك ما أخرجه مسلم(٤) في «صحيحه»:

من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصب في

---

(١) مسلم (حديث ١٠١٥).

(٢) البخاري (رقم ٣٧١١) ومسلم (١٧٥٩).

(٣) البخاري (٣٧١٣).

(٤) مسلم (حديث ٢٤٣٥).

الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلىٰ خلائلها.

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»[1] بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال: حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن هشام، عن محمد بن سيرين قال: سئل أنس بن مالك عن خضاب رسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يكن شاب إلا يسيراً، ولكن أبا بكر وعمر بعده خضبا بالحناء والكتم، قال: وجاء أبو بكر بأبيه قحافة إلىٰ رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتىٰ وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه مكرمة لأبي بكر**».

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف: ٨٢] بمن؟

ج: رحمة من ربك باليتيمين.

* * *

س: ما وجه التخفيف في قوله: ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿ **ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ [الكهف: ٨٢]، أي: هذا تفسير ما ضقت به ذرعًا، ولم تصبر حتىٰ أخبرك به ابتداء، ولما أن فسره له وبينه، ووضحه وأزال المشكل، قال: ﴿ **تَسْطِع** ﴾ [الكهف: ٨٢]وقبل ذلك كان الإشكال قويًا ثقيلاً فقال: ﴿ **سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ [الكهف: ٨٢] فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال: ﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ** ﴾ [الكهف: ٨٢] وهو الصعود إلىٰ أعلاه ﴿ **وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا** ﴾ [الكهف: ٩٧] وهو أشق من ذلك، فقابل كلاً بما يناسبه لفظًا ومعنىٰ، والله أعلم.

---

(١) أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٠).

س: هل الخضر كان نبيًّا أم وليًّا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه نبي، وهو قول جمهور العلماء، نقله عنهم غير واحد فقد قال القرطبي العبد هو الخضر عليه السلام في قول جمهور العلماء.

وقال الحافظ في «الفتح»: وحكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟

وقالت طائفة منهم القشيري: هو ولي.

قلت (مصطفى): الوارد في كتاب الله عز وجل: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

فإذا فُسرت الرحمة بالنبوة، فقد تم الاستدلال لمن قال بنبوته وإلا فيستدل للقائلين بنبوته بل ورسالته أيضًا بقول الخضر ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] مع قول الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وهذه طائفة من أقوال أهل العلم في ذلك.

قال القرطبي رحمه الله:

والخضر نبي عند الجمهور.

وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي، وأيضًا فإن الإنسان لا يتعلم ولا يَتَّبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي.

وقيل: كان مَلَكًا أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن.

والأول الصحيح ؛ والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] أي: هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي: لكني أُمرت به، ووُقِّفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر ـ عليه السلام ـ مع ما تقدم من قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وقال آخرون: كان رسولاً.

وقيل: بل كان ملكًا. نقله الماوردي في «تفسيره».

وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبيًّا، بل كان وليًّا، فالله أعلم.

وقال السعدي في «تفسيره»: (في الفوائد المستنبطة من القصة المباركة).

ومنها: أن ذلك العبد الذي لقياه، ليس نبيًّا، بل عبدًا صالحًا، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منَّة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيًّا لذكر ذلك، كما ذكره غيره.

وأما قوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]. ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨]

وقد تعقبه المعلق بقوله:

قوله: «فإنه لا يدل على أنه نبي ... إلخ» سبق أن قلنا: إن التحقيق أنه

نبي، وتزيد هنا ما قاله أبو السعود في «تفسيره» ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ التنكير للتفخيم، والإضافة للتشريف والجمهور على أنه الخضر واسمه بليا ابن ملكان. وقيل اليسع، وقيل: إلياس عليهم الصلاة والسلام، ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥] وهي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] خاصًا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب. اهـ.

ونزيد ثانيًا أن الله قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] فلما أظهر الخضر على علم الغيب دل على أنه رسول بنص الآية التي ذكرناها لأنه تعالى خصص إظهار علم الغيب وحصره في المرسلين وغيرهم لا يطلعه على شيء من علم الغيب وتنظير المؤلف ما أوحاه الله إلى الخضر بالوحي إلى النحل، وبالوحي إلى أم موسى بعيد كل البعد عن مسألة الخضر، فإن الوحي إلى النحل وإلى أم موسى ليس من الأمور الغيبية حتى يستقيم التنظير.

* * *

س: هل الخضر ما زال حيًّا؟

ج: لم أقف على خبر صريح في ذلك عن رسول الله ﷺ وقد ذهب إلى أنه قد مات عدد من أهل العلم، بينما ذهب الأكثرون إلى أنه حيٌّ، وكما ذكرت فلم أقف لمن قال بأنه حيٌّ على خبرٍ صحيح عن رسول الله ﷺ

أما الذين قالوا بوفاته فاستدلوا بأدلة منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وبقول النبي ﷺ لما خطب أصحابه بعد العشاء: «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد**»(١).

وبأنه لو كان حيًّا لتبع النبي ﷺ وقد قال النبي ﷺ يوم بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»(٢).

كانت هذه بعض أدلة القائلين بوفاته، أما الذين قالوا بأنه حيٌّ فأوردوا أخبارًا واهية وآثارًا لا تقوم بها حجة، ولا يخلو أغلبها من مقال وهذه بعض

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٠١) ومسلم (حديث ٢٥٣٧) من حديث عبد الله بن عمر قال: صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام النبي ﷺ فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» فوهلَ الناس(*) في مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وإنما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض» يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن.
وعند مسلم (**) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول قبل أن يموت بشهر: «تسألوني عن الساعة، وإنما علمُها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسةٍ تأتي عليها مائة سنة».
وعنده أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (***) لما رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك سألوه عن الساعة فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفسٌ منفوسةٌ اليوم».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(*) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري٢/ ٧٥) قوله: (عن مائة سنة) لأن بعضهم كان يقول: إن الساعة تقوم عندما تنقضي مائة سنة كما روى ذلك الطبراني وغيره من حديث أبي مسعود البدري ورد ذلك عليه علي بن أبي طالب وقد بين ابن عمر مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث، وأن مراده أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن، فلا يبقى أحد ممن كان موجودًا حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودًا حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتًا وغاية ما قيل فيه إنه بقي إلى سنة عشر ومائة، وهي رأس مائة سنة من مقالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والله أعلم.

(**) مسلم (حديث ٢٥٣٨).

(***) مسلم حديث (٢٥٣٩).

الأقوال في ذلك:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ «فتح الباري»[١]

وقال ابن الصلاح: هو حي عند جمهور العلماء والعامة معهم في ذلك، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين.

وتبعه النووي وزاد أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر، انتهىٰ.

والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري وإبراهيم الحربي وأبو جعفر بن المنادي وأبو يعلىٰ بن الفراء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر ابن العربي وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد**»، قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه. وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذ علىٰ وجه البحر، أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق. ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ**﴾ [الأنبياء: ٣٤] وحديث ابن عباس: «ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلىٰ النبي ﷺ ولا قاتل معه، وقد قال ﷺ يوم بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» فلو كان الخضر موجوداً لم يصح هذا النفي وقال ﷺ: «**رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما**» فلو كان الخضر موجوداً لما حسن التمني، ولأحضره بين يديه وأراه العجائب، وكان أدعىٰ لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب.

---

(١) «فتح الباري (٦/ ٤٣٤) فما بعدها.

وجاء في اجتماعه مع النبي ﷺ حديث ضعيف أخرجه ابن عدي من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده : « أن النبي ﷺ سمع وهو في المسجد كلامًا فقال : يا أنس اذهب إلىٰ هذا القائل فقل له يستغفر لي ، فذهب إليه فقال : قل له إن الله فضلك علىٰ الأنبياء بما فضل به رمضان علىٰ الشهور قال : فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر» إسناده ضعيف . وروىٰ ابن عساكر من حديث أنس نحوه بإسناد أوهىٰ منه وروىٰ الدارقطني في « الأفراد» من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعًا : « يجتمع الخضر وإلياس كل عام في الموسم ، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ، ويفترقان عن هؤلاء الكلمات : بسم الله ما شاء الله » الحديث ، في إسناده محمد بن أحمد بن زيد بمعجمة ثم موحدة ساكنة وهو ضعيف وروىٰ ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيىٰ عن ابن أبي رواد نحوه وزاد « ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلىٰ قابل» وهذا معضل ورواه أحمد في الزهد بإسناد حسن عن ابن أبي رواد وزاد أنهما « يصومان رمضان ببيت المقدس » .

وروىٰ الطبري من طريق عبد الله بن شوذب نحوه وروىٰ عن علي أنه« دخل الطواف فسمع رجلاً يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع» الحديث فإذا هو الخضر ، أخرجه ابن عساكر من وجهين في كل منهما ضعف ، وهو في « المجالسة» من الوجه الثاني ، وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها واهي الإسناد منها ما أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي من حديث أنس : « لما قبض النبي ﷺ دخل رجل فتخطاهم - فذكر الحديث في التعزية - فقال أبو بكر وعلي : هذا الخضر» في إسناده عباد بن عبد الصمد وهو واهٍ ، وروىٰ سيف في الردة نحوه بإسناد آخر مجهول ، وروىٰ ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن علي نحوه ، وروىٰ ابن وهب من طريق ابن المنكدر : « أن عمر صلىٰ علىٰ جنازة ، فسمع قائلاً يقول : لا

تسبقنا ـ فذكر القصة ـ وفيها : أنه دعا للميت فقال عمر : خذوا الرجل فتوارىٰ عنهم، فإذا أثر قدمه ذراع، فقال عمر : هذا والله الخضر» في إسناده مجهول مع انقطاعه .

ورویٰ أحمد في الزهد من طريق مسعر عن معن بن عبد الرحمن عن عون بن عبد الله قال : بينا رجل بمصر في فتنة ابن الزبير مهمومًا إذ لقيه رجل فسأله فأخبره باهتمامه بما فيه الناس من الفتن فقال : قل اللهم سلمني وسلم مني قال : فقالها فسلم قال مسعر : يرون أنه الخضر ورویٰ يعقوب بن سفيان في تاريخه وأبو عروبة من طريق رياح بالتحتانية ابن عبيدة قال : رأيت رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً علىٰ يديه فلما انصرف قلت له من الرجل ؟ قال : رأيته ؟ قلت : نعم قال أحسبك رجلا صالحًا ذاك أخي الخضر بشرني أني سأولىٰ وأعدل، لا بأس» برجاله ولم يقع لي إلىٰ الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره وهذا لا يعارض الحديث الأول في مائة سنة فإن ذلك كان قبل المائة ورویٰ ابن عساكر من طريق كرز بن وبرة قال : أتاني أخ لي من أهل الشام فقال اقبل مني هذه الهدية إن إبراهيم التيمي حدثني قال : كنت جالسًا بفناء الكعبة أذكر الله فجاءني رجل فسلم علي فلم أر أحسن وجها منه ولا أطيب ريحًا ، فقلت : من أنت ؟ فقال أنا أخوك الخضر قال فعلمه شيئًا إذا فعله رأىٰ النبي ﷺ في المنام، وفي إسناده مجهول وضعيف .

ورویٰ ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح أنه رأىٰ وهو شاب رجلاً نهاه عن غشيان أبواب الأمراء ، ثم رآه بعد أن صار شيخًا كبيراً علىٰ حالته الأولىٰ فنهاه عن ذلك أيضًا ، قال فالتفت لأكلمه فلم أره، فوقع في نفسي أنه الخضر ورویٰ عمر الجمحي في «فرائده» والفاكهي في « كتاب مكة» بسند فيه مجهول عن جعفر بن محمد أنه رأىٰ شيخًا كبيراً يحدث أباه ثم ذهب فقال له أبوه رُدَّه علي ، قال فتطلبته فلم أقدر عليه ، فقال لي أبي :

ذاك الخضر . وروىٰ البيهقي من طريق الحجاج بن قرافصة أن رجلين كانا يتبايعان عند ابن عمر ، فقام عليهم رجل فنهاهما عن الحلف بالله ووعظهم بموعظة ، فقال ابن عمر لأحدهما : اكتبها منه ، فاستعاده حتىٰ حفظها ثم تطلبه فلم يره ، قال : وكانوا يرون أنه الخضر

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قالوا: وكان يكنىٰ أبا العباس، ويلقب بالخضر، وكان من أبناء الملوك. ذكره النووي في «تهذيب الأسماء» ، وحكىٰ هو وغيره في كونه باقيًا إلىٰ الآن ثم إلىٰ يوم القيامة - قولين، ومال هو وابن الصلاح إلىٰ بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثارًا عن السلف وغيرهم ، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية، وإسناده ضعيف.

ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك، واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ**﴾ [الأنبياء: ٣٤] وبقول النبي ﷺ يوم بدر : «**اللهم؛ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» وبأنه لم ينقل أنه جاء إلىٰ رسول الله ﷺ (ولا حضر عنده، ولا قاتل معه، ولو كان حيًّا لكان من أتباع النبي ﷺ) وأصحابه؛ لأنه - عليه السلام - كان مبعوثًا إلىٰ جميع الثقلين الجن والإنس، وقد قال: «**لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي**» وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقىٰ ممن هو علىٰ وجه الأرض ، إلىٰ مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف، إلىٰ غير ذلك من الدلائل.

س: من قصة موسى مع الخضر يؤخذ أصلٌ وهو ارتكاب أخف الضررين ودرء أعظم المفسدتين، دلل على ذلك بأدلة من قصة الخضر ومن غيرها..؟

ج: أما قصة موسىٰ مع الخضر فمنها ما يلي :

* خرق السفينة لحفظها من الاغتصاب .

فالخرق ضررٌ، واغتصابها ضررٌ أعظم،

فحتىٰ لا تغتصب السفينة خرقها الخضر .

وأيضًا قتل الغلام لدفع الفتنة فتنة الكفر عن والديه فالقتل فيه من إدخال الحزن علىٰ الوالدين ما فيه وتكفير الوالدين فتنة أعظم من حزنهما .

ومن غير قصة موسىٰ مع الخضر :

مسألة الخلع فرد المرأة للصداق فيه ضرر عليها ، فإضاعة المال ضرر ، ولكن عدم إقامتها لحدود الله مع زوجها ضرره أعظم .

فاختارت أخف الضررين ، وهو افتداء نفسها برد الصداق الذي أخذته وكافتداء صهيب بماله وتركه لأهل الكفر حتىٰ لا يحولوا بينه وبين الهجرة ولذلك صور كثيرة جدًّا، فعلىٰ سبيل المثال رأيت رجلاً ظالمًا يطاود آخر مظلومًا يريد قتله، وأنت توقن تمام اليقين بذلك ، فاختفىٰ عندك المظلوم وجاءك الظالم يسأل: أدخل فلان عندك؟ فإن قلت دخل عندي فسيدخل ويقتله وإن قلت لم يدخل فقد وقعت في الكذب!

فأي الضررين أخف، الظاهر والله أعلم أن الكذب أخف الضررين، فإن ارتكب لدفع القتل عن المقتول ولنصرة الظالم بمنعه من الظلم، فهذا أقرب للتقوىٰ، والله أعلم .

قال السعدي رحمه الله تعالى: في الفوائد المستنبطة من القصة .

ومنها: القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه : «يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير» ويراعىٰ أكبر المصلحتين ، بتفويت أدناهما . فإن قتل الغلام شر ، ولكن بقاءه حتىٰ يفتن أبويه عن دينهما أعظم شرًّا منه . وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته ، وإن كان يظن أنه خير ، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانهما

خير من ذلك ، فلذلك قتله الخضر ، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، ما لا يدخل تحت الحصر ، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها داخل في هذا.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ (١) :

وأما من استدل به علىٰ جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما ، والإغضاء علىٰ بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد (وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه كخصاء البهيمة للسمن وقطع أذنها لتتميز ، ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان علىٰ بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه فصحيح ، ولكن فيما لا يعارض منصوص الشرع ، فلا يسوغ الإقدام علىٰ قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفسًا كثيرة قبل أن يتعاطىٰ شيئًا من ذلك ، وإنما فعل الخضر ذلك لاطلاع الله تعالىٰ عليه .

❊ ❊ ❊

س: ما الحكم فيمن يرفضون أحكام الشريعة ويعملون بما تُمليه عليهم أهواؤهم؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قال شيخنا الإمام أبو العباس : ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلىٰ سلوك طريق تلزم منه هذه الأحكام الشرعية ، فقالوا : هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها علىٰ الأنبياء والعامة ، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلىٰ تلك النصوص ، بل إنما يزاد منهم ما يقع في قلوبهم ، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم وقالوا : وذلك لصفاء قلوبهم عن

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤٢٢) .

الأكدار، وخلوها عن الأغيار ، فتتجلىٰ لهم العلوم الإلهية ، والحقائق الربانية، فيقفون علىٰ أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات ، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر ؛ فإنه استغنىٰ بما تجلىٰ له من العلوم ، عما كان عند موسىٰ من تلك الفُهوم وقد جاء فيما ينقلون : استفت قلبك وإن أفتاك المفتون .

قال شيخنا رضي الله عنه: وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب ؛ لأنه إنكار ما عُلم من الشرائع ، فإن الله تعالىٰ قد أجرىٰ سنته ، وأنفذ حكمته ، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه ، المبينون شرائعه وأحكامه؛ اختارهم لذلك ،وخصهم بما هنالك؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالىٰ : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، إلىٰ غير ذلك من الآيات وعلىٰ الجملة فقد حصل العلم القطعي ، واليقين الضروري، واجتماع السلف والخلف علىٰ أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالىٰ التي هي راجعة إلىٰ أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، فمن قال: إن هناك طريقًا آخر يُعرَف بها أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغني عن الرسل فهو كافر ، يُقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلىٰ سؤال ولا جواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول . وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن ما يقع في حكمة لله تعالىٰ وأنه يعمل بمقتضاه ، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلىٰ كتاب ولا سنة ، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، فإن هذا نحو ما قاله عليه الصلاة والسلام : «**إن روح القدس نفث في رَوْعي**» الحديث.

س: ما وجه تذكير الله عز وجل نبيه ﷺ بقصة موسى والخضر؟

ج: وجه ذلك، والله تعالىٰ أعلم، لتصبير النبي ﷺ وإخباره بأن مآل الأمور معه ستكون إلىٰ خير إن شاء الله وإن حدث في الظاهر ما من شأنه أن يضايقك، وما من شأنه أن يؤذيك بعض الأذىٰ، إلا أنه دومًا تكون العاقبة للتقوىٰ فأيقن، وإن طردوك، وإن أخرجوك، وإن آذوك أن العاقبة للتقوىٰ، فكم من أمور ظواهرها المكروه والشر، ولكنها تحمل للمسلم كل خير، ومن ثمَّ فلا تضجر أيها الرسول ولا تستعجل، فالله يعلم ونحن لا نعلم، ويقدر ونحن لا نقدر.

قال الطبري رحمه الله تعالىٰ:

وهذه القصص التي أخبر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بها عن موسىٰ وصاحبه، تأديب منه له، وتقدم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزءوا به وبكتابه، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترىٰ الأعين، بما قد يجري مثله أحيانًا لأوليائه، فإن تأويله صائر بهم إلىٰ أحوال أعدائه فيها كما كانت أفعال صاحب موسىٰ واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسىٰ، إذ لم يكن عالمًا بعواقبها وهي ماضية علىٰ الصحة في الحقيقة وآئلة إلىٰ الصواب في العاقبة ينبئ عن صحة ذلك قوله: ﴿**وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً**﴾ [الكهف:٥٨]، ثم عقب ذلك بقصة موسىٰ وصاحبه، يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين، بغير نظر منه لهم، وإن كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم، نظراً منه لهم، لأن تأويل ذلك صائر إلىٰ هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم.

س: اذكر مجمل ما ورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث في شأن قصة موسى مع الخضر عليهما السلام؟

ج: مجمل ذلك في حديثين أخرج البخاري ومسلم لفظ واحدٍ منهما، وانفرد مسلم بسياق الآخر وها هما الحديثان:

أخرج البخاري ومسلم [١] من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال قلتُ لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسىٰ عليه السلام، صاحب بني إسرائيل ليس هو موسىٰ صاحب الخضر، عليه السلام فقال كذب عدو الله[٢] سمعت أبي بن كعب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قام موسى عليه السلام خطيبًا في بني إسرائيل فسئلَ: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلمُ، قال فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه: أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين [٣] هو أعلم منك قال موسى: أي رب! كيف لي به؟ فقيل لهُ: احمل حوتًا [٤] في مكتل،[٥] فحيث تفقدُ[٦] الحوتَ فهو ثمَّ[٧] فانطلق وانطلق معه فتاهُ[٨] وهو يُوشَع بن نون فحمل موسى، عليه السلام حوتًا في مكتل وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا**

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٠) ومسلم (حديث ٢٣٨٠).

(٢) (كذب عدو الله) قال العلماء: هو علىٰ وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله. لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة إنما قاله مبالغة في إنكار قوله لمخالفته قول رسول الله ﷺ وكان ذلك في حال غضب ابن عباس لشدة إنكاره وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تراد بها حقائقها.

(٣) (بمجمع البحرين) قال القسطلاني: أي ملتقىٰ بحري فارس والروم من جهة الشرق أو بإفريقية أو طنجة.

(٤) حوتًا: الحوت السمكة. وكانت سمكة مالحة، كما صرح به في الرواية الثانية

(٥) مكتل: هو القفة والزنبيل.

(٦) تفقد: أي: يذهب منك، يقال فقده وافتقده

(٧) فهو ثم: أي هناك.

(٨) فتاه: أي صاحبه.

الصخرة فرقد موسى عليه السلام وفتاه، فاضطرب الحُوت في المكتلِ، حتَّى خَرَجَ من المكتل، فسقط في البحر، قال وأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق(١)، **فكان للحوت سَربًا، وكان لموسى وفتاهُ عجبًا فانطلقا بقية يومهما وليلتهما**(٢) ونسِي صاحبُ موسىٰ أن يخبرهُ، فلما أصبح موسىٰ، عليه السلام، قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا(٣) قال: ولم ينصب حتَّىٰ جاوز المكان الذي أمرَ به قال: أرأيت إذ أوينَا إلىٰ الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبًا(٤) قال مُوسىٰ: ذلك ما كنا نبغي (٥) فارتدا علىٰ آثارهما قصصًا.، قال: يقصان آثارهما حتىٰ أتيا الصخرة فرأىٰ رجلاً مُسجىٰ(٦) عليه بثوب فسلم عليه موسىٰ. فقال له الخضر: أنىٰ بأرضكَ السَّلامُ؟!(٧) قال: أنا مُوسىٰ قال مُوسىٰ بني إسرائيلَ؟

قال: نعم قال: إنك علىٰ علم من علمِ الله علمكهُ الله لا أعلمهُ. وأنا علىٰ علم من علمِ الله علمَنيه لا تعلمهُ قال له مُوسىٰ، عليه السلام: هل أتبعكَ علىٰ أن تُعلمني مَّما عُلمت رشدًا؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبراً،

---

(١) الطاق: عقد البناء: وجمعه طيقان وأطواق. وهو الأزج وما عقد أعلاه من البناء، وبقىٰ ما تحته خاليا.

(٢) وليلتَهما: ضبطوه بنصب ليلتهما وجرها.

(٣) نصبا: النصب التعب.

(٤) واتخذ سبيله في البحر عجبا: قيل إن لفظة عجبا يجوز أن تكون من تمام كلام يوشع وقيل: من كلام موسىٰ: أي قال موسىٰ: عجبت من هذا عجبا. وقيل: من كلام الله تعالىٰ. ومعناه اتخذ موسىٰ سبيل الحوت في البحر عجبًا.

(٥) نبغي: أي نطلب، معناه أن الذي جئنا نطلبه هو الموضع الذي نفقد فيه الحوت.

(٦) مسجىٰ: أي: مغطىٰ.

(٧) أنَّى بأرضك السلام: أي: من أين السلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السلام قال العلماء: أنىٰ تأتي بمعني أين ومتىٰ وحيث وكيف.

وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ؟! قال : ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً .

قال له الخضرُ : فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً .

قال : نعم .

فانطلق الخضر ومُوسى يمشيان على ساحل البحر . فمرت بهما سفينة فكلماهُم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نولٍ،[1] فعمد الخضر إلى لوح من ألواحِ السفينة فنزعه .

فقال له موسَى : قوم حملونَا بغير نوْلٍ ، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها . لقد جئت شيئًا إمراً[2] .

قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟!

قال : لا تؤاخذنِي بما نسيتُ ولا تُرهقني من أمري عُسراً[3] .

ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه ، فاقتلعه بيده فقتله .

فقال مُوسى : أقتلت نفساً زاكية[4] بغيرِ نفسٍ[5] لقد جئت شيئًا نكراً[6]؟!

قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟

قال - وهذه أشد من الأولى - قال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا

---

(١) بغير نول : أي بغير أجر ، والنول والنوال العطاء .

(٢) إمرا : أي عظيمًا .

(٣) ولا ترهقني من أمري عسراً : قال الإمام الزمخشري : يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسرا من أمري . وهو اتباعه إياه يعني ولا تُعسر عليّ متابعتك ويسِّرها عليَّ بالإغضاء وترك المناقشة

(٤) زاكية : قرئ في السبع زاكية وزكية . قالوا : ومعناه طاهرة من الذنوب .

(٥) بغير نفس : أي بغير قصاص لك عليها .

(٦) نكرا : النكر هو المنكر .

تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً[١] .

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض[٢] فأقامه يقول مائل قال الخضرُ بيده هكذا[٣] فأقامه .

قال له موسى : قوم أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا ، لو شئت لتخذت عليه أجراً ! !

قالَ : هذا فراقُ بيني وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً . . .

قال رسول الله ﷺ : **«يرحم الله موسى لوددت أنه صبرَ حتى يقص علينا من أخبارهما»** .

قال : وقال رسول الله ﷺ : **«وكانت الأولى من موسَى نسيانًا»** قال : **«وجاء عُصفورٌ حتى وقع على حرف السفينة. ثمَّ نقر في البحر فقال له الخضر: ما نقصَ علمي وعلمُك[٤] من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر»** .

قال سعيد بن جبير : ـ وكان يقرأ ـ : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا وكان يقرأ : وأما الغلام فكان كافراً .

---

(١) قد بلغت من لدني عذراً : معناه قد بلغت إلى الغاية التي تعذر بسببها في فراقي .

(٢) فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض : هذا من المجاز لأن الجدار لا يكون له حقيقة إرادة ومعناه قرب من الانقضاض ، وهو السقوط .

(٣) قال الخضر بيده هكذا : أي أشار بيده فأقامه وهذا تعبير عن الفعل بالقول وهو شايع .

(٤) ما نقص علمي وعلمك : قال العلماء : لفظ النقص هنا ليس على ظاهره وإنما معناه أن علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى كنسبة ما نقره هذا العصفور إلى ماء البحر وهذا على التقريب إلى الأفهام وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر

هذه التعليقات من تعليقات الشيخ فؤاد علي مسلم .

وفي رواية لمسلم[١] من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: قيل لابن عباس: إن نوفًا يزعم أن موسىٰ الذي ذهب يلتمس العلم ليس بموسىٰ بني إسرائيل قال: أسمعته يا سعيد! قلت: نعم قال: كذب نوف

* * *

حدثنا أُبيُّ بن كعب قالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «إنه بينما مُوسى عليه السلامُ في قومِه يُذكِّرُهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه وبلاؤه إذ قال: ما أعلمُ في الأرض رجلاً خيرًا أو أعلم مني، قال فأوحى الله إليه إني أعلم بالخير منه أو عند من هو إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك.

قال: يا رب فدلُني عليه. قال: فقيل له: تزود حُوتًا مالحًا، فإنهُ حيثُ تفقد الحوت قال فانطلق هُو وفتاه حتى انتهيا إلى الصخرة فعُمي عليه فانطلق وترك فتاهُ فاضطرب الحُوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه صار مثل الكوَّة[٢] قال: فقال فتاهُ: ألا ألحق نبيَّ الله فأخبرهُ قالَ: فنسِّيَ.

فلما تجاوزا قال لفتاهُ: آتنا غدائنَا لقد لقينا من سفرنَا هذا نصبًا. قال ولم يُصبُهم نصبٌ حتى تجاوزا، قال: فتذكر، قال: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحُوتَ ومَا أنسَانيهُ إلا الشيطان أن أذكُرهُ واتخذَ سبيلهُ في البحر عجبًا، قالَ: ذلك ما كُنَّا نبغي فارتدَّا على آثارهما قصصًا فأرَاهُ مكانَ الحُوتِ قال: هَهنا وُصف لي.

قال: فذهبَ يلتمسُ فإذا هو بالخضرِ مُسجى ثوبًا، مستلقيًا على القفا أو قال على حلاوة القفا[٣] قال: السلام عليكم.

---

(١) مسلم (ص١٨٥٠).
(٢) الكوَّة هي الطاقة.
(٣) على حلاوة القفا: هي وسط القفا، ومعناه لم يمل إلى أحد جانبيه وهي بضم الحاء وفتحها وكسرها أفصحها الضم.

فكشف الثوبَ عن وجهه قال: وعليكم السلامُ من أنتَ؟ قال: أنا مُوسى ، قال : ومن مُوسى؟ قال: موسَى بني إسرائيل قال مجيء ما جاء بك[١]؟ قال: جئت لتعلمني مما علمتَ رشداً. قالَ إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبرُ على ما لم تحط به خبراً؟! شيء أمرت به أن أفعله إذا رأيته لم تصبر. قال:ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.

فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال: انتحى عليها[٢] قال لهُ موسى عليه السلامُ: أخرقتها لتغرق أهلها لقدجئت شيئًا إمراً قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيتُ ولا ترهقني من أمري عسراً.

فانطلقا حتى إذا لقيا غلمانًا يلعبون قال: فانطلق إلى أحدهم بادي الرأي[٣] فقتلهُ،فذعر عندها موسى عليه السلام ذعرة مُنكرة قال: «أقتلت نفسًا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئًا نكراً».

فقال رسولُ الله ﷺ، عند هذا المكان: «رحمةُ الله علينا وعلى مُوسى لولا أنه عجل لرأى العجبَ ولكنه أخذتهُ من صاحبِه ذمامة[٤]» .

قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني . قد بلغت من لدُني عذراً. ولو صبر لرأى العجب ـ.

قال : وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه «رحمة الله علينا وعلى أخي كذا رحمة الله علينا ـ.

---

(١) مجيء ما جاء بك : قال القاضي : ضبطناه مجيء مرفوع غير منون عن بعضهم وعن بعضهم منونًا قال : وهو أظهر أي أمر عظيم جاء بك .

(٢) انتحى عليها : أي : اعتمد على السفينة وقصد خرقها .

(٣) بادي الرأي : بالهمز وتركه فمن همزه معناه أول الرأي وابتداؤه أي انطلق إليه مسارعًا إلى قتله من غير فكر ومن لم يهمز فمعناه ظهر له رأي في قتله من البداء وهو ظهور رأي لم يكن قال القاضي ويمد البداء ويقصر .

(٤) أخذته من صاحبه ذمامة : أي حياء وإشفاق من الذم واللوم .

«فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية لئامًا فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يُريد أن ينقض فأقامه، قال: لو شئت لاتخذت عليه أجراً.

قال : هذا فراق بيني وبينك وأخذ بثوبه. قال: سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر إلى آخر الآية فإذا جاء الذي يُسخرُها وجدَها مُنخرقة فتجاوزها فأصلحُوها بخشبة وأما الغُلامُ فطبعَ يوم طبعَ كافراً وكان أبواهُ قد عطفًا عليه فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانًا وكفراً[1] فأردنا أن يبدلهُما ربهُما خيراً منه زكَاةً وأقرب رحُمًا[2] وأمَّا الجدارُ فكان لغُلامين يتيمين في المدينة وكان تحته » إلى آخر الآية.

* * *

(١) أرهقهما طغيانًا وكفراً: أي حملهما عليهما وألحقهما بهما والمراد بالطغيان ، هنا ، الزيادة في الضلال.

(٢) خيراً منه زكاة وأقرب رحما قيل: المراد بالزكاة الإسلام وقيل الصلاح وأما الرحم فقيل معناه الرحمة لوالديه وبرهما وقيل المراد يرحمانه.

۞ وَيَسْـَٔلُونَكَ

عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾
إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ

قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ

﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

سأتلو ـ ذكراً ـ مكنّا له ـ آتيناه ـ سبباً ـ فأتبع سبباً ـ مغرب الشمس ـ عين حمئة ـ تتخذ فيهم حسناً ـ نكراً ـ جزاءً الحسنى ـ يسراً ـ أحطنا بما لديه خبراً ـ السدين ـ يفقهون قولاً ـ يأجوج ومأجوج ـ خرجاً ـ سداً ـ ما مكني فيه ربي خير ـ فأعينوني بقوة ـ زبر الحديد ـ الصدفين ـ انفخوا ـ أفرغ ـ قطراً ـ اسطاعوا ـ يظهروه ـ نقباً ـ وعد ربي ـ دكاء ـ يومئذ ـ يموج ـ الصور ـ فجمعناهم جمعاً ـ عرضنا جهنم ـ غطاء عن ذكري ـ لا يستطيعون سمعاً ـ أولياء ـ أعتدنا ـ نزلاً ـ الأخسرين أعمالاً ـ ضل سعيهم ـ يحسبون ـ يحسنون صنعاً ـ حبطت أعمالهم ـ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ـ هزواً ـ حولاً ـ مداداً ـ لنفد البحر ـ مدداً ـ لقاء ربه؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ سَأَتْلُو ﴾	سأقص.
﴿ ذِكْرًا ﴾	خبراً.
﴿ مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾	وطّأنا له في الأرض ـ جعلناه متمكنًا في الأرض.

الكلمة	معناها
﴿ آتَيْنَاهُ ﴾	أعطيناه.
﴿ سَبَبًا ﴾	عِلمًا يتوصل به إلى المراد[1].
﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾	سلك طريقًا - اتبع منزلاً - أخذ ببعض ما أمدَّه اللَّه به وانطلق سائرًا.
﴿ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾	أقصى ما يمكن الوصول إليه من الأرض من ناحية غروب الشمس.
﴿ عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾	عين ذات طينة سوداء[2] - عين حارَّة.
﴿ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾	تسلك معهم طريقة فيها عفو وصفح وتعليم وإرشاد.
﴿ نُّكْرًا ﴾	شديدًا - عظيمًا - بليغًا.
﴿ الْحُسْنَى ﴾	الجنة - الأعمال الصالحة.
﴿ يُسْرًا ﴾	قولاً معروفًا.
﴿ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾	اطلعنا على ما عنده - علمنا أحواله وأحوال من يواجههم وأحوال ما يلقاه.
﴿ السَّدَّيْنِ ﴾	الجبلين.
﴿ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾	يفهمون حديثًا.

(١) وقد صحَّ ذلك عن قتادة عند الطبري، وقد يطلق السبب على الطريق، ومنه: ﴿لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات﴾[غافر: ٣٦، ٣٧]، وقد يطلق على الحبل ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾[الحج: ١٥].

(٢) والحمأ يُطلق على الطين، قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ [الحجر: ٢٦].

الكلمة	معناها
﴿ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾	قبيلتان مشهورتان بالفساد .
﴿ خَرْجًا ﴾	أجرًا - شيئًا مما تخرجه الأرض - أجرة على بناء السد .
﴿ سَدًّا ﴾	حاجزًا .
﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾	ما أعطانيه اللَّه خيرٌ من الذي تجمعونه وتعطونه لي .
﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾	أمدوني بالرجال الأقوياء وبالآلات اللازمة للعمل .
﴿ زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾	قطع الحديد .
﴿ الصَّدَفَيْنِ ﴾	جانبا الجبل ، وسميا بذلك لتصادفهما ، أي : تلاقيهما .
﴿ انفُخُوا ﴾	انفخوا في الكير - أجِّجوا عليه النار .
﴿ أُفْرِغْ ﴾	أصبُّ .
﴿ قِطْرًا ﴾	نُحاسًا ، وهذا على أرجح الأقوال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ [سبأ : ١٢] .
﴿ اسْطَاعُوا ﴾	استطاعوا .
﴿ يَظْهَرُوهُ ﴾	يصعدوا فوقه - يعلونه .
﴿ نَقْبًا ﴾	ثقبًا - خرقًا .
﴿ وَعْدُ رَبِّي ﴾	الوعد بخروج يأجوج ومأجوج - وقيل : قيام الساعة .
﴿ دَكَّاءَ ﴾	مستويًا مع الأرض - مدكوكًا .
﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾	يوم يدك السدُّ .

الكلمة	معناها
﴿يَمُوجُ﴾	يختلط .
﴿الصُّورِ﴾	قرن يُنفخ فيه .
﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾	جمعنا الأولين مع الآخرين ، وأحضرناهم للحساب .
﴿عَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾	أبرزنا جهنَّم وأظهرناها حتىٰ يرونها ويعاينوها .
﴿فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾	تغافلوا وتعاموا عن قبول الحق ـ في عمًى عن الحق والقرآن ، أي بمنزلة من وضع علىٰ عينيه غطاء .
﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾	لا يعقلون عن اللَّه أمره ونهيه ـ لا يفهمون .
﴿أَوْلِيَاءَ﴾	أنصار .
﴿أَعْتَدْنَا﴾	أعددنا ـ هيَّأنا .
﴿نُزُلًا﴾	منزلاً ـ ضيافةً .
﴿الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾	الذين خسروا أعمالهم ولم تتقبل منهم أعمالهم .
﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾	بطل عملهم .
﴿يَحْسَبُونَ﴾	يظنون .
﴿يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	يحسنون عملاً ـ يعملون أعمالاً تقربهم إلىٰ اللَّه .

الكلمة	معناها
﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾	ذهب ثوابها.
﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾	لا نثقل موازينهم بأعمال الخير - لا يَزِنونَ عند اللَّه جناح بعوضة.
﴿ هُزُوًا ﴾	سخرية واستهزاءً.
﴿ حِوَلاً ﴾	تحولاً - انتقالاً
﴿ مِدَادًا ﴾	حِبراً (المداد هو الحِبر).
﴿ لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾	لانتهى ماء البحر.
﴿ مَدَدًا ﴾	زيادة.
﴿ لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾	وجه ربه - ثواب ربه.

قصة ذي القرنين

س: هل صحَّ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣] سبب نزول؟

ج: تقدَّم في مطلع السورة الكريمة أنه قد ورد لذلك سبب نزول للسورة بما فيها هذه الآية، ولكنه لا يصحُّ.

* * *

س: هل ورد لذي القرنين خبرٌ في كتاب اللَّه عزَّ وجل في غير هذا الموطن؟

ج: لم يُذكر ذو القرنين في موطن آخر من كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ، إلا في هذه المواطن من سورة الكهف.

* * *

س: هل صحَّ في ذكر ذي القرنين خبرٌ عن رسول اللَّه ﷺ؟

ج: لم يصح في ذلك خبرٌ عن رسول اللَّه ﷺ - فيما علمت.

* * *

س: لماذا أطلق على ذي القرنين «ذو القرنين»؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

* منها: أثرٌ أخرجه الطبري(١) عن عليٍّ رضي اللَّه عنه، ولكنه غريبٌ، وفيه عن أبي الطفيل قال: سمعت عليًّا وسألوه عن ذي القرنين أنبيًّا كان؟

---

(١) الطبري أثر (٢٣٢٧٨)، وقد روي من وجوه عن عليٍّ بنحوه.

قال: كان عبداً صالحًا، أحبَّ اللَّهَ فأحبَّه، وناصح اللَّهَ فنصحه، فبعثه اللَّه إلىٰ قومه، فضربوه ضربتين في رأسه، فسمي ذا القرنين، وفيكم اليوم مثله.

* ومنها: ما ذكره بعض أهل العلم من أنه لُقِّب بذي القرنين؛ لأنه بلغ المشارق والمغارب.

* ومنها: أنه أطلق عليه ذلك لكونه ملك فارس والروم.

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه تعالى:

وبالجملة، فإن اللَّه تعالىٰ مكَّنه وملَّكه ودانت له الملوك، فرُوي أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران.

فالمؤمنان: سليمان بن داود، وإسكندر.

والكافران: نمرود وبختنصَّر.

وسيملكها من هذه الأمة خامس؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] وهو المهدي.

وقد قيل: إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه كان كريم الطرفين، من أهل بيت شريف من قِبَلِ أبيه وأمه.

وقيل: لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حيٌّ.

وقيل: لأنه كان إذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعًا.

وقيل: لأنه أعطي علم الظاهر والباطن.

وقيل: لأنه دخل الظلمة والنور.

وقيل: لأنه ملك فارس والروم.

* * *

س: هل كان ذو القرنين نبيًّا؟

ج: لم أقف في ذلك على خبرٍ ثابت عن رسول اللَّه ﷺ، أما عن الصحابة رضي اللَّه عنهم، فقد تقدَّم قول عليٍّ في ذلك، قال: كان عبدًا صالحًا، أحبَّ اللَّهَ، فأحبَّه اللَّهُ.

وفي رواية عن عليٍّ: كان عبدًا، ناصح اللَّهَ فناصحه.

أما قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٦] فيمكن حمله على أنه إلهام من اللَّه تعالى، كما نقله القرطبي عن القشيري، فقد نقل عنه أنه قال: إن كان نبيًّا فهو وحيٌ، وإن لم يكن نبيًّا فهو إلهامٌ، واللَّه تعالى أعلم.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

واختلفوا هل كان نبيًّا أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه كان نبيًّا، قاله عبد اللَّه بن عمرو، والضحاك بن مزاحم.

والثاني: أنه كان عبدًا صالحًا، ولم يكن نبيًّا ولا ملكًا، قاله عليٌّ رضي اللَّه تعالى عنه.

وقال وهب: كان ملكًا، ولم يوحَ إليه.

* * *

س: ما الدليل على عدلِ ذي القرنين وإيمانه؟

ج: على ذلك جملة أدلة؛ منها ما يلي:

* قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧]، ففي قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٨٧] إقرار بالبعث.

* قوله: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥].

* قوله لَمّا بنى السدَّ: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف:٩٨].

* وكذا قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف:٩٨].

س: المُمَكَّن في الأرض إنما مُكِّن بتمكين اللَّه له، دلِّل على ذلك؟

ج: هناك أدلة كثيرة على ذلك، نورد منها ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٤].

* وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [القصص:٥، ٦].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ [الحج:٤١].

* وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]؟

ج: المعنى - واللَّه تعالى أعلم - وأعطيناه علماً يتوصل به إلى كل ما يريد، وقوة على ذلك أيضاً.

قال السعدي - رحمه اللَّه تعالى - في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٤، ٨٥] أي: أعطاه اللَّه من الأسباب الموصلة له، لما وصل إليه ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران.

وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه اللَّه إياها، أي: استعملها علىٰ وجهها.

فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً علىٰ السبب، فإذا اجتمعت القدرة علىٰ السبب الحقيقي والعمل به حصل المقصود، وإن عدما، أو أحدهما لم يحصل.

وهذه الأسباب التي أعطاه اللَّه إياها، لم يخبرنا اللَّه ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار علىٰ وجه يفيد العلم، فلهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النَّقَلَةُ للإسرائيليات ونحوها.

ولكننا نعلم ـ بالجملة ـ أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جندٌ عظيم، ذو عَدَدٍ وعُدَدٍ ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلىٰ مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٥، ٨٦]؟

ج: المعنىٰ ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ أن ذا القرنين سلك طريقًا من الطرق التي يسرها اللَّه له، واتخذ من الأسباب التي أعطاه اللَّه إياها ما يسلك به هذا الطريق، ويتوصل به إلىٰ حيث يريد، فسلك الطريق حتىٰ وصل إلىٰ أقصىٰ مكان من الأرض من ناحية الغرب، فوجد هنالك الشمس، وكأنها تغرب في عين من طينة سوداء، وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]، فالحمأ هو الطين.

وقال بعض العلماء: وجدها تغرب في عين حامية حارَّة.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال السعدي رحمه اللَّه:

فأعطاه اللَّه ما بلغ به مغرب الشمس، حتىٰ رأىٰ الشمس في مرأىٰ العين

كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها تغرب في نفس الماء، وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوماً.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]؟

ج: المراد - واللَّه أعلم - أن اللَّه عزَّ وجلَّ خيَّره في شأن هؤلاء القوم، إما أن يعذبهم، وإما أن يسلك معهم طريقة أخرىٰ في دعوتهم إلىٰ اللَّه، والصفح عنهم، وفتح الباب أمامهم كي يؤمن من أراد اللَّهُ له الهداية.

وقد قال بعض العلماء: الظاهر أن هؤلاء كانوا كفاراً، إذ لو كانوا مؤمنين ما خُيِّر فيهم ذو القرنين، فاللَّه أعلم.

هذا، وقد قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ﴾ [الكهف: ٨٦] يقول: إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد اللَّه، ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم ﴿وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦] يقول: وإما أن تأسرهم، فتعلمهم الهدىٰ، وتبصرهم الرشاد.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾؟

ج: المعنىٰ - واللَّه تعالىٰ أعلم - أن ذا القرنين لمَّا خُيِّر في شأن القوم إما أن يعذب، وإما أن يتخذ فيهم حسناً، جنح إلىٰ العفو والصفح عمَّن آمن.

أما قوله تعالىٰ: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ [الكهف: ٨٨] ففي قوله: ﴿جزاء﴾ وجهان:

أحدهما: بالتنوين مع الفتح، أي: فله جزاءً علىٰ عمله الحسنىٰ، وهي الجنة.

والوجه الآخر: جزاء الحسنىٰ علىٰ الإضافة، أي: فله جزاء الأعمال الحسنة الصالحة.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول: وأما من صدَّق اللَّهَ منهم ووحَّده، وعمل بطاعته، فله عند اللَّه الحسنىٰ - وهي الجنة - جزاءً، يعني: ثوابًا علىٰ إيمانه، وطاعته ربه.

وقد اختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة: ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الكهف: ٨٨] برفع الجزاء وإضافته إلىٰ الحسنىٰ.

وإذا قرئ ذلك كذلك، فله وجهان من التأويل:

أحدهما: أن يجعل الحسنىٰ مرادًا بها إيمانه وأعماله الصالحة، فيكون معنىٰ الكلام إذا أريد بها ذلك، وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاؤها، يعنىٰ جزاء هذه الأفعال الحسنة.

والوجه الثاني: أن يكون معنيًّا بالحسنىٰ: الجنة، وأضيف الجزاء إليها، كما قيل: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: ١٠٩، والنحل: ٣٠]، والدار: هي الآخرة، وكما قال: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، والدين: هو القيم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩].

ج: المعنىٰ: ثم سلك طريقًا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ: ثم سلك طريقًا، فسار من مغرب الشمس إلىٰ مطلعها، وكان كلَّما مرَّ بأمة قهرهم وغلبهم، ودعاهم إلىٰ اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ فإن أطاعوه وإلا أذلهم، وأرغم آنافهم، واستباح أموالهم وأمتعتهم، واستخدم من كل أمة ما يستعين به مع جيوشه علىٰ أهل الأقاليم المتاخم لهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٩٠].

ج: المعنىٰ ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ حتىٰ إذا بلغ أقصىٰ مكان يمكن الوصول إليه من ناحية طلوع الشمس.

هذا، وقد قال الشوكاني ـ رحمه اللَّه ـ «فتح القدير»:

ولا يبعد أن يُقال: لا مانع من أن يُمكِّنه اللَّه من عبور البحر المحيط حتىٰ يصل إلىٰ تلك العين التي تغرب فيها الشمس، وما المانع من هذا؟ بعد أن حكىٰ اللَّه عنه أنه بلغ مغرب الشمس ومكَّن له في الأرض، والبحر من جملتها، ومجرد الاستبعاد لا يوجب حمل القرآن علىٰ خلاف ظاهره.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠].

ج: المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ ليس لهم بناء يُكنِّهم ويسترهم، ولا شيء يُظلهم ويمنعهم من حر الشمس.

هذا، وقد أورد الطبري [1] بإسناد حسن:

عن قتادة قال: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩] منازل الأرض ومعالمها

---

(١) الطبري (٣٣١٣).

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]، يقول ـ تعالىٰ ذكره ـ: ووجد ذو القرنين الشمسَ تطلع علىٰ قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً، وذلك أن أرضهم لا جبل فيها، ولا شجر، ولا تحتمل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه أو يَسْربون في الأسراب.

قال السعدي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

أي: لمَّا وصل إلىٰ مغرب الشمس كرَّ راجعًا، قاصداً مطلعها، متبعًا للأسباب التي أعطاه اللَّهُ.

فوصل إلىٰ مطلع الشمس فـ ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠] أي: وجدها تطلع علىٰ أناس ليس لهم ستر من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب غروبًا يذكر، كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلىٰ موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلاً عن وصولهم إليه بأبدانهم.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ [الكهف: ٩١].

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:

وأما قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ [الكهف: ٩١] فإن معناه: ثم أتبع سببًا كذلك، حتىٰ إذا بلغ مطلع الشمس، وكذلك: من صلة أتبع، وإنما معنىٰ الكلام: ثم أتبع سببًا، حتىٰ بلغ مطلع الشمس، كما أتبع سببًا حتىٰ بلغ مغربها.

وقال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ «زاد المسير» :

قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ﴾ [الكهف: ٩١] فيه أربعة أقوال :

أحدها: كما بلغ مَغرب الشمس بلغ مطلعها .

والثاني: أتبع سببًا كما أتبع سببًا .

والثالث: كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم ، كذلك وجد هؤلاء عند مطلعها وحكم فيهم .

والرابع: أن المعنى كذلك أمرُهم كما قصصنا عليك ، ثم استأنف فقال : ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١] .

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٩١].

ج: أي : أن أحوال ذي القرنين ، وما يشاهده ويراه ، وما يقابله في سفره ويعتريه ، كل ذلك ليس بغائب عنَّا ، بل عندنا علمه ، ولدينا خبره ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥] ، وكما قال تعالى : ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣] ، وكما قال تعالى : ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢] .

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١] يقول : وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علمًا ، لا يخفى علينا مما هنالك من الخلق ، وأحوالهم ، وأسبابهم ، ولا من غيرهم شيء .

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

أي: نحن مطلعون على جميع أحواله، وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيء، وإن تفرقت أممهم، وتقطعت بهم الأرض، فإنه تعالى: ﴿لا يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

* * *

س: أين هذان السدان؟

ج: قيل: هما بين أرمينية وأذربيجان.

وقيل: هما بعد بلاد الصين.

وقيل غير ذلك، فاللَّه أعلم.

* * *

س: هل من مزيد لوصف هذا السد؟

ج: اللَّه أعلم بوصف هذا السد، فلم أقف في وصفه على شيء عن رسول اللَّه ﷺ، وأما على ما يفيده ظاهر الكتاب العزيز، فهو سدٌّ عظيمٌ، حال دون خروج يأجوج ومأجوج، وما استطاعوا ثقبه، ولا الصعود عليه.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»:

وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض أمرائه، ووجَّه معه جيشًا سرية؛ لينظروا إلى السدِّ ويعاينوه، وينعتوه له إذا رجعوا، فتوصلوا من بلاد إلى بلاد، ومن ملك إلى ملك، حتى وصلوا إليه، ورأوا بناءه من الحديد، ومن النُّحاس، وذكروا أنهم رأوا فيه بابًا عظيمًا، وعليه أقفال عظيمة، ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك، وأن عنده حرسًا من الملوك المتاخمة له، وأنه عالٍ، منيف، شاهق، لا يُستطاع، ولا ما حوله من الجبال، ثم رجعوا إلى

بلادهم، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالاً وعجائب.

* * *

س: لماذا لا يكادون يفقهون قولاً؟

ج: قيل: سبب ذلك لاستعجام لسانهم، وبعدهم عن الناس.

قال السعدي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ «تيسير الكريم المنان»:

وجد من دون السدين قومًا لا يكادون يفقهون قولاً؛ لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى اللَّهُ ذا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به ألسنة أولئك القوم، وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم.

* * *

ذكر يأجوج ومأجوج

س: هل في يأجوج ومأجوج قراءات أُخر؟

ج: نعم، قرأها بعض العلماء بلا همز، فقرءوا: ياجوج وماجوج.

وقد صوَّب الطبري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ القراءة بلا همز، فقال:

وقوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤]، اختلفت القُرَّاءُ في قراءة قوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ [الكهف: ٩٤] فقرأت القُرَّاءُ من أهل الحجاز والعراق وغيرهم: «إن ياجوج وماجوج» بغير همز على فاعول من: «يججت ومججت»، وجعلوا الألفين فيهما زائدتين، غير عاصم بن أبي النجود، والأعرج، فإنه ذكر أنهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعًا، وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام، وكأنهما جعلا يأجوج: يفعول من أججت، ومأجوج: مفعول.

والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا: «إنَّ ياجوج وماجوج» بألف بغير همز، لإجماع الحجة من القُرَّاء عليه، وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

لو أنَّ ياجوجَ ومَاجوج معا وعادَ عادُوا واسْتجاشُوا تُبَّعا

وهم أمَّتان من وراء السد.

* * *

س: اذكر بعض الصحيح الوارد في شأن يأجوج ومأجوج؟

ج: أولاً: ورد في شأنهم من كتاب اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ هذه الآيات من سورة الكهف: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ...﴾ [الكهف: ٩٤].

وكذا من سورة الأنبياء: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وأما عن سنة رسول الله ﷺ:

فقد أوردت طائفة منها في كتابي: «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة»، وها هو الشيء الذي أوردته هنالك:

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، الخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذلك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد».

فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟

قال: «أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا، ومنكم رجلاً».

ثم قال: «والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود - أو: كالرقمة في ذراع الحمار».

وأخرج مسلم[2] من حديث النواس بن سمعان الكلابي عن رسول الله ﷺ... فذكر الحديث وفيه: «فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجتُ عبادًا لي، لا يدان[3] لأحدٍ بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور.

---

(١) البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) مسلم (٢١٣٧) (ص: ٢٢٥٠).

(٣) في رواية لمسلم: «فإني قد أنزلت عبادًا لي، لا يد لأحد بقتالهم».

ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء[1].

ويحصر نبي اللَّه عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى اللَّه، فيرسل اللَّه طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه، ثم يرسل اللَّه مطرًا لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ فيغسل الأرض، حتى يتركها كالزلفة» . . . الحديث.

وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أم المؤمنين زينب ابنة جحش، أن رسول اللَّه ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «**لا إله إلا اللَّه، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلَّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها.

قالت زينب ابنة جحش: فقلت: يا رسول اللَّه، أفنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «**نعم، إذا كثُرَ الخبث**».

وأخرج الإمام أحمد[3] بسند حسن، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يفتح يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس كما قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم**

---

(١) في رواية لمسلم: «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هَلُمَّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد اللَّه عليهم نشابهم مخضوبة دمًا».

(٢) البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) أحمد (المسند ٣/ ٧٧).

مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه، حتى يتركوه يبسًا، حتى إنَّ من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا ماء مرةً.

حتَّى إذا لم يبق من الناس أحد إلا في حصنٍ أو مدينة قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء.

قال: ثم يهزُّ أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع مختضبة دمًا ـ للبلاء والفتنة ـ، فبينا هم على ذلك إذ بعث اللَّه دودًا في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى، لا يسمع لهم حسًّا، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟

قال: فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبًا لنفسه، قد أظنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين، ألا أبشروا، فإن اللَّه قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها راعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط».

وأخرج الإمام أحمد[١] بسند صحيح[٢] عن أبي هريرة، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّ يأجوج ومأجوج ليحفرن السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غدًا، فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد اللَّه ـ عزَّ وجل ـ أن يبعثهم إلى الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غدًا ـ إن شاء اللَّه ـ ويستثني، فيعودون إليه وهو كهيئته حين

(١) أحمد (٢/ ٥١٠).

(٢) وللحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ كلام على هذا الحديث وسنده، انظر في «التفسير» (٣/ ١٠٥).

تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس فينشفون المياه، ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث اللَّه عليهم نغفًا في أقفائهم، فيقتلهم بها» فقال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لتسمنُ شُكرًا من لحومهم ودمائهم**».

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في «البداية والنهاية»(١):

باب: ذكر أمتيِّ يأجوج ومأجوج

فقال: فإن قيل: فما الجمع بين قوله تعالى: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ [الكهف: ٩٧]، وبين الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: استيقظ رسول اللَّه ﷺ من نوم محمرًا وجهه وهو يقول: «**لا إله إلا اللَّه، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلَّق تسعين، قلت: يا رسول اللَّه، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**».

وأخرجاه في «الصحيحين» من حديث وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا**» وعقد تسعين.

فالجواب: إما على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفتن، وأن هذا استعارة محضة، وضرب مثل، فلا إشكال، وأما على قول من جعل ذلك إخبارًا عن أمر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا إشكال؛ لأن قوله: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾

---

(١) (٢/ ١٠٢) ط. دار الكتب العلمية.

[الكهف: ٩٧] أي في ذلك الزمان؛ لأن هذه صيغة خبر ماضٍ، فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل - بإذن الله - لهم في ذلك قدراً، وتسليطهم عليه بالتدريج قليلاً قليلاً، حتىٰ يتم الأجل وينقضي الأمر المقدور فيخرجون، كما قال تعالىٰ: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

ولكن الحديث الآخر أشكل من هذا، وهو ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» قائلاً: حدثنا روح... (فذكر حديث الباب الذي قدمناه عند أحمد (٢/ ٥١٠)، ثم قال رحمه الله: فقد أخبر في هذا الحديث أنهم كل يوم يلحسونه حتىٰ يكادوا ينذرون شعاع الشمس من ورائه لرقته، فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظًا، وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار، كما قاله بعضهم، فقد استرحنا من المؤنة، وإن كان محفوظًا فيكون محمولاً علىٰ أن صنيعهم هذا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم، كما هو المروي عن كعب الأحبار، أو يكون المراد بقوله: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي: نافذاً منه، فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه، والله أعلم.

وعلىٰ هذا، فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة: «**فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا**» وعقد تسعين، أي: فتح فتحًا نافذاً فيه، والله أعلم.

قال ابن العربي رحمه الله[1]:

في هذا الحديث ثلاث آيات:

الأولى: أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً.

الثانية: منعهم أن يحاولوا الرقي علىٰ السد بسلم أو آلة، فلم يلهمهم

---

(١) كما نقل عنه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٠٩).

ذلك، ولا علمهم إياه.

ويحتمل أن تكون أرضهم لا خشب فيها ولا آلات تصلح لذلك، وتعقَّب الحافظ هذه بقوله: وهو مردود، فإن في خبرهم عند وهب في المبتدأ أن لهم أشجاراً وزروعًا، وغير ذلك من الآيات، فالأول أولى.

وأخرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق أبي عمرو بن أوس عن جده ـ رفعه ـ: «**إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون من شاءوا، أو شجر يلقحون ما شاءوا...**» الحديث.

الثالثة: أنه صدَّهم عن أن يقولوا: «إن شاء اللَّه»، حتى يجيء الوقت المحدود.

قال الحافظ: قلت: وفيه أنهم أهل صناعة، وأهل ولاية وسلاطة، ورعية تطيع من فوقها، وأن فيهم من يعرف اللَّه ويقر بقدرته ومشيئته.

ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها.

وأخرج ابن ماجه[١] من حديث النواس بن سمعان يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «**سيوقد المسلمون من قصي[٢] يأجوج ومأجوج ونشابهم[٣] وأترستهم[٤] سبع سنين**»[*].

(١) ابن ماجه (٤٠٧٦).

(٢) القسي: جمع قوس.

(٣) النشاب: هي السهام.

(٤) أترستهم: أي تروسهم.

(*) وقد ذكره الترمذي في حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر الدجال (حديث رقم ٢٢٤٠) من طريق: عليّ بن حجر، أخبرنا الوليد بن مسلم، وعبد اللَّه بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبد الرحمن بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير، عن النواس ابن سمعان الكلابي، فذكر الحديث مرفوعًا. وفيه نحو هذا القدر.

هذا، وقد قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٨٦):

ويأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح.

ثم قال رحمه اللَّه: وقد أشار النووي وغيره إلىٰ حكاية من زعم أن آدم نام فاحتلم، فاختلط منيه بالتراب، فتولَّد منه ولد يأجوج ومأجوج من نسله، وهو قول منكر جدًّا، لا أصل له إلا عن بعض أهل الكتاب.

وذكر ابن هشام في «التيجان»: أن أمة منهم آمنوا باللَّه، فتركهم ذو القرنين لمَّا بنىٰ السد بأرمينية، فسموا الترك لذلك.

وقال ابن كثير رحمه اللَّه (٣/ ١٠٤):

وقد حكىٰ النووي في «شرح مسلم» عن بعض الناس: أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم، فاختلط بالتراب، فخلقوا من ذلك، فعلىٰ هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء.

وهذا قول غريب جدًّا، لا دليل عليه؛ لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا علىٰ ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، واللَّه أعلم.

وفي قوله: «أخرج بعث النار من ذريتك» دليلٌ علىٰ أنهم من ذرية آدم، واللَّه أعلم.

* * *

س: هل يأجوج ومأجوج من ذرية آدم؟

ج: نعم، هم من ذرية آدم عليه السلام، ومن الدليل علىٰ ذلك قول اللَّه - عزَّ وجلَّ - لآدم عليه السلام: «يا آدم، أخرج بعث النار من ذريتك...» الحديث.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى:

ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم ـ عليه السلام ـ كما ثبت في «الصحيحين»: «**إن اللَّه تعالى يقول: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد في الجنة، فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها**».

فيقال: «**إن فيكم أمَّتين ما كانتا في شيء إلا كثَّرتاه: يأجوج ومأجوج**».

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥].

ج: المعنى ـ واللَّه تعالى أعلم ـ: أن الذي أعطانيه اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ وأكرمني به من الأسباب الموصلة إلى المراد، ومن القوة والمنعة، والغنى والمال، كل ذلك خير من الأجر الذي تقترحونه عليَّ، فمن ثمَّ فشكراً لنعم اللَّه عليَّ، سأقوم بعمل السدِّ احتساباً وطلباً للثواب من اللَّه، وأداءً لشكر النعم، ولا حاجة بي إلى أجركم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه:

فقال ذو القرنين بعفةٍ، وديانةٍ، وصلاحٍ، وقصدٍ للخير: ﴿**مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ**﴾ [الكهف: ٩٥] أي: إن الذي أعطاني اللَّهُ من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾ [النمل: ٣٦]، وهكذا قال ذو القرنين: الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه، ولكن ساعدوني.

وقال الطبري ـ رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ ذكره: قال ذو القرنين: الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السدِّ بينكم وبين هؤلاء القوم ربي، ووطأه لي، وقوَّاني عليه، خير من جُعْلِكُم، والأجرة التي تعرضونها عليَّ لبناء ذلك، وأكثر وأطيب، ولكن أعينوني منكم بقوة، أعينوني بفَعَلَةٍ وصنَّاع يُحسنون البناء والعمل.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله: ﴿سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦].

ج: المعنىٰ: حاذىٰ بين الجبلين، أي أنه وضع زُبر الحديد وهي: قطع الحديد بين الجبلين من الأساس، حتىٰ بلغ رءوس الجبلين، فساوىٰ بينهما وبين السد المقام طولاً وعرضاً، واللَّه أعلم.

قال السعدي ـ رحمه اللَّه:

﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦] أي: الجبلين اللذين بنىٰ بينهما السد ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ [الكهف: ٩٦] أي: أوقدوها إيقاداً عظيماً، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس.

فلما ذاب النحاس الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦] أي: نُحاسًا مذابًا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكامًا هائلاً، وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

❊ ❊ ❊

س: بعد قوله: ﴿انفُخُوا﴾ [الكهف: ٩٦] مقدَّر مفهوم من السياق، وضح هذا المقدَّر.

ج: المقدر هو: «فنفخوا»، واللَّه تعالىٰ أعلم.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ [الكهف: ٩٦] يقول عزَّ ذكره: قال للفَعَلَة: انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً﴾ [الكهف: ٩٦] وفي الكلام متروك، وهو: «فنفخوا»، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد ناراً.

❊ ❊ ❊

س: ما وجه حذف التاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ [الكهف: ٩٧]؟

ج: قال الطبري ـ رحمه اللَّه:

واختلف أهل العربية في وجه حذف التاء من قوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ [الكهف: ٩٧] فقال بعض نحويي البصرة: فعل ذلك لأن لغة العرب أن تقول: اسطاع يسطيع، يريدون بها استطاع يستطيع، ولكن حذفوا التاء إذا جُمعت مع الطاء ومخرجهما واحد.

قال: وقال بعضهم: استاع، فحذف الطاء لذلك.

وقال بعضهم: اسطاع يسطيع، فجعلها من القطع، كأنها أطاع يطيع، فجعل السين عوضاً من إسكان الواو.

وقال بعض نحويي الكوفة: هذا حرف استعمل فكثر حتى حذف.

❊ ❊ ❊

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨].

ج: المراد، واللَّه تعالى أعلم: هذا الردم الذي وفقني اللَّه إلى صنعه رحمة من ربي بعباده، إذ درأ عنهم شر هاتين القبيلتين المفسدتين (يأجوج ومأجوج).

فحجبُ الشر عن الناس رحمة من اللَّه بالعباد.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] أي: لما بناه ذو القرنين ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] أي: بالناس، حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلاً يمنعهم من العبث في الأرض والفساد.

وقال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف: ٩٨] يقول: إذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتًا لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم جعله دكاء، يقول: سوَّاه بالأرض فألزمه بها من قولهم: ناقة دكاء: مستوية الظهر لا سنام لها، وإنما معنى الكلام: جعله مدكوكًا، فقيل: دكاء.

يقول عزَّ ذكره: فلما رأى ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بني من الردم، ولا يقدرون على نقبه، قال: هذا الذي بنيته وسوَّيته حاجزًا بين هذه الأمة ومن دون الردم رحمة من ربي، رحم بها من دون الردم من الناس، فأعانني برحمته لهم حتى بنيته وسوَّيته ليكفَّ بذلك غائلة هذه الأمة عنهم.

قال السعدي ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير قوله تعالى ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨]:

أي: من فضله وإحسانه عليَّ، وهذه حال الخلفاء والصالحين، إذا منَّ اللَّه عليهم بالنعم الجليلة ازداد شكرهم، وإقرارهم، واعترافهم بنعمة اللَّه كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠] بخلاف أهل التجبر والتكبر، والعلو في الأرض، فإن النعم الكبار تزيدهم أشرًا وبطرًا،

كما قال قارون لمَّا آتاه اللَّهُ من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

* * *

س: متى يموج بعضهم في بعض؟

ج: قيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩] أي: يوم القيامة، يختلط الإنس بالجن.

وقيل: يوم يُهدم السد يموج الناس بعضهم في بعض، فتختلط قبيلتي يأجوج ومأجوج بالناس، ويسعون في الأرض بالفساد.

ومما يتأيد به القول الأول أن اللَّه قال بعدها: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠]، ومما يتأيد به القول الثاني أن ذا القرنين قال قبلها: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

فاللَّه أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

وقوله: ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩] يقول: فجمعنا جميع الخلق حينئذٍ لموقف الحساب جميعًا، وقوله: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠] يقول: وأبرزنا جهنَّم يوم ينفخ في الصور، فأظهرناها للكافرين باللَّه، حتىٰ يروها ويعاينوها كهيئة السراب، ولو جعل الفعل لها قيل: أعرضت إذا استبانت، كما قال عمرو بن كلثوم:

وأعرضت اليمامة واشمخرَّت كأسيافٍ بأيدي مُصلتينا

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى:

يقول تعالى مخبراً عمَّا يفعله بالكفار يوم القيامة: إنه يعرض عليهم جهنم، أي: يبرزها لهم ويظهرها؛ ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها؛ ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم.

وفي «صحيح مسلم» عن ابن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يُؤتى بجهنَّم تُقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»**.

* * *

س: اذكر معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١].

ج: قال السعدي رحمه اللَّه:

فإنهم في الدنيا **﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾** [الكهف: ١٠١] أي: معرضين عن الذكر الحكيم والقرآن الكريم، وقالوا: **﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾** [فصلت: ٥]، وفي أعينهم أغطية تمنعهم من رؤية آيات اللَّه النافعة كما قال تعالى: **﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾** [البقرة: ٧].

﴿وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١] أي: لا يقدرون على سمع آيات اللَّه الموصلة إلى الإيمان؛ لبغضهم القرآن والرسول، فإن المبغض لا يستطيع أن يلقي سمعه إلى كلام من أبغضه.

فإذا انحجبت عنهم طرق العلم والخير، فليس لهم سمع ولا بصر، ولا عقل نافع، فقد كفروا باللَّه وجحدوا آياته، وكذبوا رسله، فاستحقوا جهنَّم وساءت مصيراً.

س: اذكر بعض الفوائد المستنبطة من قصة ذي القرنين.

ج: من ذلك ما يلي:

* استخدام الرفق في مواطنه، والشدة في مواطنها، وذلك من قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨].

* يستفاد أيضًا: أن المُمَكَّن مَن مكّنه اللَّه، وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤].

* يستفاد من ذلك أيضًا: مشروعية حبس وسجن أهل الشر والفساد، وعزلهم عن الناس، وذلك مأخوذ من إقامة السد بين يأجوج ومأجوج، وسائر الناس.

* يستفاد أيضًا: أن الذي يحجب قومًا عن قومٍ، ويمنع قومًا من قومٍ هو اللَّه -عزَّ وجلَّ- وأن اللَّه -عزَّ وجلَّ- إذا شاء سلَّط قومًا علىٰ قوم.

وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ١٠٢].

ج: المعنىٰ، واللَّه تعالىٰ أعلم: أفظن أهل الكفر الذين عبدوا عزيرًا والمسيح والملائكة أن عزيرًا والمسيح والملائكة ينصرونهم ويوالونهم يوم القيامة؟!

كلا، فلا يتصور هذا، فعزيرٌ والمسيح والملائكة عبادٌ للَّه مقربون

مكرمون، خائفون وَجِلُونَ من اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ وما منهم من أحد يرضى بأن يُعبد من دون اللَّه، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝١٧ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦].

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى:

يقول عزَّ ذكره: أفظنَّ الذين كفروا باللَّه من عَبَدَة الملائكة والمسيح أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون اللَّه أولياء، يقول: كلا، بل هم لهم أعداء.

قلت: وثَمَّ وجهٌ آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ١٠٢] أي: ولا أعاقبهم.

❊ ❊ ❊

بيان كون النار مخلوقة

س: من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٢] ما يدل على أن النار مخلوقة وموجودة الآن، وضح ذلك بمزيد من الأدلة.

ج: ذلك من قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ [الكهف:١٠٢] فمعناها: أعددنا وهيَّأنا، فدلَّ ذلك على كون النار مخلوقة، ومن الأدلة على ذلك أيضًا ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾ [الإنسان: ٤].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

* وقوله صلى الله عليه وسلم: «اطلعْتُ على النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[١].

* ومنها: قول النبي ﷺ: «أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنَّم»[٢].

* ومنها: قول رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربِّ، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنَفَسَيْنِ: نفس في الشتاء، ونفسٍ في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»[٣].

---

(١) البخاري (٣٢٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا، وله طرق أخرى صحيحة في «الصحيحين» وغيرهما عن رسول الله ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

* ومنها قول النبي ﷺ: «**إذا دخل رمضان فتّحت أبواب الجنة، وغلّقت أبواب جهنم، وسُلسلت الشياطين**»[١] .

* ومنها: حديث أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال: كنّا مع رسول اللّه ﷺ إذ سمع وَجْبَةً[٢]، فقال النبي ﷺ: «**تدرون ما هذا؟**» .

قال: قلنا: اللّه ورسوله أعلم .

قال: «**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**»[٣] .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [الكهف: ١٠٣] .

ج: قال الطبري رحمه اللّه:

يقول - تعالىٰ ذكره - لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ [الكهف: ١٠٣] يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عَنَتك ويجادلونك بالباطل، ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود والنصارىٰ ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾ [الكهف: ١٠٣] أيها القوم ﴿بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [الكهف: ١٠٣] يعني: بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحًا وفضلاً، فنالوا به عَطَبًا وهلاكًا ولم يدركوا طلبًا، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحًا، فخاب رجاؤه، وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعًا .
(٢) وجبة: أي سقطة .
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٤) .

س: مَن الأخسرون أعمالاً؟

ج: قيل: إنهم اليهود والنصارىٰ.

وقيل: إنهم الخوارج.

وقيل: إنهم أهل الشرك عمومًا.

ومما يؤيد هذا الأخير قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥].

أما القول القائل بأنهم اليهود والنصارىٰ، فهو قول سعد بن أبي وقاص - رضي اللَّه عنه - فقد أخرج البخاري[١] والطبري وغيرهما من طريق مصعب ابن سعد أنه قال: سألت أَبِي: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [الكهف: ١٠٣] هم الحَرُورية؟

قال: لا، هم اليهودُ والنصارىٰ، أما اليهود فكذبوا محمداً صلىٰ اللَّه عليه وسلم، وأما النصارىٰ كفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها، ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد اللَّه من بعد ميثاقه، وكان سعدٌ يسميهم الفاسقين.

أما القول القائل بأنهم الخوارج فهو قول عليٍّ رضي اللَّه عنه، فقد ورد عنه من وجوه أنه قال: أهل حروراء منهم، والمراد بأهل حروراء الخوارج، إذ هي بلدتهم.

وقد أخرج الطبري جملة من الآثار عن عليٍّ رضي اللَّه عنه بذلك.

قال الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ:

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال: إن اللَّه - عزَّ وجلَّ - عنىٰ

---

(١) البخاري (٤٧٢٨).

بقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [الكهف: ١٠٣] كل عامل عملاً يحسبه فيه مُصِيبًا، وأنه للَّه بفعله ذلك مطيع مُرْضٍ، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك - من فعلهم واجتهادهم باللَّه - كفرة، من أهل أي دين كانوا.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٠٤] يقول: هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا علىٰ هدىً واستقامة، بل كان علىٰ جور وضلالة، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم اللَّه به، بل علىٰ كفر منهم به ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] يقول: وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك للَّه مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون، وهذا من أدل الدلائل علىٰ خطأ قول من زعم أنه لا يكفر باللَّه أحد إلا من حيث يقصد إلىٰ الكفر بعد العلم بوحدانيته، وذلك أن اللَّه - تعالىٰ ذكره - أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالاً، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك.

وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم، ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر باللَّه أحد إلا من حيث يعلم، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر اللَّه عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه، كانوا مثابين مأجورين عليها، ولكن القول بخلاف ما قالوا، فأخبر - جلَّ ثناؤه - عنهم أنهم باللَّه كفرة، وأن أعمالهم حابطة، وعنىٰ بقوله: ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] عملاً، والصُّنع والصَّنعة والصنيع واحد، يقال: فرس صنيع بمعنىٰ مصنوع.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] ؟

ج: المعنى، والله أعلم: أنهم يعتقدون أن أعمالهم صحيحة مقبولة، وأنهم على شيء، وفي الحقيقة أن عملهم باطل، وسعيهم في تباب.

* * *

س: اذكر بعض المعاني التي يُراد بها الضلال؟

ج: قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «أضواء البيان»:

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾[الكهف: ١٠٤] أي: بطل واضمحلّ، وقد قدمنا أن الضلال يُطلق في القرآن واللغة العربية ثلاث إطلاقات:

الأول: الضلال بمعنى الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل، كالذهاب عن الإسلام إلى الكفر، وهذا أكثر استعمالاته في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]، وقوله: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

الثاني: الضلال بمعنى الهلاك، والغيبة والاضمحلال، ومنه قول العرب: ضل السمن في الطعام، إذا استهلك فيه وغاب فيه، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢٤] أي: غاب واضمحلّ، وقوله هنا: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٤] أي: بطل واضمحلّ.

وقول الشاعر:

ألم تسأل فتخبرك الديار عن الحي المضلل أين ساروا

أي: عن الحي الذي غاب واضمحلّ، ومن هنا سمي الدفن إضلالاً؛ لأن مآل الميت المدفون إلىٰ أن تختلط عظامه بالأرض، فيضل فيها كما يضل السمن في الطعام، ومن إطلاق الضلال علىٰ الدفن:

قول نابغة ذبيان:

فآب مضلوه بعين جلية ... وغودر بالجولان حزم ونائل

فقوله: «مضلوه» يعني: دافنيه في قبره، ومن هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ...﴾ [السجدة: ١٠]، فمعنىٰ: ﴿ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] أنهم اختلطت عظامهم الرميم بها فغابت واستهلكت فيها.

الثالث: الضلال بمعنىٰ الذهاب عن علم حقيقة الأمر المطابقة للواقع، ومنه بهذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ [الضحىٰ: ٧]، أي: ذاهبًا عما تعلمه الآن من العلوم والمعارف التي لا تُعرف إلا بالوحي، فهداك إلىٰ تلك العلوم والمعارف بالوحي.

وحدد هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ عن أولاد يعقوب: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] أي: ذهابك عن العلم بحقيقة أمر يوسف، ومن أجل ذلك تطمع في رجوعه إليك، وذلك لا طمع فيه علىٰ أظهر التفسيرات.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أي: تذهب عن حقيقة علم المشهود به بنسيان أو نحوه، بدليل قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]...» إلىٰ آخر ما قاله رحمه اللَّه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

ج: من معانيها ما يلي:

الأول: لا نثقل موازينهم؛ لكونها خالية من الأعمال الصالحة.

الثاني: أنهم يوزنوا على الحقيقة، كما في الحديث: «**إنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند اللَّه جناح بعوضة**».

وقال: «**اقرءوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: ١٠٥]»[1].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

ج: المعنى، واللَّه تعالى أعلم: أن أهل الكفر اتخذوا آيات اللَّه ورسل اللَّه مجالاً للاستهزاء والسخرية، فكانوا يسخرون من الآيات، ويسخرون من المرسلين، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً**﴾ [الفرقان: ٤١]، وكذا كانوا يسخرون من أحكام الدين، وحلاله، وحرامه، وشرائعه.

* * *

(١) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

الفردوس

س: ما المراد بالفردوس؟

ج: الفردوس يطلق على البستان، ومن العلماء من قال: بستان فيه أعناب.

وقد ورد ذكر الفردوس، وأنه مكان في الجنة أفضل الأماكن فيها، ففي الحديث[١] عن رسول اللَّه ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيل اللَّه، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة** ـ قال الراوي: أراه قال: ـ **وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة**».

وعند البخاري[٢] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: أصيب حارثة يوم بدر، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن لم يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع. فقال: «**ويحك! أو هبلتِ! أو جنة واحدة هي؟! إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس**».

* * *

س: اذكر بعض الأدلة على خلود أهل الإيمان في فسيح الجنان؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قول أهل الإيمان: ﴿**الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾ [فاطر: ٣٥].

---

(١) البخاري مع «الفتح» (ج٦/ ص: ١١).
(٢) البخاري (٣٩٨٢).

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤].

* وقوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢، ٣].

* وقوله تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨].

* وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق:٢٥] على أحد الوجوه في تأويلها.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: لا يريدون تحولاً عنها، بل يريدون دوام المكث فيها.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الكهف: ١٠٨] أي: مقيمين ساكنين فيها، لا يظعنون عنها أبدًا، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] أي: لا يختارون غيرها، ولا يحبون سواها.

وكما قال الشاعر:

فَحَلَّتْ سُوَيدَاَ القلب لا أنا باغيًا ... سواها ولا عن حبِّها أتحوَّل

وفي قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] تنبيه على رغبتهم فيها، وحبهم لها، مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائمًا أنه يسأمه، ويمله، فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي، لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولاً، ولا انتقالاً، ولا ظعنًا، ولا رحلة، ولا بدلاً.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٥] .

ج: المعنىٰ - والله أعلم -: قل يا نبينا ويا رسولنا للخلق أجمعين: إن كلمات اللَّه عزَّ وجلَّ كثيرة جدًّا، لا يحصيها إلا هو سبحانه وتعالىٰ، ولو جعل ماء البحر كمداد (أي: كحبر) يوضع في الأقلام وتكتب بتلك الأقلام كلمات اللَّه عزَّ وجلَّ لنفدت البحار وانتهت قبل أن تنفد كلمات ربي، ولو جئنا ببحار كتلك البحر، وجُعلت كمداد هي الأخرىٰ.

والآية في معناها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال الطبري - رحمه اللَّه -:

يقول - عزَّ ذكره - لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّـ﴾ [الكهف: ١٠٩] لقلم الذي يُكتب به ﴿كَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ﴾ [الكهف: ١٠٩] ماء ﴿الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف: ١٠٩] يقول: ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددًا، من قول القائل: جئتك مددًا لك، وذلك من معنىٰ الزيادة، وقد ذُكر عن بعضهم: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] كأن قارئ ذلك كذلك أراد: لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به مداداً.

قال القرطبي - رحمه اللَّه -:

قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] نفد الشيء إذا تمّ وفرغ؛ وقد تقدَّم ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] أي: زيادة علىٰ البحر عدداً أو وزنًا.

وفي مصحف أُبي: «مِداداً» وكذلك قرأها مجاهد وابن محيصن وحميد.

وانتصب «مددًا» علىٰ التمييز أو الحال.

وقال ابن عباس: قالت اليهود لما قال لهم النبي ﷺ: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] قالوا: وكيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيراً كثيراً؟ فنزلت: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية.

وقيل: قالت اليهود: إنك أوتيت الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم زعمت أنك لا علم لك بالروح. فقال اللّه تعالىٰ: قل: وإن أوتيت القرآن وأوتيتم التوراة فهي بالنسبة إلىٰ كلمات اللّه تعالىٰ قليلة، قال ابن عباس: ﴿كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] أي: مواعظ ربي.

وقيل: عنىٰ بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية له ولا منتهىٰ، وهو وإن كان واحداً فيجوز أن يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من فرائد الكلمات، ولأنه ينوب منابها، فجازت العبارة عنها بصيغة الجمع تفخيماً.

وقال الأعشى:

وَوَجْهٌ نَقِيُّ اللون صافٍ يزينُهُ ... مع الجِيدِ لَبَّاتٌ لها ومَعَاصِمُ

فعبر باللَّبات عن اللبة.

وفي التنزيل: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١]، و﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، و﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ [الحجر: ٢٣]، وكذلك: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]؛ لأنه ناب مناب أمة.

وقيل: أي: ما نفدت العبارات والدلالات، التي تدل علىٰ مفهومات معاني كلامه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

وقال السدي: أي: إن كان البحر مداداً لكلمات ربي؛ لنفد البحر قبل أن تنفد صفات الجنة، التي هي دار الثواب.

وقال عكرمة: لنفد البحر قبل أن ينفد ثواب من قال لا إله إلا اللَّه.

ونظير هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

وقرأ حمزة والكسائي: «قَبْلَ أَن يَنْفَدَ» بالياء لتقدم الفعل.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ:

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي تكتب به كلمات ربي وحكمه وآياته الدالَّة عليه، لنفد البحر قبل أن [يفرغ من] كتابة ذلك ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] أي: بمثل البحر آخر، ثم آخر، وهلمَّ جراً، بحور تمده ويكتب بها، لما نفدت كلمات اللَّه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال الربيع بن أنس: إن مثل علم العباد كلهم في علم اللَّه كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل اللَّه ذلك: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

يقول: لو كان البحر مداداً، والشجر كله أقلاماً، لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر، وبقيت كلمات اللَّه قائمة لا يفنيها شيء؛ لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره، ولا يثني عليه كما ينبغي، حتى يكون هو الذي يثني على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول.

إن مثل نعيم الدنيا، أولها وآخرها في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها.

* * *

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] في هذا الموطن؟

ج: وجهه، والله تعالى أعلم: أن النبي ﷺ بعد أن قصَّ على الناس خبر ما أوحاه الله إليه أُمر بتذكيرهم ببشريته، فهو لا يعلم إلا ما علَّمه الله، فهذا الذي أخبرهم به ليس من عند نفسه، فهو لا يعلم الغيب، ولكنه بشر يوحى إليه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم، لا علم لي إلا ما علمني الله، وإن الله يوحي إليَّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ١١٠] يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، فمن زعم أني كاذب فليأتِ بمثل ما جئت به، فإني لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضي عمَّا سألتم من قصة أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين، مما هو مطابق في نفس [الأمر، لولا] ما أطلعني الله عليه.

وأنا أخبركم: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] الذي: أدعوكم إلى عبادته ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] لا شريك له ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ١١٠] أي ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾[الكهف: ١١٠] وهو ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وهو الذي يُراد به وجه الله وحده لا شريك له.

وهذان ركنا العمل المتقبَّل؛ لا بد أن يكون خالصًا للَّه، صوابًا على شريعة رسول اللَّه ﷺ.

* * *

س: تكرر إخبار الرسول ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ عن نفسه بأنه بشرٌ، لكنه يُوحَى إليه، اذكر من الآيات ما يدل على ذلك.

ج: من الآيات الدالة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٣].

* وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

* وكذلك قالت الرسل: ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١].

* * *

بعض الأدلة على وحدانية الله عز وجل

س: اذكر بعض الأدلة على وحدانية اللَّه عزَّ وجلَّ.

ج: على ذلك أدلة لا حصر لها، منها:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

* وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١].

* وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

* وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

* وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١].

* وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ﴾ [الحشر: ٢٣]. والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالى: وقوله: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] يقول: ولا يجعل له شريكًا في عبادته إياه، وإنما يكون جاعلاً له شريكًا بعبادته إذا راءى بعمله الذي ظاهره أنه للَّه وهو مريد به غيره.

قال القرطبي رحمه اللَّه: قال الماوردي: وقال جميع أهل التأويل: معنى قوله تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] أنه لا يرائي بعمله أحدًا.

وقال الشنقيطي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في تأويل الآية الكريمة:

وقوله: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] قال جماعة من أهل العلم: أي: لا يرائي الناس في عمله؛ لأن العمل بعبادة اللَّه لأجل رياء الناس من نوع الشرك، كما هو معروف عند العلماء أن الرياء من أنواع الشرك. وقد جاءت في ذلك أحاديث مرفوعة، وقد ساق طرفها ابن كثير في تفسير هذه الآية.

والتحقيق أن قوله: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف: ١١٠] أعم من الرياء وغيره، أي: لا يعبد ربه رياء وسمعة، ولا يصرف شيئًا من حقوق خالقه لأحد من خلقه؛ لأن اللَّه يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦] الآية في الموضعين، ويقول: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

ويفهم من مفهوم مخالفة الآية الكريمة: أن الذي يُشرك أحدًا بعبادة ربه، ولا يعمل صالحًا أنه لا يرجو لقاء ربه، والذي لا يرجو لقاء ربه لا خير له عند اللَّه يوم القيامة.

* * *

س: ما هما ركنا العمل المُتقبَّل؟

ج: الركنان أولهما: الإخلاص فيه للَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ الذي منه ابتغاء وجهه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بالعمل.

والثاني: موافقة هذا العمل لكتاب اللَّه، ولسنة رسوله ﷺ، فقد قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ».

وهذان الركنان مستندهما قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

* * *

التحذير من الرياء

س: اذكر بعض النواهي عن الرياء، والوعيد للمرائين؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] والرياء داخل فيها.

* قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧].

* قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤].

* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

* ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «مَن سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ به، ومَن راءَى راءَى اللَّهُ به»(١).

ومن ذلك ما أخرجه مسلم(٢) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال اللَّه تبارك وتعالى: أنا أغنى الشُّركاء عن الشرك، من عَمِلَ عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِركَه»(٣).

---

(١) مسلم (٢٩٨٦) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

(٢) مسلم (٢٩٨٥).

(٣) قال النووي رحمه اللَّه: هكذا وقع في بعض الأصول (وشركه)، وفي بعضها: (وشريكه)، وفي بعضها: (وشركته)، ومعناه: أنه غني عن المشاركة وغيرها، فمن يعمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه. ويأثم به.

ومن ذلك ما أخرجه أحمد[1] بسند صحيح من حديث محمود بن لبيد، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول اللَّه؟

قال: «**الرياء، يقول اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**».

* وفي «الصحيح» من حديث أبي موسى الأشعري، أن رجلاً أعرابيًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، الرَّجُل يُقاتل للمغنم، والرجل يُقاتل ليُذكر، والرجل يُقاتل ليُرى مكانه، فَمَنْ في سبيل اللَّه؟

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن قاتَلَ لتكونَ كلمةُ اللَّهِ أعلى فهو في سبيلِ اللَّه**».

* ومن ذلك ما أخرجه مسلم[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ أوَّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجلٌ استُشهد، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدتُ. قال: كذبتَ، ولكنَّك قاتلت؛ لأن يُقال: جريءٌ، فقد قِيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتَّى أُلقي في النار.**

ورجلٌ تَعَلَّمَ العلمَ وعلَّمه، وقرأ القرآنَ فأُتي به فعرَّفه نعمهُ فعرفَهَا، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنَّك تعلَّمت العلم ليُقال عالم، وقرأتَ القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

---

(١) أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) مسلم (١٩٠٥).

ورجل وَسَّع اللَّه عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتي به فعرَّفه نعمَهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تُحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنَّك فعلت ليُقال هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أُمرَ به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار[١] » .

* * *

(١) قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير اللَّه، وإدخالهم النار دليلٌ على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال، كما قال اللَّه تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا اللَّه مخلصين له الدين، وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد اللَّه تعالى بذلك مخلصًا، وكذلك الثناء على العلماء، وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمول على من فعل ذلك للَّه تعالى مخلصًا. (من التعليق على مسلم).

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمت بحمد اللَّه سورة الكهف، وما يسره اللَّه فيها من سؤال وجواب، فاللَّه أسأل أن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، وأن يغفر لنا خطأنا، وعجزنا، وتقصيرنا.

وما كان فيها من صواب فمن اللَّه وحده، وما كان فيها من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان، وأسأل اللَّه أن يغفره لي، كما أسأله سبحانه أن يخلص أعمالنا لوجهه الكريم، وأن يتوفانا مؤمنين، مسلمين، محسنين.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين، وصلِّ اللَّهُمَّ على نبينا محمد وسلم.

وسبحانك اللَّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر - الدقهلية - منية سمنود

فهرست الأحاديث

فهـرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة